

تاريخ الإسماعيلية

وفرق

الفطحيّة، الواقفيّة، القرامطة، الدروز والنصيريّة

العلامة الفقيه
الشيخ جعفر السبحاني



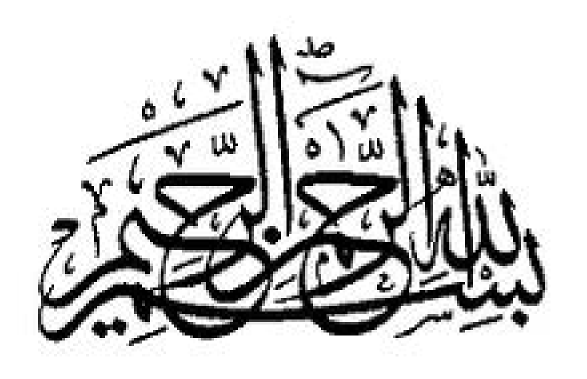
بيروت - لبنان



تاريخ الإسماعيلية

وفرق

الفطحية، الواقفية، القرامطة، الدروز والنصيرية


بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ الإسماعيلية

وفرق

الفطحيّة، الواقفيّة، القرامطة، الدروز والنصيريّة

العلّامة الفقيه

الشيخ جعفر السبحاني





بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م



هاتف: ٢٧٠٨٧٣ - ٢٧١٧٨٨ - فاكس: ٢٧١٦٨٥
ص.ب: ٢٥/٤٠ غبيري - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

تمهيد

الإسماعيلية فرقة من الشيعة القائلة بأنّ الإمامة بالتنصيص من النبي أو الإمام القائم مقامه، غير انّ هناك خلافاً بين الزيدية والإمامية في عدد الأئمة ومفهوم التنصيص.

فالأئمّة المنصوصة خلافتهم وإمامتهم بعد النبي عند الزيدية لا يتجاوز عن الثلاثة: عليّ أمير المؤمنين عليه السلام والسبطين الكريمين: الحسن والحسين عليهما السلام وبشهادة الأخير غلقت دائرة التنصيص، وجاءت مرحلة الانتخاب بالبيعة على تفصيل مرّ في الجزء السابع.

وأمّا الأئمّة المنصوصون عند الإمامية فاثنا عشر إماماً، آخرهم غائبهم، يُظهره الله سبحانه عندما يشاء وقد حُوّل أمر الأُمّة ــ في زمان غيبته ــ إلى الفقيه العارف بالأحكام والسنن، والواقف على مصالح المسلمين، على النحو المقرّر في كتبهم وتآليفهم.

وأمّا الإسماعيلية فقد افترقت إلى فرق مختلفة:

١. القرامطة: القائلة بإمامة محمد بن إسماعيل ابن الإمام الصادق و غيبته، ثمّ دخلت الإمامة في كهف الاستتار.

٢. الدروز: وهم يسوقون الإمامة إلى الإمام الحادي عشر الحاكم بأمر الله، ثمّ يقولون بغيبته وينتظرون ظهوره.

٣. المستعلية: وهؤلاء يسوقون الإمامة إلى الإمام الثالث عشر المستنصر بالله، ويقولون بإمامة ابنه المستعلي بالله بعده، وهم المعروفون بالبهرة، وقد انقسمت المستعلية سنة ٩٩٩هـ إلى فرقتين: داودية وسليمانية ، سيوافيك بيانها.

٤. النزارية: وهؤلاء يسوقون الإمامة إلى المستنصر بالله، ثمّ يقولون بإمامة ابنه الأكبر نزار بن معد، وقد انقسمت النزارية إلى: مؤمنية وقاسمية المعروفة بالأغاخانية، وسيأتي سبب الانقسام وزمانه والركب الإمامي منقطع عن السير عند الجميع إلاّ القاسمية حيث يقولون باستمرار الإمامة إلى العصر الحاضر.

هذا كلّه حول اختلافهم في استمرار الإمامة، وأمّا اختلافهم مع الزيدية والإمامية في مفهوم التنصيص، فإنّه عند الفرقتين الأخيرتين يرجع إلى تعيين الإمام والقائم بالأمر باللفظ والاشهاد، بخلاف الإسماعيلية فإنّها تنتقل عندهم من الآباء إلى الأبناء، ويكون انتقالها عن طريق الميلاد الطبيعي، فيكون ذلك بمثابة نص من الأب بتعيين الابن، وإذا كان للأب عدة أبناء فهو بما أُوتي من معرفة خارقة للعادة يستطيع أن يعرف من هو الإمام الذي وقع عليه النص. فالقول بأنّ الإمامة عندهم بالوراثة أولى من القول بالتنصيص.

وعلى كلّ تقدير فهذه الفرقة، منشقة عن الشيعة، معتقدة بإمامة إسماعيل ابن جعفر بعد الإمام الصادق عليه السلام و هي متواجدة في كثير من الأقطار، منها: الهند، وباكستان، واليمن ونواحيها، وسوريا، ولبنان وأفغانستان، و إفريقية و إيران ونحقّق مذهبهم وفرقهم وآثارهم في ضمن فصول:

الفصل الأوّل

الخطوط العريضة للمذهب الإسماعيلي



إنّ للمذهب الإسماعيلي آراءً وعقائداً، ستوافيك تفاصيلها في الفصول الآتية نذكرها هنا على وجه الإيجاز:

الأولى: إنتماؤهم إلى بيت الوحي والرسالة

كانت الدعوة الإسماعيلية يوم نشوئها دعوة بسيطة لا تتبنّى سوى: إمامة المسلمين، وخلافة الرسول ﷺ واستلام الحكم من العباسيّين بحجة ظلمهم وتعسّفهم؛ غير أنّ دعوة بهذه السذاجة لا يكتب لها البقاء إلاّ باستخدام عوامل تُضمن لها البقاء، وتستقطب أهواءَ الناس وميولهم.

ومن تلك العوامل التي لها رصيد شعبي كبير هو ادّعاء انتماء أئمّتهم إلى بيت الوحي والرسالة، وكونهم من ذرية الرسول وأبناء بنته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان المسلمون منذُ عهدِ الرسول يتعاطفون مع أهل بيت النبيّ، وقد كانت محبتهم وموالاتهم شعار كلّ مسلم واع.

وممّا يشير إلى ذلك انّ الثورات التي نشبتْ ضدّ الأُمويين كانت تحمل شعار حب أهل البيت عليهم السلام والاقتداء بهم والتفاني دونهم، ومن هذا المنطلق صارت الإسماعيلية تفتخر بانتماء أئمتهم إلى النبي ﷺ حتى إذا تسلّموا مقاليد الحكم وقامت دولتهم، اشتهروا بالفاطميين، وكانت التسمية يومذاك تهزّ المشاعر وتجذب العواطف بحجة انّ الأبناء يرثون ما للآباء من الفضائل والمآثر، وانّ تكريم ذرية الرسول ﷺ تكريم له ﷺ فشتان مابين بيت أُسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانه، وبيت أُسس بنيانه على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم.

الثانية: تأويل الظواهر

إنّ تأويل الظواهر وإرجاعها إلى خلاف ما يتبادر منها في عرف المتشرّعة هي السمة البارزة الثانية للدعوة الإسماعيلية، وهي إحدى الدعائم الأساسية بحيث لو انسلخت الدعوة عن التأويل واكتفت بالظواهر، لم تتميز عن سائر الفرق الشيعية إلاّ بصَرف الإمامة عن الإمام الكاظم عليه السلام إلى أخيه إسماعيل بن جعفر، وقد بنوا على هذه الدعامة مذهبهم في مجالي العقيدة والشريعة، وخصوصاً فيما يرجع إلى تفسير الإمامة وتصنيفها إلى أصناف، سيوافيك بيانه.

و لم يكن تأويل الظواهر أمراً مبتدعاً، بل سبقهم ثلة من المندسّين في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الذين طردهم الإمام ولعنهم وحذّر شيعته من الاختلاط بهم، لصيانتهم عن التأثر بآرائهم والانجراف في متاهاتهم كأبي منصور، وأبي الخطاب، والمغيرة بن سعيد، وغيرهم من ملاحدة عصره وزنادقة زمانه.

إنّ تأويل الظواهر والتلاعب بآيات الذكر الحكيم وتفسيرها بالأهواء والميول جعل المذهب الإسماعيلي يتطور مع تطور الزمان، ويتكيّف بمكيفاته، ولا ترى الدعوة أمامها أي مانع من مماشاة المستجدات و إن كانت على خلاف الشرع أو الضرورة الدينية.

الثالثة: تطعيم مذهبهم بالمسائل الفلسفية

إنّ ظاهرة الجمود على النصوص والظواهر ورفض العقل في مجالات العقائد، كانت من أهمّ ميزات العصر العباسي حيث كانوا يرفضون كل بحث عقلي خارج عن هذا الإطار خاصّة في عهد المنصور والرشيد، فقد طردوا حماة البحث الحرّ والانفتاح الفكري وضيّقوا عليهم.

إنّ هذه الظاهرة على خلاف الشريعة، التي تدعو إلى التفكّر والتعقّل. وكان

الإمام علي عليه السلام أوّل من فتحَ باب الأبحاث العقلية على مصراعيه وبيّن الخطوط العريضة لكثير من العقائد على ضوء البرهان والدليل.

إنّ ظاهرة الجمود في أوساط العباسيين ولّدت ردّ فعلٍ عند أئمة الإسماعيليّة، فانجرفوا في تيارات المسائل الفلسفية وجعلوها من صميم الدين وجذوره، وانقلب المذهب إلى منهج فلسفي يتطوّر مع تطوّر الزمن، ويتبنّى أُصولاً لا تجد منها في الشريعة الإسلامية عيناً ولا أثراً.

يقول المؤرّخ الإسماعيلي المعاصر: إنّ كلمة «إسماعيلية» كانت في بادئ الأمر تدل على أنّها من إحدى الفرق الشيعية المعتدلة، لكنّها صارت مع تطور الزمن حركة عقلية تدلّ على أصحاب مذاهب دينية مختلفة، وأحزاب سياسية واجتماعية متعدّدة، وآراء فلسفية وعلمية متنوعة. [١]

الرابعة: تنظيم الدعوة

ظهرت الدعوة الإسماعيلية في ظروف ساد فيها سلطانُ العباسيين شرقَ الأرض وغربها، ونشروا في كلّ بقعة جواسيس وعيوناً ينقلون الأخبار ـ خاصة أخبار مخالفيهم ومناوئيهم ـ إلى مركز الخلافة الإسلامية، ففي مثل هذه الظروف العصيبة لا يكتب النجاح لكلّ دعوة تقوم ضد السلطة إلاّ إذا امتلكت تنظيماً وتخطيطاً متقناً يضمن استمرارها، ويصون دعاتها وأتباعها من حبائل النظام الحاكم وكشف أسرارهم.

وقد وقف الدعاة على خطورة الموقف وأحسّوا بلزوم إتقان التخطيط والتنظيم، وبلغوا فيه الذروة بحيث لو قورنت مع أحدث التنظيمات الحزبية العصرية، لفاقتها وكانت لهم القدح المعلّى في هذا المضمار، وقد ابتكروا أساليب

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٤، والمؤلف سوري إسماعيلي وفي طليعة كُتّابهم.

دقيقة يقف عليها من سبر تراجمهم وقرأ تاريخهم، ولم يكتفوا بذلك فحسب بل جعلوا تنظيمات الدعوة من صميم العقيدة وفلسفتها.

يقول المؤرخ الإسماعيلي المعاصر: وبالحقيقة لم توجه أية دولة من الدول، أو فرقة من الفرق، اهتماماً خاصاً بالدعاية وتنظيمها، كما اهتمّت بها الإسماعيلية، فجعلت منها الوسيلة الرئيسية لتحقيق نجاح الحركة في دور الستر والتخفّي، ودور الظهور وا لبناء معاً. ولقد أحدث التخطيط الدعاوي المنظم تنظيماً عجيباً لم يسبقهم إليه أحد في العالم، وابتكرت الأساليب المبنية على أُسس مكينة مستوحاة من عقيدتها الصميمة.

ولقد برعوا براعة لا توصف في تنظيم أجهزة الدعاية ـ على قِلّة الوسائل في ذلك العصر ــ واستطاعوا أن يشرفوا بسرعة فائقة على أقاصي بقاع البلدان الإسلامية، ويتنسمون أخبار أتباعهم في الأبعاد المتناهية.وذلك بما نظموا من أساليب وأحدثوا من وسائل. وقد كان للحمام الزاجل ـ الذي برع في استخدامه دعاة الإسماعيلية ــ أثره الفعّال في تنظيم نقل الأخبار والمراسلات السرية الهامّة.[1]

الخامسة: إضفاء طابع القداسة على أئمّتهم ودعاتهم

شعرت الدعوة الإسماعيلية أيام نشوئها بأنّه لا بقاء لها إلاّ إذا أضفتْ طابع القداسة على أئمّتهم ودعاتهم بحيث توجب مخالفتهم مروقاً عن الدين وخروجاً عن طاعة الإمام «والجدير بالاهتمام انّ الإمام الإسماعيلي ــ والذي يعتبر رئيساً للدعوة ــ جعل الدعاة من (حدود الدين) إمعاناً منه في إسباغ الفضائل عليهم ليتمكّنوا من نشر الدعوة وتوجيه الأتباع والمريدين دونما أيّة معارضة أو مخالفة،

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:٣٧.

لأنّ مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بالنسبة للإسماعيلية مروقاً عن الدين، وخروجاً عن طاعة الإمام نفسه، لأنّهم من صلب العقيدة وحدودها». [١]

إنّ الإمامة تحتل عند الإسماعيلية مركزاً مرموقاً ولها درجات ومقامات مختلفة ـ سيوافيك تفصيلها في مظانها ـ حتى أضحت من أبرز سمات المذهب الإسماعيلي فهم يعتقدون بالنطقاء الستة، وانّ كلّ ناطق رسول يتلوه أئمة سبعة:

١. فآدم رسول ناطق تلته أئمة سبعة بعده.

٢. فنوح رسول ناطق تلته أئمة سبعة.

٣. فإبراهيم رسول ناطق جاءت بعده أئمة سبعة.

٤. فموسى رسول ناطق تلته أئمة سبعة.

٥. فعيسىٰ رسول ناطق تلته أئمة سبعة.

٦. فمحمّد رسول ناطق تلته أئمة سبعة، وهم:

علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي بن الحسين، محمد ابن علي الباقر، جعفر بن محمد الصادق، إسماعيل بن جعفر.

وبذلك يتم دور الأئمة السبعة ويكون التالي رسولاً ناطقاً سابعاً وناسخاً للشريعة السابقة وهو محمد بن إسماعيل وهذا ممّا يصادم عقائد جمهور المسلمين من أنّ نبيّ الإسلام ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته خاتمة الشرائع، وكتابه خاتم الكتب.

فعند ذلك وقعت الإسماعيلية في مأزق كبير سيوافيك تفصيله في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى.

---

١. المصدر السابق: ٣٧.

السادسة: تربية الفدائيين للدفاع عن المذهب

إنّ الأقلية المعارضة من أجل الحفاظ على كيانها لا مناص لها من تربية فدائيين مضحّين بأنفسهم في سبيل الدعوة لصيانة أئمّتهم ودعاتهم من تعرض الأعداء، فينتقون من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية والإقدام، والشجاعة النادرة، والجرأة الخارقة، ويكلّفون بالتضحيات الجسدية، وتنفيذ أوامر الإمام أو نائبه، و إليك أحد النماذج المذكورة في التاريخ:

في سنة ٥٠٠ هجرية فكر فخر الملك بن نظام وزير السلطان سنجر، أن يثأر لأبيه وهاجم قلاع الإسماعيلية ، فأوفد إليه الحسن بن الصباح أحد فدائييه فقتله بطعنة خنجر، ولقد كانت قلاعه في حصار مستمر من قبل السلجوقيين.

وفي سنة ٥٠١هـ حوصرت قلعة «آلموت» من قبل السلطان السلجوقي واشتد الحصار عليها، فأرسل السلطان رسولاً إلى الحسن بن الصباح يطلب منه الاستسلام، ويدعوه لطاعته، فنادى الحسن أحد فدائييه وقال له: ألقي بنفسك من هذا البرج ففعل، وقال للثاني: اطعن نفسك بهذا الخنجر ففعل، فقال للرسول: اذهب وقل لمولاك إنّه لدي سبعونَ ألفاً من الرجال الأُمناء المخلَصين أمثال هؤلاء الذين يبذلون دماءهم في سبيل عقيدتهم المثلى.[١]

وقد تفشّت هذه الظاهرة بين أوساطهم، وآل أمر الأتباع إلى طاعة عمياء لأئمتهم ودعاتهم في كلّ حكم يصدر عن القيادة العامة، أو الدعاة الخاصين دون الإفصاح عن أسبابه، وبلغ بهم الأمر إطاعتهم لأئمّتهم في رفع بعض الأحكام الإسلامية عن الجيل الإسماعيلي بحجة انّ العصر يضاده، ويشهد على ذلك ما كتبه المؤرّخ الإسماعيلي إذ يقول عن إمام عصره آغا خان الثالث إنّه قال: «إنّ الحجاب يتعارض والعقائد الإسماعيلية، وإنّي أُهيب بكل إسماعيلية أن تنزع

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٦٣.

نقابها، وتنزل إلى معترك الحياة لتساهم مساهمة فعالة في بناء الهيكل الاجتماعي والديني للطائفة الإسماعيلية خاصّة وللعالم الإسلامي عامة، وأن تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل في مختلف نواحي الحياة إسوة بجميع النساء الإسماعيليات في العالم، وآمل في زيارتي القادمة أن لا أرى أثراً للحجاب بين النساء الإسماعيليات، وآمرك أن تبلغ ما سمعت لعموم الإسماعيليات بدون إبطاء». [١]

السابعة: كتمان الوثائق

إنّ استعراض تاريخ الدعوات الباطنية السرية وتنظيماتها رهن الوقوف على وثائقها ومصادرها التي تنير الدرب لاستجلاء كنهها، وكشف حقيقتها وما غمض من رموزها ومصطلحاتها، ولكن للأسف الشديد انّ الإسماعيلية كتموا وثائقهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم وكلّ شيء يعود لهم ولم يبذلوها لأحد سواهم، فصار البحث عن الإسماعيلية بطوائفها أمراً مستعصياً، إلاّ أن يستند الباحث إلى كتب خصومهم وما قيل فيهم، ومن المعلوم انّ القضاء في حقّ طائفة استناداً إلى كلمات مخالفيهم، خارج عن أدب البحث النزيه.

وهذا ليس شيئاً عجيباً إنّما العجب انّ المؤرّخين المعاصرين من الإسماعيلية واجهوا نفس هذه المشكلة منذ زمن طويل، يقول مصطفى غالب وهو من طليعة كتّاب الإسماعيلية: «من المشاكل المستعصية التي يصعب على المؤرّخ والباحث حلّها وسبر أغوارها، وهو يستعرض تاريخ الدعوات الباطنية السرية، وتنظيماتها، حرص تلك الدعوات الشديد على كتمان وثائقهم ومصادرهم ــ إلى أن يقول: ــ والمعلومات التي نقدّمها للمهتمّين بالدراسات الإسلامية مستقاة من الوثائق والمصادر الإسماعيلية السرية». [٢]

---

١. المصدر السابق: ٢٦٥، الخطاب لمن رفع السؤال إليه وهو الكاتب مصطفى غالب السوري.

٢. المصدر نفسه: ٣٥.

نعم كانت الدعوة الإسماعيلية محفوفة بالغموض والأسرار إلى أن جاء دور بعض المستشرقين فوقفوا على بعض تلك الوثائق ونشروها، وأوّل من طرق هذا الباب المستشرق الروسي الكبير البروفسور «ايفانوف» عضو جمعية الدراسات الإسلامية في «بومباي» وبعده البروفسور «لويس ماسينيون» المستشرق الفرنسي الشهير، ثمّ الدكتور «شتروطمان» الألماني عميد معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورغ، و«مسيو هانري كوربن» أُستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة طهران، والمستشرق الانكليزي «برنارد لويس».

يقول المؤرخ المعاصر: حتى سنة ١٩٢٢ ميلادية كانت المكتبات في جميع أنحاء العالم فقيرة بالكتب الإسماعيلية إلى أن قام المستشرق الألماني «ادوارد برون» بإنشاء مكتبة إسماعيلية ضخمة غايتها إظهار الآثار العلمية لطائفة كانت في مقدمة الطوائف الإسلامية في الناحية الفكرية والفلسفية والعلمية، ولم يقتصر نشاط أُولئك المستشرقين عند حدود التأليف والنشر، بل تعدّاه إلى الدعاية المنتظمة سواء في المجلاّت العلمية الكبرى، كمجلة المتحف الآسيوية التي كانت تصدرها أكاديمية العلوم الروسية في مدينة «بطروسبورغ» ويشرف على تحريرها «ايفانوف» وبعض المستشرقين الروس أمثال «سامينوف» وغيره ممن دبّجوا المقالات الطوال عن العقيدة الإسماعيلية.

ففي سنة ١٩١٨ كتب المستشرق «سامينوف» مقاله الأوّل عن الدعوة الإسماعيلية وقد جمعه بنفسه ونشره في مجلته كما نقل إلى اللغة الإنكليزية عدداً ضخماً من الكتب الإسماعيلية المؤلفة باللغتين «الكجراتية» و«الأُوردية» ـ إلى أن قال: ـ لقد أحدثت تلك الدراسات الهامة ثورة فكرية وانقلاباً عكسياً في العالم الإسلامي، حيث قام عدد من الأساتذة المصريين بنشر الآثار الإسماعيلية في العهود الفاطمية، فأخرجوا إلى حيّز الوجود عدداً لا بأس به من الكتب القيّمة

وأظهروا للعالم أجمع آثار هذه الفرقة.[١]

وبالرغم مما ذكره المؤرخ المعاصر من أنّ المصريين أظهروا للعالم أجمع آثار هذه الفرقة، لكنّا نرى أنّه يعتمد في كتابه على وثائق خطية موجودة في مكتبته الخاصة، أومكتبة دعاة مذهبه في سورية، ويكشف هذا عن وجود لفيف من المصادر مخبوءة لم تر النور لحد الآن.

الثامنة: الأئمّة المستورون

إنّ الإسماعيلية أعطت للإمامة مركزاً شامخاً، وصنّفوا الإمامة إلى رتب ودرجات، وزوّدوها بصلاحيات واختصاصات واسعة، وسيوافيك بيان تلك الدرجات والرتب، غير أنّ المهم هنا الإشارة إلى تصنيفهم الإمام إلى مستور، دخل كهف الاستتار؛ وظاهر، يملك جاهاًو سلطاناً في المجتمع.

فالأئمّة المستورون هم الأئمّة الأربعة الأوائل الذين جاءوا بعد إسماعيل، ونشروا الدعوة سراًو كتماناً، وهم:

١. محمد بن إسماعيل الملقّب بـ«الحبيب»: ولد سنة ١٣٢هـ في المدينة المنورة، وتسلّم شؤون الإمامة واستتر عن الأنظار خشية وقوعه بيد الأعداء، ولقّب بالإمام المكتوم، لأنّه لم يعلن دعوته وأخذ في بسطها خفية، وتوفي عام ١٩٣هـ.

٢. عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقّب بـ«الوفي»: ولد عام ١٧٩هـ في مدينة محمود آباد، وتولّى الإمامة عام ١٩٣هـ بعد وفاة أبيه، وسكن السلْمية عام ١٩٤هـ مصطحباً بعدد من أتباعه، وهو الذي نظم الدعوة تنظيماً دقيقاً، توفي عام ٢١٢هـ.

٣. أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقب بـ«التقي»: ولد عام

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٢ـ٢٣.

١٩٨، وتولّى الإمامة عام ٢١٢هـ سكن السلمية سراً حيث أصبحت مركزاً لنشر الدعوة، توفي فيها عام ٢٦٥هـ.

٤. الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل المقلب بـ «الرضي»: ولد عام ٢١٢ هـ وقيل ٢٢٨هـ؛ وتولّى الإمامة عام ٢٦٥ هـ ويقال انّه اتخذ عبد الله بن ميمون القداح حجة له وحجاباً عليه، توفي عام ٢٨٩هـ.

والمعروف بين الإسماعيلية انّ عبيد الله المهدي ـ الذي هاجر إلى المغرب وأسّس هناك الدولة الفاطمية ـ كان ابتداءً لعهد الأئمّة الظاهرين الذين جهروا بالدعوة وأخرجوها عن الاستتار.

التاسعة: انّهم عُرِفوا بالإسماعيلية تارة، والباطنية أُخرى، والملاحدة ثالثاً، وبالسبعية رابعاً.

قال المحقّق الطوسي: إنّما سُمُّوا بالإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق.

والباطنية لقولهم: كلّ ظاهر فله باطن، يكون ذلك الباطن مصدراً وذلك الظاهر مظهراً له، ولا يكون ظاهر لا باطن له إلاّ ما هو مثل السراب، ولا باطن لا ظاهر له إلاّ خيال لا أصل له.

ولقّبوا بالملاحدة لعدولهم من ظواهر الشريعة إلى بواطنها في بعض الأحوال.[1]

وأمّا تسميتهم بالسبعية، لأنّهم قالوا: إنّما الأئمّة تدور على سبعة سبعة، كأيام الأُسبوع، والسماوات السبع، والكواكب السبع.[2] فدور الإمامة عندهم لا يتجاوز عن سبعة، ثمّ يأتي دور آخر على هذا الشكل.

---

١. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد: ٣٠١.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/ ٢٠٠.

ويقول أيضاً: قالوا الإمام في عهد رسول الله ﷺ كان علياً ﵇، وبعده كان ابنه الحسن إماماً مستودعاً، وبعده الحسين إماماً مستقراً ولذلك لم تذهب الإمامة في ذرية الحسن ﵇، ثمّ نزلت الإمامة في ذرية الحسين، وانتهت بعده إلى علي ابنه، ثمّ إلى محمد ابنه، ثمّ إلى جعفر ابنه، ثمّ إلى إسماعيل ابنه وهو السابع.[1]

و معنى ذلك انّ الدور تمّ بإسماعيل، وهو متم الدور، وانّ ابنه بادئ للدور الآخر كالتالي:

١. محمد بن إسماعيل.

٢. عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقب بالرضي.

٣. أحمد بن عبد الله الملقب بالوفي.

٤. الحسين بن أحمد الملقب بالتقي.

٥. عبيد الله المهدي بن الحسين.

٦. القائم.

٧. المنصور، وبه يتم الدور ويبتدأ دور آخر بالإمام المعز لدين الله.

ولو قلنا بخروج الحسن ﵇ لكونه إماماً مستودعاً لا مستقراً يتم الدور بمحمد بن إسماعيل. ويأتي الدور الجديد، وسيوافيك تفصيله في بيان أدوار الإمامة.

وعلى كلّ تقدير فالسبعة عندهم لها مكانة خاصة، فلا يتجاوز دور الأئمّة في تمام مراحلها عن السبعة.

العاشرة: انّ المذهب الإسماعيلي لم يظهر على مسرح الحياة بصورة مذهب مدوّن متكامل، وإنّما أخذ بالتكامل عبر العصور، وفي ظل احتكاك الدعاة بأصحاب الحركات الباطنية أوّلاً، وأصحاب الفلسفات ثانياً. وقد ظهر في أوّل يوم

---

١. كشف الفوائد: ٣٠٣، المتن.

نشوئه بصورة عقيدة بسيطة، وهو أنّ الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه إسماعيل، وانّه لم يمت بل غاب ويظهر حتى يملك الأرض وهو القائم، وهذه هي الإسماعيلية المحضة، ولم يخالط هذه العقيدة شيء آخر.

نعم لما كان قبولها محفوفاً بغموض، فرجع بعضهم عن حياة إسماعيل، وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل لظنّهم انّ الإمامة كانت في أبيه، وانّ الابن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ.

والظاهر من الشيخ المفيد أنّ الفرقة الأُولى انقرضت ولم يبق منهم من يوماً إليه والفرقة الباقية إلى اليوم هي الإسماعيلية غير الخالصة.[1] ثمّ صار المذهب الواحد مذاهب متشتتة ومختلفة.و قد كان للدعاة تأثير في نضوج العقيدة الإسماعيلية وتكاملها مع اختلاف بينهم في بعض الأُصول فمثلاً الداعي النسفي (...ـ٣٣١هـ) وضع كتابه «المحصول» في فلسفة المذهب.

ثمّ جاء بعده أبو حاتم الرازي (٢٦٠ـ ٣٢٢هـ) فوضع كتابه «الإصلاح» وخالف فيه أقوال من سبقه.

ثمّ جاء بعده أبو يعقوب السجستاني الذي كان حيّاً سنة (٣٦٠هـ) وكان أُستاذاً للكرماني فانتصر للنسفي وخالف أبا حاتم.

ثمّ جاء الكرماني (٣٥٢ـ٤١١هـ) فألّف كتاب «راحة العقل»، واستطاع أن يوفق بين آراء شيخه «السجستاني» وبين آراء «أبي حاتم الرازي».

أضف إلى ذلك أنّ تأويل الظواهر لا يعتمد على ضابطة فكل يؤوّلها على ذوقه وسليقته، فتجد بينهم خلافاً شديداً في المسائل التأويلية.

الحادية عشرة: الذي ظهر لي من التتبّع في كتب الإسماعيلية انّ الفرقة المستعلية القاطنين في اليمن والهند أقرب إلى الحقّ وعقائد جمهور المسلمين من

---

١. المفيد: الإرشاد:٢٨٥.

النزارية، فالطبقة الأُولى متعبّدون بالظواهر وتطبيق العمل على الشريعة بخلاف أغلب النزارية خصوصاً الدعاة المتأخرين منهم، فإنّهم يواجهون الأحداث الطارئة والمستجدة بالتدخل في الشريعة [١]، ويظهر ذلك من أبحاثنا الآتية.

وأخيراً فالمذهب الإسماعيلي اكتنفه غموض وأحاطه إبهام، فإصابة الحقّ في جميع المراحل أمر مشكل، نستعينه سبحانه أن يوفقنا لبيان الحقّ ويحفظنا عن العثرة انّه هو المجيب.

والذي يهم الباحث هو تبيين جذور المذهب وانه كيف نشأ؟ وهل كان هناك اتصال بين الإسماعيلية، والحركات الباطنية التي نشأت في عصر الصادق عليه السلام أو لا؟ وهذا هو الذي نطرحه على طاولة البحث في الفصل القادم بعد المرور على كلمات أصحاب المعاجم في حقّهم.

---

١. أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٠٢ـ٢٤.



الفصل الثاني

الإسماعيلية
في
معاجم الملل والنحل



إنّ لـلإسماعيلية ذكـراً في كتب الملـل والنحل لا يتجـاوز عن ذكـر تـاريخ إمامهم الأوّل، إسماعيـل بن جعفر الصادق، وشيء يسير عن عقيـدتهم فيه، دون تبين عقـائدهم وأصـولهم التي يعتقـدون بها، والأحكام والفـروع التي يصـدرون عنها، وكلّ أخـذ عن الآخر، وربما زاد شيئاً، لا يُسمن ولا يغني مـن جوع، وإليك نصوصهم:

١. قال النـوبختي :فلمّـا توفي أبـو عبد الله جعفر بـن محمد عليه السلام افترقت شيعته بعده إلىٰ ست فـرق ـ إلى أن قـال: ـ وفرقة زعمت أنّ الإمام بعد جعفر بن محمد، ابنـه إسماعيل بن جعفر، وأنكرت مـوت إسماعيل في حياة أبيه، وقالـوا كان ذلك على جهة التلبيس مـن أبيه على الناس، لأنّه خاف فغيّبـه عنهم، وزعموا أنّ إسماعيل لا يموت حتى يملـك الأرض، ويقوم بأمر الناس، وأنّـه هو القائم، لأنّ أباه أشار إليـه بالإمامة بعده، وقلّـدهم ذلك له، وأخبرهم أنّه صـاحبه؛ والإمام لا يقول إلاّ الحقّ، فلما ظهـر موتـه علمنا انّـه قد صدَق، وانّـه القائم، وانّـه لم يمت، وهذه الفـرقة هـي «الإسماعيلية» الخالصة. وأُمّ إسماعيـل وعبد الله ابني جعفـر بن محمد عليه السلام فاطمـة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طـالب عليه السلام و أُمّهـا أُمّ حبيب بنـت عمر بـن علي بن أبي طـالب عليه السلام ، وأُمّهـا أسماء بنـت عقيل بـن أبي طالب عليه السلام .

وفرقـة ثالثة زعمـت أنّ الإمام بعد جعفـر بن محمد، محمد بـن إسماعيل بن جعفر، وأُمّه أُمّ ولـد، وقالوا: إنّ الأمر كـان لإسماعيل في حياة أبيه فلمّـا توفي قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمـرَ لمحمد بن إسماعيل، وكان الحقّ له، ولا يجوز غير ذلك لأنّها لا تنتقـل من أخ إلى أخ بعـد الحسـن والحسين عليهما السلام ، ولا تكـون إلاّ في

الأعقاب، ولم يكن لأخوي إسماعيل عبد الله وموسى في الإمامة حق، كما لم يكن لمحمد بن الحنفية حقّ مع علي بن الحسين؛ وأصحاب هذا القول يسمّون «المباركية» برئيس لهم كان يسمى (المبارك) مولى إسماعيل بن جعفر.[1]

٢. قال الأشعري: والصنف السابع عشر من الرافضة يزعمون أنّ جعفر بن محمد مات وأنّ الإمام بعد جعفر، ابنه (إسماعيل)، وأنكروا أن يكون إسماعيل ماتَ في حياة أبيه، وقالوا: لا يموت حتى يملك، لأنّ أباه قدكان يخبر أنّه وصيّه والإمام بعده.

والصنف الثامن عشر من الرافضة وهم «القرامطة» يزعمون أنّ النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب، وأنّ علياً نصّ على إمامة ابنه (الحسن)، وانّ الحسنَ ابن علي نصَّ على إمامة أخيه الحسين بن علي ، وأنّ الحسين بن علي نصّ على إمامة ابنه علي بن الحسين، وأنّ علي بن الحسين نصّ على إمامة ابنه محمد بن علي، ونصَّ محمد بن علي ، على إمامة ابنه جعفر، ونصّ جعفر على إمامة ابن ابنه«محمد ابن إسماعيل»، وزعموا أنّ «محمد بن إسماعيل» حيّ إلى اليوم لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنّه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به، واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم، يخبرون فيها أنّ سابع الأئمّة قائمهم.

والصنف التاسع عشر من الرافضة يسوقون الإمامة من علي بن أبي طالب على سبيل ما حكينا عن «القرامطة» حتى ينتهوا (بها) إلى جعفر بن محمد، ويزعمون أنّ جعفر بن محمد جعلها لإسماعيل ابنه، دون سائر ولده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه صارت في ابنه محمد بن إسماعيل، وهذا الصنف يُدعون ، «المباركية» نُسِبوا إلى رئيس لهم يقال له (المبارك) وزعموا أنّ محمد بن إسماعيل قد

---

١. النوبختي: فرق الشيعة:٦٦ـ ٦٩، ولكلام النوبختي صلة سيوافيك عند التعرض لجذور المذهب الإسماعيلي.

مات، وأنّها في ولده من بعده. [١]

٣. وقال البغدادي: الإسماعيلية وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أنّ الإمام بعده ابنه إسماعيل، وافترق هؤلاء فرقتين:

فرقة: منتظرة لإسماعيل بن جعفر؛ مع اتّفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه.

وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر، سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر، حيث إنّ جعفراً نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه، علمنا أنّه إنّما نصبَ ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل. [٢]

٤. وقال الاسفرائيني: وهم يزعمون أنّ الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل، وكذّبهم في هذه المقالة جميعُ أهل التواريخ، لِما صح عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر؛ وقوم من هذه الطائفة يقولون بإمامة محمد بن إسماعيل. وهذا مذهب الإسماعيلية من الباطنية. [٣]

٥. وقال الشهرستاني: الإسماعيلية الواقفية قالوا: إنّ الإمام بعد جعفر إسماعيل، نصّاً عليه باتّفاق من أولاده، إلاّ أنّهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه. فمنهم من قال: لم يمت، إلاّ أنّه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، وعقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة.

ومنهم من قال: الموت صحيح، والنصّ لا يَرجعُ قهقرى، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره. فالإمام بعد إسماعيل، محمد ابن إسماعيل؛ وهؤلاء يقال لهم «المباركيّة». ثمّ منهم من وقف على محمد بن

---

١. الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٢ـ٢٧، ولكلام الأشعري صلة سيوافيك بيانها في محلّه.

٢. البغدادي: الفرق بين الفرق: ٦٢.

٣. الاسفراييني: التبصير: ٣٨.

إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته.

و منهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثمّ في الظاهرين القائمين من بعدهم، وهم «الباطنية».

وسنذكر مذاهبهم على الانفراد. وإنّما مذهب هذه الفرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسماعيل. والإسماعيلية المشهورة في الفرق منهم هم «الباطنية التعليمية» الذين لهم مقالة مفردة. (١)

٦. وقال المفيد: ولما مات إسماعيل رحمه الله انصرف القول عن إمامته من كان يظن ذلك، فيعتقده من أصحاب أبيه، وأقام على حياته شرذمة لم تكن من خاصة أبيه، ولا من الرواة عنه، وكانوا من الأباعد والأطراف.

فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القولِ بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام، وافترق الباقون فريقين، فريق منهم رجعوا عن حياة إسماعيل، وقالوا: بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، لظنهم أنّ الإمامة كانت في أبيه، وأنّ الابن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ.

وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل، وهم اليوم شُذّاذ لا يعرف منهم أحد يومى إليه، وهذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية، والمعروف منهم الآن مَنْ يزعم أنّ الإمامة بعد إسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان. (٢)

٧. وقال صاحب الأعيان: الإسماعيلية هم القائلون بإمامة إسماعيل هذا، ويدل كلام المفيد (الماضي) على أنّ هذا القول كان موجوداً من عصر الصادق عليه السلام، وأنّ شِرذمة اعتقدوا حياته، أو بعد موت أبيه بقي بعضهم على القول بحياة إسماعيل، وبعضهم قال: بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، ولقب الإسماعيلية يعم الفريقين، وأنّ الموجود منهم في عصر المفيد من يزعم أنّ الإمامة بعد إسماعيل في

---

١. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/ ١٦٧ـ١٦٨.

٢. المفيد: الإرشاد: ٢٨٥.

ولده وولد ولده إلى آخر الزمان.

و يقال الإسماعيلية «السبعية» أيضاً باعتبار مخالفتهم للاثني عشرية في الإمام السابع. وفرقة من الإسماعيلية تدعىٰ الباطنية وكان لها ذكر مستفيض في التاريخ وصارت لها قوة، وشدّة، ووقائع عدّة مع الملوك والأُمراء، كما فصلته كتب التاريخ.

وفي أنساب السمعاني: «الفرقة الإسماعيلية جماعة من الباطنية ينتسبون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، لانتساب زعيمهم المغربي إلى محمد بن إسماعيل. وفي كتاب الشجرة انّه لم يعقب (انتهى).

و «الإسماعيلية» اليوم فرقتان: إحداهما:

الآغاخانية

يسوقون الإمامة في ذرية إسماعيل، ويعدّون فيهم جملة من خلفاء مصر، حتى ينتهوا إلى محمد شاه (الآغاخان الثالث) الموجود اليوم في بمبيْ، ويبعثون إليه بخمس أموالهم، ومنهم الذين بسلْمية من بلاد حَماة.

والفرقة الثانية: البُهَرة

بضم الباء وسكون الهاء وفتح الراء، لفظ هندي، معناه الجدّ والعمل، وهم يسوقون الإمامة في ولد إسماعيل، حتى ينتهوا إلى شخص يقولون: إنّه المهدي المنتظر، و إنّه غائب. [1]

---

١. الأولى أن يقال: هم يسوقون الإمامة بعد المستنصر، إلى المستعلي، فالآمر بأحكام الله، فالحافظ لدين الله، فالظافر لدين الله، فالظاهر بأمر الله، فالفائز، فالعاضد، عند ذلك دخلت الدعوة المستعلية في كهف الاستتار بل دخلت بعد وفاة الآمر بأحكام الله، وهؤلاء الأئمة الأربعة كانت دعاة، لأنّ الآمر بأحكام الله مات بلا عقب وربما يقال ولد له باسم الطيب، و ثالثة بأنّ المولود كان أُنثى.

أمّا الذي يطلقون عليه اسم سلطان البهرة فالظاهر أنّه من قبيل النائب عن الإمام الغائب، ويبلغ عدد البهرة في الهند واليمن وغيرها نحو أربعمائة ألف، وهم أهل جدّ وكسب، ولا يوجد بينهم فقير، والفقير منهـم يُوجِدون له عملاً من تجارة أو غيرها يكتفـي به، ولهم مـلاجئ وتكايـا عامـة في البلاد التي يقصـدونها للحج والزيـارة، في مكّة، والمدينة، والنجـف، وكربلاء، وغيرهـا.وهي مبانٍ تامـة المرافق يَنزلونها ولا يحتاجون إلى النزول في فندق أو خلافه، وهم متمسكون بشرائع الدين. وكان خلفـاء مصر الفاطميون على مذهب الإسماعيليـة، القائلين بانتقال الإمـامة من الصادق عليه السلام إلى ولده إسماعيل، ثمّ في أولاده، وكانـوا يقيمون شعائر الإسلام، ويحافظون على أحكامـه، وما كان يذمهـم أو بعضهم بعض المؤرّخين إلاّ للعداوة المذهبية، ولا يمكـن التصديق بما ينسبه بعض المؤرّخين إلى بعضهم، بعـد تأصّل العـداوة المذهبيـة في النفـوس، كما أنّ جماعـة من أهـل هـذا العصر يخلطـون بين الفريقين جهلاً أو تجاهلاً. [١]

***

هذه الأقوال والآراء فيهم، توقفنا على أنّ القومَ لم يكن لهم موقف واحد تجاه سوق الإمامة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام.

فمنهم من أنكـر الواضحات، وقـال: بأنّ إسماعيل لم يمت، وإنّـه القائم، وهذه هي الإسماعيلية الخالصة. [٢]

وأمّا اشهـاد الإمام على موته فلم يكـن إلاّ إظهاراً لموته تقيةً مـن خلفاء بني العباس، وأنّه عقد محضراً، وأشهدَ عليه عامل المنصور بالمدينة. [٣]

وهذه الطـائفة لا تسوق الإمـامة بعد إسماعيل إلى غيره، وإنّما تنتظـر خروج

---

١. السيد الأمين: أعيان الشيعة: ٣/ ٣١٦.

٢. النوبختي: فرق الشيعة: ٦٠.

٣. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/ ١٦٧.

قائمهم.

ومنهم من قال: إنّ موته صحيح، وإنّ الإمـام الصادق لمّا نصّ على إمامته، والنص لا يرجع قهقرى، ففائدة النص بقـاء الإمامة في أولاد المنصـوص عليه دون غيرهم، فـالإمـام بعد إسماعيـل، محمد بن إسماعيـل، ثمّ إنّ هـذه الطائفــة على رأيين:

فمنهم: من وقف على محمد بن إسماعيل، وقال: برجعته بعد غيبته؛ وهؤلاء القرامطة.

ومنهم: من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثمّ في الظاهرين القائمين من بعدهم.

وقد سبقت الإشارة إلى نص الشيخ المفيـد،و أنّه لا يعرف من الواقفين على إسماعيل، أو ابنه محمد المنتظرين لرجعته أحداً؛ والمعروف هو سوق الإمامة في ولد إسماعيل إلى آخر الزمان.

و سيوافيك الكلام في الأئمة المستورين والظاهرين إن شاء الله.

هـذا ما وقفنـا عليـه في معـاجم الملل والنحـل وهو ـــ كما تـرى ـــ لا يغني الباحث ، فليـس فيها شيء من أُصولهم وعقـائدهم، ولا من فروعهـم، وثوراتهم، ودولهم، وحضارتهم، وكتبهم وآثارهم العلمية.

والمهم في المقام هو دراسة جذور المذهـب وانّه كيف نشأ وهذا ما سنبحث عنه في الفصل القادم إن شاء الله.



الفصل الثالث

الحركات الباطنية

في

عصر الإمام الصادق (عليه السلام)



من المشاكل التي واجهت أئمّة أهل البيت ﷺ هي الحركات الباطنية التي تزعمها الموالي والعناصر المستسلمة، المندسّة بين أصحاب أئمة أهل البيت ﷺ في عصر الصادقين ﷺ.

فقد سنحت الظروف للإمام الباقر والصادق ﷺ أن يؤسّسا جامعة إسلامية كبيرة دامت نصف قرن كان لها صدى كبير في العالم الإسلامي، فقاما بتربية نخبة من الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين البارزين، وحفظا بذلك السنّة النبوية من الاندثار بعدما كان التحدّث بها وكتابتها أمراً محظوراً أو مكروهاً إلى عهد الخليفة العباسي المنصور الدوانيقي.

فأضحت تلك الجامعة شوكة في أعين خصومها،فقامت ثلة من العناصر الدخيلة بالانخراط في صفوف أصحاب الأئمّة بغية التخريب والتضليل، وتشويه سمعة أئمّة أهل البيت ﷺ أوّلاً، وهدم كيان الإسلام ثانياً. وقد شكّلت تلك العناصر فيما بعد اللبنة الأُولى للحركات الباطنية التي جرّت الويلات على الإسلام والمسلمين، فاتّخذ الإمام الصادق ﷺ موقفاً حازماً أمامها تجنباً لأخطارها، فأعلن للملأ الإسلامي براءته من تلك الفئات المنحرفة عن الدين والإسلام وتكفيرها وانّ عاقبتها النار.

و من جملة الذين أبدعوا الحركات الباطنية وأغروا جماعة من شيعة أئمّة أهل البيت ﷺ هو محمد بن مقلاص المعروف بأبي الخطاب الأسدي، وزملاؤه، نظير: المغيرة بن سعيد، وبشار الشعيري وغيرهم، فقد تبرّأ منهم الإمام ﷺ على رؤوس الأشهاد. ونركز البحث هنا على رئيس الفرقة الباطنية ، أعني: أبا زينب محمد بن مقلاص الأسدي.

ولعرض صورة صحيحة عن عقائد الخطابية، نأتي بنصوص علماء الفريقين ليتبين من خلالها جذور الدعوة الإسماعيلية ، وانّها ليست سوى استمراراً لتلك الحركة الباطنية التي تزعّمها أبو زينب:

١. الكشي والخطابية

إنّ الكشي أحد الرجاليين الذي عاش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، ووضع كتابه في الرجال على أساس الروايات المروية عن أئمة أهل البيت في حقّ الرواة، فقال ما هذا نصّه:

١. روى أبو أُسامة قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام :أؤخر المغرب حتى تستبين النجوم؟ فقال: «خطابية؟! انّ جبرئيل أنزلها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سقط القرص» ...

٢. كتب أبو عبد الله إلى أبي الخطاب: «بلغني أنّك تزعم أنّ الزنا رجل، وأنّ الخمر رجل، وأنّ الصلاة رجل، والصيام رجل، والفواحش رجل، وليس هو كما تقول، أنا أصل الحقّ وفروع الحقّ طاعة الله، وعدونا أصل الشر وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لا يعرف وكيف يعرف من لا يطاع؟»

٣. قيل للإمام الصادق عليه السلام روي عنكم أنّ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال، فقال: «ما كان الله عزّ وجلّ ليخاطب خلقه بما لا يعلمون».

٤. روى أبو بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام :«يا أبا محمد: أبرأ ممّن يزعم انّا أرباب» قلت: بريءٌ الله منه، فقال: «أبرأ ممّن زعم أنّا أنبياء» قلت: بريءٌ الله منه.

٥. روى عبد الصمد بن بشير عن مصادف قال: ما لبّى القوم الذين لبّوا بالكوفة ــ أي قالوا: لبيك جعفر، وهؤلاء هم الغلاة فيه ـ دخلت علي أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بذلك، فخرّ ساجداً ودق جؤجؤه بالأرض وبكى ــ إلى أن قال:ـ فندمت على إخباري إيّاه، فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذاه فقال:

«إنّ عيسى لو سكت عمّا قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره، ولو سكت عمّا قال فيّ أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري».

٦. روى علي بن حسان عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله، قال: ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب فقيل انّه صار إلى ببروذ، وقال فيهم وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله قال هو الإمام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبداً، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيئاً قط، وانّ عزيراً جال في صدره ما قالت اليهود فمحا الله اسمه من النبوة».

٧. روى الحسن الوشاء عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قال بأنّنا أنبياء الله، فعليه لعنة الله».

٨. روى ابن مسكان عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «لعن الله من قال فينا مالا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا».

٩. عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله: إنّ قوماً يزعمون انّكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً: يا أيّها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنّي بما تعملون عليم، قال: «يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، برئ الله منهم ورسوله ما هؤلاء على ديني ودين آبائي».[1]

فلما نهض أبو الخطاب بدعوته الفاسدة، ووصلت إلى مسامع عامل الخليفة دعا عيسى بن موسى للقضاء عليها واجتثاث جذورها.

---

١. الروايات مأخوذة من رجال الكشي: ٢٤٦ـ٢٦٠، مؤسسة الأعلمي، بيروت. ولاحظ الوسائل، الجزء ٣ الباب ١٨ من أبواب المواقيت، فقد جاءت فيه روايات تذم عمل أبي الخطاب وتحذر الشيعة من اتباعه.

١٠. كان سالم من أصحاب أبي الخطاب، وكان في المسجد يوم بعث عيسى ابن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس ـ وكان عامل المنصور على الكوفة ـ إلى أبي الخطاب لمّا بلغه انّهم أظهروا الإباحات، ودعوا الناس إلى نبوة أبي الخطاب، وانّهم يجتمعون في المسجد ولزموا الأساطين يرون الناس انّهم قد لزموها للعبادة، وبعث إليهم رجلاً فقتلهم جميعاً لم يفلت منهم إلاّ رجل واحد أصابته جراحات فسقط بين القتلى يعدّ فيهم، فلمّا جنّه الليل خرج من بينهم فتخلص، وهو أبو سلمة سالم بن مكرم الجمال الملقب بأبي خديجة. [1]

هذه نصوص عشرة توقفك على جلية الحال، وانّ الحركة الباطنية أُسست بيد الخطابية، وسيظهر انّ أتباع أبي زينب تحولوا فيما بعد إلى جانب محمد بن إسماعيل ووجدوه مرتعاً خصباً، عندها تألّق نجم ابن إسماعيل بعد انتمائهم له.

هذه الروايات التي رواها الكشي تعرب عن وجود القول بالإلوهية والمقامات الغيبية للأئمّة حتى انّ الحلول في الأئمّة كان من نتاج أفكار أبي زينب وأصحابه في أواسط القرن الثاني، حتّىٰ طردهم الإمام الصادق ولعنهم وتبرّأ منهم، ونهى أصحابه عن مخالطتهم.

٢. الأشعري والخطابية

وليس الكشي ممّن انفرد في نقل تلك العقائد، فقد نسبها إليهم الأشعري أيضاً في «مقالات الإسلاميين» وذكر ما هذا نصه:

الخطابية على خمس فرق: كلّهم يزعمون انّ الأئمة أنبياء محدَّثون، ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان: واحد ناطق والآخر صامت، فالناطق محمد ﷺ والصامت علي بن أبي طالب، فهم في الأرض اليوم طاعتهم مفترضة على جميع الخلق، يعلمون ما كان، و ما هو كائن، وزعموا أنّ أبا الخطاب نبي، وانّ

---

١. رجال الكشي: ٣٠١. وقد اقتصرنا من الكثير بالقليل، ومن أراد التفصيل فليرجع إليه.

أولئك الرسل فرضوا عليهم طاعة أبي الخطاب، وقالوا: الأئمة آلهة، وقالوا في أنفسهم مثل ذلك، وقالوا: ولد الحسين أبناء الله وأحباؤه، ثمّ قالوا ذلك في أنفسهم، وتأوّلوا قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [1] قالوا: فهو آدم ونحن ولده، وعبدوا أبا الخطاب وزعموا أنّه إله، وزعموا أنّ جعفر بن محمد إلههم أيضاً إلاّ أنّ أبا الخطاب أعظم منه، وأعظم من عليّ، وخرج أبو الخطاب على أبي جعفر فقتله عيسى بن موسى في سبخة الكوفة، وهم يتديّنون بشهادة الزور لموافقيهم.

والفرقة الثانية من «الخطابية»: وهي الفرقة السابعة من الغالية يزعمون أنّ الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له«معمر» وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب، وزعموا أنّ الدنيا لا تفنى، وانّ الجنّة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية، وانّ النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك، وقالوا بالتناسخ، وانّهم لا يموتون، ولكن يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت، وتوضع للناس أجساد شبه أجسادهم، واستحلوا الخمر والزنا واستحلوا سائر المحرمات، ودانوا بترك الصلاة، وهم يُسمّون «المعمرية» ويقال انّهم يسمّون «العمومية».

والفرقة الثالثة من «الخطابية»: وهي الثامنة من الغالية يقال لهم«البزيغية» أصحاب «بزيغ بن موسى» يزعمون أنّ جعفر بن محمد هو الله، وأنّه ليس بالذي يرون، وأنّه تشبّه للناس بهذه الصورة، وزعموا أنّ كلّ ما يحدث في قلوبهم وحي، وأنّ كلّ مؤمن يوحى إليه وتأوّلوا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [2] أي بوحي من الله، وقوله: ﴿وَ أَوْحىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ . [3] و ﴿إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوارِيّينَ﴾ [4]، وزعموا أنّ منهم من هو خير من جبريل وميكائيل

١. ص:٧٢.
٢. آل عمران:١٤٥ .
٣. النحل:٦٨ .
٤. المائدة:١١١ .

ومحمد، وزعمـوا أنّه لا يموتُ منهم أحـد، وأنّ أحدهم إذا بلغت عبـادَته رُفع إلى الملكوت، وادّعوا معاينة أمواتهم، وزعموا أنّهم يرونَهم بكرة وعشية.

والفـرقـة الرابعـة من «الخطـابيـة»: وهـي التـاسعـة من الغـاليـة يقـال لهم«العميرية» أصحـاب «عمير بن بيـان العجلي» وهذه الفرقـة تكذّب مـن قال منهم انّهم لا يمـوتون، ويـزعمون أنّهم يمـوتون، ولا يـزال خلف منهم في الأرض أئمّة أنبياء، وعبـدوا جعفراً كما عبده «اليعمريـون»، وزعموا أنّه ربهم، وقد كـانوا ضربوا خيمة في كناسة الكوفة، ثم اجتمعـوا إلى عبادة جعفر، فأخذ يزيد بن عمر ابن هبيرة ، «عمير بن البيان» فقتله في الكناسة، وحبس بعضهم.

والفرقـة الخامسة من «الخطـابية»: وهـي العـاشرة من الغـاليـة يقـال لهم «المفضلية» لأنّ رئيسهم كان صيرفياً يقال له «المفضّل» يقـولون بربوبية جعفر، كما قال غيرهم من أصناف الخطابية، وانتحلوا النبـوة والرسالة وإنّما خالفوا في البراءة من «أبي الخطاب» لأنّ جعفراً أظهر البراءة منه. [١]

٣. النوبختي والخطابية

وقد ذكر النوبختي فرقهم، وأضاف: إنّ الخطابية هم الذين خرجوا في حياة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام فحاربوا عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس، وكان عاملاً على الكوفـة، فبلغه عنهم أنّهم أظهروا الإباحات، ودعوا إلى نبوة أبي الخطاب، وأنّهم مجتمعون في مسجد الكوفـة، فبعث إليه فحاربوه وامتنعوا عليه، وكانوا سبعين رجلاً، فقتلهم جميعـاً، فلم يفلت منهم إلاّ رجل واحد أصابته جراحات فعـدّ في القتلى، فتخلّص، وهو أبو سلمة سـالم بن مكرم الجمال الملقّب بأبي خديجة وكان يزعـم أنّه مات فرجع، فحاربوا عيسى محاربة شـديدة بالحجارة والقصب والسكاكين، لأنّهم جعلوا القصب مكان الرماح.

---

١. الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١٠ ـ ١٣.

وقد كان أبو الخطاب قال لهم: قاتلوهم فإنّ قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف، ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضرّكم ولا تخلّ فيكم، فقدّمهم عشرة عشرة للمحاربة، فلمّا قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً، قالوا له: ما ترى ما يحل بنا من القوم وما نرى قصبنا يعمل فيهم ولا يُؤثر، وقد عمل سلاحهم فينا وقُتل من ترى منهم، فذكر لهم ما رواه العامة أنّه قال لهم: إن كان قد بدا لله فيكم فما ذنبي، وقال لهم ما رواه الشيعة: يا قوم قد بُليتم وامتحنتم وأُذن في قتلكم، فقاتلوا على دينكم وأحسابكم، ولا تعطوا بلدتكم، فتذلّوا مع أنكم لا تتخلصون من القتل فموتوا كراماً، فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرهم، وأُسر أبوالخطاب فأُتي به عيسى بن موسى فقتله في دار الرزق على شاطئ الفرات، وصلب مع جماعة منهم، ثمّ أمر بإحراقه فأُحرقوا، وبعث برؤوسهم إلى المنصور فصلبها على باب مدينة بغداد ثلاثة أيام، ثمّ أُحرقت.[1]

٤. الطبري والحركات الباطنية

يظهر ممّا رواه الطبري في تاريخه وابن الجوزي في منتظمه تفشّي هذا النوع من الإلحاد عند غير الخطابية أيضاً، وإليك نص ابن الجوزي في هذا المقام:

خروج الراوندية، وهم قوم من أهل خراسان كانوا على رأي أبي مسلم، إلاّ أنّهم يقولون بتناسخ الأرواح، ويدّعون أنّ روح آدم عليه السلام في عثمان بن نهيك، وأنّ ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأنّ الهيثم بن معاوية جبرائيل.

وهؤلاء طائفة من الباطنية يسمّون السبعية يقولون: الأرضون سبع، والسماوات سبع، والأُسبوع سبعة يدل على أنّ دور الأئمّة يتم بسبعة. فعدوا: العباس، ثمّ ابنه عبد الله، ثمّ ابنه علي، ثمّ محمد بن علي، ثمّ إبراهيم، ثمّ السفاح،

---

١. النوبختي: فرق الشيعة: ٦٩ـ٧٠.

ثمّ المنصور، فقالوا: هو السابع. وكانوا يطوفون حول قصر المنصور ويقولون: هذا قصر ربنا.

فأرسل المنصور، فحبس منهم مائتين ـ وكانوا ستمائة ـ فغضب أصحابهم الباقون ودخلوا السجن، فأخرجوهم وقصدوا نحو المنصور، فتنادى الناس، وغلقت أبواب المدينة، وخرج المنصور ماشياً ولم يكن عنده دابة، فمن ذلك الوقت ارتبط فرساً، فسمي: فرس النوبة، يكون معه في قصره، فأتي بدابة فركبها وجاء معن بن زائدة فرمى بنفسه وقال: أُنشدك الله يا أمير المؤمنين إلاّ رجعت، فإنّي أخاف عليك. فلم يقبل وخرج، فاجتمع إليه الناس، وجاء عثمان بن نهيك فكلّمهم، فرموه بنشابة وكانت سبب هلاكه، ثمّ حمل الناس عليهم فقتلوهم، وكان ذلك في المدينة الهاشمية بالكوفة في سنة إحدى وأربعين. [١]

تحول الخطابية إلى الإسماعيلية

إنّ الخطابية بعد قتل زعيمهم توجهوا إلى محمد بن إسماعيل، وقد كان بعض الضالين يؤم والده إسماعيل بن جعفر، ولكن الإمام الصادق عليه السلام آيسه من إضلاله.

روى الكشي عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول للمفضل بن عمر الجعفي: «يا كافر، يا مشرك مالك ولإبني» ـ يعني: إسماعيل بن جعفر ـ وكان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطابية، ثمّ رجع عنه. [٢]

والذي يدل على أنّ المذهب الإسماعيلي نشأ وترعرع في أحضان الخطابية، وإن لم يتبنّ كل ما تبنّته الخطابية، هي النصوص التاريخية التي سنتلوها عليك واحداً تلو الآخر:

---

١. ابن الجوزي: المنتظم: ٨/ ٢٩ـ٣٠، تاريخ الطبري: ٦/ ١٤٧ـ١٤٨.

٢. الكشي: الرجال: ٣٢١ برقم ٥٨١، في ترجمة المفضل بن عمر.

١. قال النوبختي: ثمّ خرج ـ بعد قتل أبي الخطاب ـ من قال بمقالته من أهل الكوفة و غيرهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد قتل أبي الخطاب، فقالوا بإمامته وأقاموا عليها.

و صنوف الغالية افترقوا بعده على مقالات كثيرة، إلى أن قال: فقالت فرقة منهم إنّ روح جعفر بن محمد جعلت في أبي الخطاب، ثمّ تحوّلت بعد غيبة أبي الخطاب في محمد بن إسماعيل بن جعفر وتشعبت منهم فرقة من المباركية ممّن قال بهذه المقالة تسمّى القرامطة. [١]

٢. إنّ تقسيم الإمام إلى صامت وناطق من صميم عقائد الإسماعيلية، ونرى نفس ذلك التقسيم لدى الخطابية، وقد مر تصريح الأشعري بذلك حينما قال:

منهم رسولان: واحد ناطق، والآخر صامت؛ فالناطق محمد، والصامت علي ابن أبي طالب. [٢]

و يذكر ذلك التقسيم أيضاً البغدادي عند ذكره للخطابية حيث قال:

وأتباعه كانوا يقولون ينبغي أن يكون في كلّ وقت إمام ناطق وآخر ساكت، والأئمّة يكونون آلهة، و يعرفون الغيب، ويقولون انّ علياً في وقت النبي صامتاً، وكان النبي ﷺ ناطقاً، ثمّ صار علي بعده ناطقاً. وهكذا يقولون في الأئمة بعد أن انتهى الأمر إلى جعفر ، وكان أبو الخطاب في وقته إماماً صامتاً وصار بعده ناطقاً. [٣]

٣. قال المقريزي: إنّ أتباع أبي الخطاب متفقون على أنّ الأئمّة مثل علي وأولاده كلّهم أنبياء، وإنّه لابدّ من رسولين لكلّ أمّة أحدهما ناطق والآخر صامت،

---

١. النوبختي: فرق الشيعة: ٧١.

٢. مقالات الإسلاميين: ١٠.

٣. البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٤٧ـ٢٤٨.

فكان محمد ناطقاً وعلي صامتاً، وإنّ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كان نبياً، ثمّ انتقلت النبوة إلى أبي الخطاب. [١]

٤. قد وقفت على ما نقلناه عن الكشي من أنّ الخطابية كانت تؤوّل الآيات إلى مفاهيم غير مفهومة من ظواهر الآيات، حتى أنّه أوّل الخمر والميسر والأنصاب والأزلام بأنّها رجال، فلما بلغ التأويل إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال رداً عليه: «ما كان الله عزّ وجلّ ليخاطب خلقه بما لا يعلمون». [٢]

ومن الواضح أنّ الإسماعيلية وضعت لكلّ ظاهر باطناً، واتخذت من التأويل ركناً أساسياً لها.

كما وذكر الشهرستاني والمقريزي شيئاً من تأويلات الخطابية. [٣]

قال الشهرستاني: زعم أبو الخطاب أنّ الأئمة أنبياء ثمّ آلهة، وقال بإلهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه. وا لإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار. وزعم أنّ جعفراً هو الإله في زمانه، وليس هو المحسوس الذي يرونه، ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها، ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته، قتله بسبخة الكوفة. [٤]

وقد عرفت أيضاً شيئاً من تأويلاتهم في كلام الكشي.

و من خلال استعراض تلك النصوص نخرج بهذه النتيجة انّ حقيقة التطرّف المشاهد في المذهب الإسماعيلي طرأت عليه من قبل أصحاب أبي الخطاب الذين استغلوا إمامة محمد بن إسماعيل لبث آرائهم.

---

١. المقريزي: الخطط: ٢/ ٣٥٢.

٢. الكشي: ترجمة ابن الخطاب، برقم ١٣٥.

٣و٤. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/ ١٥٩؛ المقريزي: الخطط: ٢/ ٢٥٢.

إنّ للمذهب الإسماعيلي دعائم ثلاث:

الأوّل: التمسك بالتأويل، والقول بأنّ لكلّ ظاهر باطناً.

الثاني: أخذ الفلسفة اليونانية، بأبعادها المختلفة في الإلهيات والطبيعيات والفلكيات سناداً وعماداً للمذهب كما سيظهر.

الثالث: الغلو في حقّ أئمّتهم وتزويدهم بصلاحيات واختصاصات واسعة لا دليل عليها من العقل ولا الشرع .[1]

فخرجنا بهذه النتيجة: انّ الإسماعيلية كانت فرقة واحدة، فانشقت إلى: قرامطة ودروز، وبهرة، ونزارية وسيوافيك تفصيلها في الفصول الآتية.

---

١. تقدّم الكلام في ذلك تفصيلاً في الفصل الأوّل.



الفصل الرابع

عبد الله بن ميمون القداح

إسماعيلي أو اثنا عشري ؟



إنّ عبد الله بن ميمون القدّاح (١٩٠ـ٢٧٠هـ) من أقطاب الدعوة الإسماعيلية،و سيوافيك نصوص الرجاليين في حقّه، غير انّا نركز في هذا المقام على أنّ عبد الله بن ميمون الإسماعيلي غير عبد الله بن ميمون الاثني عشري، فهما شخصان، لا شخص واحد، فنقول:

إنّ عبد الله بن ميمون القداح أحد رواة الشيعة، المعروفين بالوثاقة، وقد روى زهاء ستين رواية عن أئمة أهل البيت في مختلف الأبواب الفقهية، فتارة عن الصادق عليه السلام مباشرة، وأُخرى عن الباقر وعلي بن أبي طالب بالواسطة، ولم نر في كتب الرجال الشيعية أي غموض في سيرته إلّا الشيء اليسير من اتهامه بالتزيّد.

وأمّا أبوه فقد صحب أئمّة ثلاثة هم: زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام و الإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام والإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ، ولم يذكر له توثيق.

هذا من جانب ومن جانب آخر يحدّثنا كتّاب المقالات انّ عبد الله بن ميمون القداح وأبوه قد انضما إلى الحركة الباطنية وتحرّكا في رقعة كبيرة من العالم الإسلامي بين الكوفة والمغرب.

كلُّ ذلك ممّا يجعل الباحث في حيرة من أمرهما، ولكن الحقّ انّ ما ذكرته كتب الرجال عن شخصية عبد الله بن ميمون وأبيه تختلف ماهويّةً عمّا ذكره أصحاب المقالات له ولأبيه، وإنّما حصل الخلط للاشتراك في التسمية، ولا يتجلّى ذلك بوضوح إلّا بعد الوقوف على نصوص كلّ منهما.

إنّ مقارنة النصوص لدليل واضح على تعدد المسمّين ولنذكر نصوص الرجاليين من الشيعة أوّلاً.

عبد الله بن ميمون الإمامي في كتب الرجال

قـال البرقي في فصل أصحـاب الإمام الصـادق عليه السلام :عبـد الله بن ميمـون القداح، مولى بني مخزوم، كان يبري القداح.[١]

وقال الكشي: عبد الله بن ميمون القداح المكـي، قال حدثني حمدويه، عن أيّوب بن نوح، عن جعفر بن يحيى، عن أبي خالد، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يـا ابن ميمون كم أنتم بمكـة؟» قلت: نحن أربعة، قـال: «أما إنكم نور في ظلمات الأرض».[٢]

وقال النجاشي: عبد الله بن ميمـون بن الأسود القداح مولى بني مخزوم يبري القداح، روى أبوه عـن: أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وروىٰ هو عـن أبي عبد الله عليه السلام، وكان ثقة. له كتـب، منها: كتاب «مبعث النبي صلى الله عليه وآله وأخباره»، وكتاب «صفة الجنة والنار» ثمّ ذكر سنده إلى كتبه.[٣]

وقال الشيخ الطـوسي: عبد الله بن ميمون القـداح له كتاب، ثمّ ذكـر سنده إلى كتابه.[٤]

وقال الشيـخ أيضاً: عبد الله بن ميمـون القداح المكي، كـان يبري القداح، مولىٰ بني مخزوم.[٥]

وذكـر أبـاه في أصحـاب علي بن الحسين عليهما السلام[٦] وذكره أيضـاً في أصحاب

---

١. رجال البرقي:٢٢، طبعة جامعة طهران.

٢. الكشي: الرجال: برقم ١٢٤، وقد أتى بنفس النص تحت رقم ٢٤٧.

٣. النجاشي: الرجال: برقم ٥٥٥.

٤. الطوسي: الفهرست:١٢٩ برقم ٤٤٣.

٥. الفهرست: أصحاب الإمام الصادق، باب العين برقم ٤٠.

٦. الرجال: أصحاب علي بن الحسين، باب الميم، برقم ١٠.

الإمام الباقر، وقال: ميمون القداح مولى بني مخزوم مكي. [1]

هذا ما في كتب الشيعة، وأمّا الكتب الرجالية لأهل السنة، فقد ذكره ابن حجر في «تهذيب التهذيب» وقال: عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي، مولاهم المكي.

روى عن: جعفر بن محمد، وإسماعيل بن أُميّة، ويحيى بن الأنصاري، وعثمان بن الأسود وغيرهم. [2]

وقال في «تقريب التهذيب»: عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي، المكي، متروك من الثامنة. [3]

و تتلخّص مواصفاته التي ذكرت في الكتب الرجالية بالأُمور التالية:

الأوّل: اسمه ونسبه: وهو عبد الله بن ميمون بن الأسود أو ابن داود.

الثاني: الوطن: فهو مكي من بني مخزوم، وقد عرفت عن الكشي انّ أبا جعفر الباقر عليه السلام قال له: يابن ميمون كم أنتم بمكة؟

الثالث: الولاء: انّه مخزومي ولاءً كما قال النجاشي: مولى بني مخزوم. و مثله الشيخ في الفهرست.

الرابع: العصر: فقد عاصر والده الأئمّة الثلاثة: زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق عليهم السلام.

وأمّا الولد فقد عاصر الإمامين: الباقر والصادق عليهما السلام و روى عنهما، كما في رواية الكشي انّ أبا جعفر، قال: «يابن ميمون كم أنتم بمكة؟».

---

١. المصدر السابق: أصحاب الإمام الباقر، باب الجيم، برقم ١٣.

٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب:٦/ ٤٩، وقد سمّىٰ جدّه «داود»، خلافاً للنجاشي حيث سمّاه «الأسود».

٣. ابن حجر: تقريب التهذيب:١/ ٤٥٥، برقم ٦٧٩.

وما في رجال النجاشي من أنّه روى عن أبي عبد الله محمول على كثرة رواياته عن أبي عبد الله وقلّته عن أبي جعفر، وإلاّ فقد عرفت نقل الكشي روايته عن أبي جعفر مباشرة إلاّ أن يقال بسقوط الواسطة عن قلم الكشي.

وبما أنّ الوالد صحب الأئمة الثلاثة:

١. الإمام زين العابدين عليه السلام (م ٩٤).

٢. الإمام الباقر عليه السلام (م ١١٤).

٣. الإمام الصادق عليه السلام (م ١٤٨).

و الولد صحب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام فقط، ولم يرو شيئاً عن الإمام الكاظم عليه السلام، وطبيعة الحال تقتضي أنّ الوالد توفي في حياة الإمام الصادق عليه السلام وتوفي الولد أواخر إمامته أو بعدها بقليل.

و يؤيد ذلك: انّ أبا عبد الله البرقي والد صاحب المحاسن، وأحمد بن محمد ابن عيسى الأشعري كلاهما[1] ممّن لقيا الرضا عليه السلام مع أنّهما يرويان عن عبدالله بن ميمون بواسطة جعفر بن محمد بن عبيد الله، فيكون عبد الله، متأخراً عن جعفر ومعاصراً لتلامذة الإمام الصادق.

الخامس: وجه التلقيب: فقدلقّب بـ «القداح»، لأنّه كان يبري القداح.

عبد الله بن ميمون الإسماعيلي

و إليك بيان ما يذكره أصحاب المقالات والمؤرّخون حوله:

١. قال البغدادي في «الفرق بين الفرق»:

قال أصحاب المقالات إنّ الذين أسّسوا دعوة الباطنية جماعة: منهم

---

١. لاحظ رجال النجاشي: برقم ٥٥٥، وفهرست الشيخ، أصحاب الإمام الصادق، باب العين، برقم ٤٠.

«ميمون بن ديصان» المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من الأهواز، ومنهم: محمد بن الحسين الملقب بدندان، اجتمعوا كلّهم مع ميمون ابن ديصان في سجن والي العراق، فأسّسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثمّ ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بدندان، وابتدأ بالدعوة في ناحية توز.

فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين، ثمّ رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب وزعم أنّه من نسله، فلمّا دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحُلُولية منهم ادّعى انّه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقبل الأغبياء ذلك منه على جهل منهم بأنّ محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب عند علماء الأنساب.[١]

٢. قال ابن النديم: إنّ عبد الله بن ميمون ـ ويعرف ميمون بالقداح ـ وكان من أهل قورح العباس بقرب مدينة الأهواز، وأبوه ميمون الذي تنسب إليه الفرقة الميمونية التي أظهرت اتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الذي دعا إلى إلهية علي بن أبي طالب، وكان ميمون وابنه ديصانيين، وادّعى عبد الله انّه نبي مدة طويلة، وكان يظهر الشعابيذ، ويذكر انّ الأرض تطوى له فيمضي إلى أين أحب في أقرب مدة، وكان يخبر بالأحداث الكائنات في البلدان الشاسعة، وكان له مرتبون في مواضع يرغبهم ويحسن إليهم ويعاونونه على نواميسه ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة إلى الموضع الذي فيه بيت عبد الله، فيخبر من حضره بما يكون فيتمَوّه ذلك عليهم.

إلى أن قال: وصار إلى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب، فكبس هناك، فهرب إلى سلمية بقرب حمص.

---

١. البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٨٢.

إلى أن قال: قد كان قبل بني القداح قريب ممّن يتعصب للمجوس ودولتها، وكان ممّن واطأ عبـد الله أمره رجل يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب يـزيدان من نـاحية الكـرخ من كتـاب أحمد بن عبد العـزيز بـن أبي دلف، وكـان هذا الـرجل متفلسفاً، حاذقاً بعلم النجوم، شعوبياً، شديد الغيض من دولة الإسلام. (١)

٣. قال ابن الأثير: فلما يئس أعداء الإسلام من استئصـاله بالقوة أخذوا في وضع الأحـاديث الكـاذبة وتشكيك ضعفـة العقـول في دينهم بأُمـور قد ضبطهـا المحدّثـون وأفسدوا الصحيح بـالتأويل. فكـان أوّل من فعل ذلك: أبـو الخطاب محمد بن أبي زينب مولىٰ بنـي أسد، وأبو شـاكر بن ديصان صـاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة وغيرهما، فألقوا إلى من وثقوا به انّ لكل شيء من العبادات باطناً، وانّ الله تعالى لم يوجـب على أوليائه ومن عرف الأئمّة والأبـواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا حرم عليهم شيئـاً وأباحوا لهم نكاح الأُمّهـات والأخوات، وإنّما هذه قيود للعامة سـاقطة عن الخاصة.

وكانوا يظهـرون التشيّع لآل النبي ليستروا أمرهم ويستميلوا العـامة، وتفرّق أصحابهم في البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه، فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة.

إلى أن قال: ونشأ لابن ديصان (أبو شـاكـر ميمون بن ديصان) ابن يقال له عبد الله القداح علّمه الحيل وأطلعـه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم، إلى أن قال: وإنّما لقب القداح لأنّه كان يعالج العيـون ويقدحها، فلمّا توفي القداح (عبد الله) قام بعده ابنه أحمد مقامه، إلى آخر ما ذكر. (٢)

وإليك مـواصفات الرجل حسـب ما ذكره البغـدادي، وغيره من المؤرّخين فهي تختلف عمّا تعرفت عليه في الأوّل.

---

١. ابن النديم: الفهرست: ٢٧٨ـ٢٨١، نقله عن أبي عبد الله بن الرزام وتبرأ من صدق ما نقله وكذبه.

٢. الجزري: الكامل: ٨/ ٢٧ـ٢٩.

الأول: اسمه ونسبه: عبد الله بن ميمون بن ديصان.

الثاني: الوطن : كان من الأهواز أو من الكوفة، فانّ محمد بن أبي زينب وأتباعه كانوا كوفيين. [١]

الثالث: الولاء: كان مولى لجعفر بن محمد الصادق، والظاهر انّ مراده هو حبه له.

الرابع: العصر: فالرجل حسب ما يذكره البغدادي ممّن ذهب لناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب هذا من جانب، ومن جانب نرى أنّ الأئمّة الإسماعيلية توجهوا إلى المغرب في أواسط القرن الثالث، لأنّ الإمام المستور الحسين بن أحمد (٢١٩ـ٢٦٥هـ) التقى بالنجف الأشرف بالداعي أبي قاسم حسن بن فرح بن حوشب وعلي بن الفضل فأثر فيهما وأحضرهما إلى سلمية، ثم جهّزهما بعد ذلك إلى اليمن، وفي عهده تمّ إرسال أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب. [٢]

فيعلم من خلالها أنّ التمهيد لبسط نفوذهم في المغرب بدأ في أواسط القرن الثالث وانّ ميمون بن ديصان الوالد قصدها في تلك الآونة وقد أرّخ الكاتب الإسماعيلي مصطفى غالب في تقديمه لكتاب كنز الولد انّ عبد الله بن ميمون القداح ولد سنة ١٩٠ وتوفي سنة ٢٧٠هـ [٣]، فأين هو من عبد الله بن ميمون المعدود من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، الذي توفي في أواسط القرن الثاني؟!

الخامس: وجه التلقيب: انّه كان يقدح العيون.

أضف إلى ذلك انّه من البعيد أن يروي المشايخ الكبار، كجعفر بن محمد الأشعري، والحسن بن علي بن فضال، وأحمد بن إسحاق بن سعد، وحمّاد بن عيسى، وعبد الله بن المغيرة عمّن خدم الإسماعيلية وتآمر على الإمامية الاثني

---

١. الجزري: الكامل: ٨/ ٣٠.

٢. الجزري: الكامل: ٨/ ٢٨.

٣. كنز الولد: ١٩، المقدّمة.

عشرية، ولو افترضنا انّهم أخذوا منه الرواية حين استقامته، لصرّحوا به.

و ممن حقّق هذا الأمر تفصيلاً صاحب أعيان الشيعة، فلاحظ. [١]

لعب عبد الله بن ميمون القدّاح دوراً هاماً في نشر أفكار الخطابية وبثّها في أتباع محمد بن إسماعيل، وكان حلقة وصل بين الخطابية والإسماعيلية، وأخيراً التحق بالإمام محمد بن إسماعيل وصار من دعاته، وكلّ الآفات التي أصابت العقيدة الإسماعيلية تعود إليه و إلى زميله محمد بن الحسين الملقب بـ«دندان» .

و يشهد كثير من النصوص التاريخية على ذلك، نكتفي منها بالقليل.

يقول ابن الأثير: يأس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة فأخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمور قد ضبطها المحدّثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه.

فكان أوّل من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، وأبو شاكر ميمون بن ديصان صاحب كتاب «الميزان» فألقوا إلى من وثقوا به انّ لكل شيء من العبادات باطناً، وانّ الله تعالى لم يوجب على أوليائه ولا من عرف الأئمّة والأبواب، صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك، ولا حرّم عليهم شيئاً وأباحوا لهم نكاح الأُمهات والأخوات، وإنّما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصّة.

وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ﷺ ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة، وتفرّق أصحابهم في البلاد، فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة.

ونشأ لابن ديصان ابن يقال له عبد الله القدّاح ، علّمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة. وكان بنواحي كرخ واصفهان رجل يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بـ«دندان» فسار إليه القدّاح وعرّفه من ذلك مازاد به محلّه. [٢]

---

١. الأمين: أعيان الشيعة:٨/ ٨٤،و في الذيل: انّ الترجمة ممّا لم يكتبها المؤلف وإنّما استدركها الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

٢. ابن الأثير: الكامل: ٨/ ٢٨ـ٢٩، حوادث عام ٢٩٦.

و من طالع تاريخ الإسماعيلية و كتبهم يقف على أنّ لأبي عبد الله بن ميمون القدّاح وربيبه القدح المعلّى في صياغة العقيدة الإسماعيلية.

فقد خرجنا بهذه النتيجة انّ الخطابية وعلى حسب تعبير النوبختي «المباركيّة» هم جذور الإسماعيلية وانّ ميمون بن ديصان، ثمّ ابنه عبد الله بن ميمون القداح، وزميله المعروف بـ«دندان» هم حلقة الوصل بين الفرقتين.

ما روي عن عبد الله بن ميمون الإمامي في الجوامع الحديثية

إنّ لعبد الله بن ميمون بن الأسود المخزومي روايات في مختلف الأبواب قد نقلها أصحاب الكتب الأربعة في جوامعهم وهي تناهز ٤٩ حديثاً، وليس في رواياته أيّ شذوذ إلاّ في رواية واحدة. والتمعّن فيها يوقف الإنسان على أنّه كان فقيهاً متقناً في النقل. وإليك ما وقفنا عليه:

١. روى عبد الله بن ميمون، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: «جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أُحب أن تشهد لي على نحل نحلتها ابني، قال: مالك ولد سواه؟ قال: نعم، قال: فنحلتها كما نحلته؟ قال: لا، قال: فانّا معاشر الأنبياء لا نشهد على الجنف». [1]

٢. روى عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله ، عن أبيه عليهما السلام قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبوك يعبّون الماء، فقال رسول الله ﷺ: اشربوا في أيديكم، فإنّها من خير آنيتكم». [2]

٣. روى عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام ، قال: «الركعتان يصلّيها متزوّج أفضل من سبعين ركعة يصليها أعزب». [3]

---

١. الفقيه: ٣/ ٤٠، الحديث ١٣٤.

٢. الفقيه :٣/ ٢٢٣، الحديث ١٠٣٦.

٣. الفقيه: ٣/ ٢٤٢، الحديث ١١٤٦.

٤. روى عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ الصبي والصبي، والصبي والصبية،والصبية والصبية يفرق بينهم في المضاجع لعشر سنين». [1]

٥. روى عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله ﷺ عن أبيه ﷺ قال: «أُتي أمير المؤمنين ﷺ برجل قد ضرب رجلاً حتى انتقص من بصره، فدعا برجال من أسنانه ثمّ أراهم شيئاً، فنظر ما انتقص من بصره، فأعطاه دية ما انتقص من بصره». [2]

٦. عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر، عن أبيه ﷺ انّ النبي ﷺ قال: «الرزق أسرع إلى من يطعم الطعام من السكين في السنام». [3]

٧. عن أحمد بن إسحاق بن سعد، عن عبد الله بن ميمون، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه ﷺ قال: «قال الفضل بن العباس: أُهدي إلى رسول الله ﷺ بغلة أهداها له كسرى أو قيصر، فركبها النبي ﷺ بجلّ من شعر وأردفني خلفه، ثمّ قال لي: يا غلام احفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله عزّوجلّ في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله عزّ وجلّ، فقد مضى القلم بما هو كائن، فلوجهد الناس أن ينفعوك بأمرٍ لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بأمرٍ لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع، فاصبر، فإنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أنّ الصبر مع النصر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً، انّ مع العسر يسراً». [4]

---

١. الفقيه:٣/ ٢٧٦، الحديث ١٣١٠.

٢. الفقيه:٤/ ٩٧، الحديث ٣٢١.

٣. الكافي: ٤/ ٥١، الحديث ١٠.

٤. الفقيه:٤/ ٢٩٦، الحديث ٨٩٦.

٨. علي بن حاتم، عن محمد بن جعفر، عن محمد بن عمرو، عن علي بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد، عن علي بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «اللّهمّ إنّك أعلنت سبيلاً من سبلك فجعلت فيه رضاك، وندبت إليه أولياءك وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً، وأكرمهم لديك مآباً وأحبها إليك مسلكاً، ثمّ اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيلك فيقتلون ويُقتلون وعداً عليك حقاً، فاجعلني ممّن اشترى فيه منك نفسه، ثمّ وفىٰ لك ببيعه الذي بايعك عليه، غير ناكث، ولا ناقض عهداً، ولا مبدل تبديلاً، إلاّ استنجازاً لموعودك، واستيجاباً لمحبتك، وتقرباً به إليك، فصلّ علىٰ محمد وآله واجعله خاتمة عملي، وارزقني فيه لك وبك مشهداً توجب لي به الرضا، وتحط عني به الخطايا، اجعلني في الأحياء المرزوقين بأيدي العداة العصاة تحت لواء الحق وراية الهدىٰ، ماض على نصرتهم قدماً غير مولّ دبراً، ولا محدث شكاً، وأعوذ بك عند ذلك من الذنب المحبط للأعمال». [١]

٩. عن الحسن بن علي، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خرج إلى الجمعة قعد على المنبر حتى يفرغ المؤذنون». [٢]

١٠. محمد بن علي بن محبوب، عن الحسن بن علي، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: «كان المقام لازقاً بالبيت فحوله عمر». [٣]

١١. الحسن بن علي الكرخي، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون،

---

١. التهذيب: ٣/ ٨١، الحديث ٢٣٧.

٢. التهذيب: ٣/ ٢٤٤، الحديث ٦٦٣.

٣. التهذيب: ٥/ ٤٥٤، الحديث ١٥٨٦.

عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام: «كان النبي صلى الله عليه وآله يستهدي من ماء زمزم وهو بالمدينة». [١]

١٢. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام مالك؟ قال: يا أمير المؤمنين أُصيبت بأبي وأُمي وأخي وأخشى أن أكون قد وجلت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عليك بتقوى الله والصبر تقدم عليه غداً؛ والصبر في الأُمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الأُمور فسدت الأُمور». [٢]

١٣. عن حماد، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: «زكاة الفطرة صاع من تمر، أو صاع من زبيب، أو صاع من شعير، أو صاع من إقط عن كلّ إنسان حرّ أو عبد، صغير أو كبير، وليس على من لا يجد ما يتصدق به حرج». [٣]

١٤. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ علياً صلوات الله عليه كان يقول إذا أصبح: «سبحان الله الملك القدُّوس ـ ثلاثاً ـ اللّهمّ إنّي أعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحويل عافيتك، ومن فجأة نقمتك، ومن درك الشقاء، ومن شرّ ما سبق في الليل، اللّهمّ إنّي أسألك بعزّة ملكك، وشدّة قوّتك، وبعظيم سلطانك، وبقدرتك على خلقك»، ثمّ سل حاجتك. [٤]

١٥. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام

---

١. التهذيب: ٥/ ٤٧١، الحديث ١٦٥٧.

٢. الكافي: ٢/ ٩٠، الحديث ٩.

٣. التهذيب: ٤/ ٧٥، الحديث ٢١١.

٤. الكافي: ٢/ ٥٢٧، الحديث ١٦.

قال: «المحرمة لا تتنقّب، لأنّ إحرام المرأة في وجهها، وإحرام الرجل في رأسه». [١]

١٦. عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف بعرفات، فلمّا همّت الشمس أن تغيب قبل أن تندفع، قال: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الفقر، ومن تشتّت الأمر، ومن شر ما يحدث بالليل والنهار، أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك، وأمسى خوفي مستجيراً بأمانك، وأمسىٰ ذلّي مستجيراً بعزّك، وأمسى وجهي الفاني مستجيراً بوجهك الباقي، يا خير من سئل، ويا أجود من أعطىٰ جلّلني برحمتك، وألبسني عافيتك، واصرف عني شرّ جميع خلقك». [٢]

١٧. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي، انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه ناس من اليهود فسألوه عن أشياء، فقال لهم: تعالوا غداً أُحدّثكم ولم يستثن، فاحتبس جبرئيل عليه السلام عنه أربعين يوماً ثمّ أتاه وقال: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشايْءٍ إِنّي فاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً * إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ﴾ [٣]». [٤]

١٨. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: «ثلاثة لا يفطرن الصائم: القيء والاحتلام والحجامة، وقد احتجم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صائم، وكان لا يرى بأساً بالكحل للصائم». [٥]

١٩. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي». [٦]

---

١. الكافي: ٤/ ٣٤٥، الحديث ٧؛ الفقيه: ٢/ ٢١٩، الحديث ١٠٠٩.

٢. الكافي: ٤/ ٤٦٤، الحديث ٥.

٣. الكهف: ٢٣ـ٢٤.

٤. الفقيه: ٣/ ٢٢٩، الحديث ١٠٨١.

٥. التهذيب: ٤/ ٢٦٠، الحديث ٧٧٥.

٦. التهذيب: ٨/ ٢٨١، الحديث ١٠٢٩.

٢٠. عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن عبـد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قـال: «كان أمير المؤمنين صلـوات الله عليـه يقول: اللّهـمّ إنّي أعوذ بـك من الاحتلام، ومن سوء الأحلام، وأن يلعب بي الشيطان في اليقظة والمنام». [١]

٢١. علي بن الحسن بن فضـال، عن محمد بن الحسن بن الجهـم، عن عبد الله بن ميمـون، عن أبي عبـد الله، عن أبيـه عليه السلام قال: «قـال علي عليه السلام: إذا طلّـق الرجل المرأة فهو أحقّ بها ما لم تغتسل من الثالثة». [٢]

٢٢. روى عبد الله بن ميمون باسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا ضللتم الطريق فتيامنوا». [٣]

٢٣. محمد بن أحمد بن يحيى، عن جعفر بن محمد، عن عبـد الله بن ميمون قال: أُتي علي عليه السلام بأسير يوم صفين فبايعه، فقال علي عليه السلام: «لا أقتلك انيّ أخاف الله ربّ العالمين، فخلّى سبيله، وأعطىٰ سلبه الذي جاء به». [٤]

٢٤. عن ابن فضـال، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حرّمت الجنة على الديّوث». [٥]

٢٥. عن أحمد بن محمد، عـن ابن فضال، عن عبد الله بن ميمـون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال يعقـوب لابنه: يا بني لا تزن، فإنّ الطـائر لو زنا لتناثر ريشه». [٦]

---

١. الكافي: ٢/ ٥٣٦، الحديث ٥.

٢. التهذيب: ٨/ ١٢٥، الحديث ٤٣٢.

٣. الفقيه: ٢/ ١٩٧، الحديث ٨٩٦.

٤. التهذيب: ٦/ ١٥٣، الحديث ٢٦٩.

٥. الكافي: ٥/ ٥٣٧، الحديث ٨، باب الغيرة.

٦. الكافي: ٥/ ٥٤٢، الحديث ٨، باب الزاني؛ الفقيه: ٤/ ١٣، الحديث ١٣.

٢٦. عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري،عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله إذا شرب اللبن قال: اللّهمّ بارك لنا فيه وزدنا منه». [1]

٢٧. عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر ، عن أبيه عليهما السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله تعاهدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم، ونهى أن ينتعل الرجل وهو قائم». [2]

٢٨. عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ، قال:« انكسفت الشمس في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بالناس ركعتين، فطوّل حتى غشي على بعض القوم ممّن كان وراءه من طول القيام». [3]

٢٩. عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام أنّ علياً عليه السلام كان يقول: «من فاته صيام الثلاثة أيام في الحج، وهي قبل التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فليصم أيام التشريق، فقد أذن له». [4]

٣٠. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح؛ وعلي ابن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وانّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وانّه يستغفر لطالب العلم مَنْ في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر،و إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر». [5]

---

١. الكافي:٦/ ٣٣٦، الحديث ٣.

٢. التهذيب: ٣/ ٢٥٥، الحديث ٧٠٩.

٣. التهذيب: ٣/ ٢٩٣، الحديث ٨٨٥.

٤. التهذيب: ٥/ ٢٢٩، الحديث ٧٧٨.

٥. الكافي: ١/ ٣٤، الحديث ١.

٣١. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: «إنّ هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة». [١]

٣٢. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما العلم؟ قال: الانصات، قال: ثمّ مه؟ قال: الاستماع، قال: ثمّ مه؟ قال: الحفظ، قال: ثمّ مه؟قال: العمل به، قال: ثمّ مه يا رسول الله؟ قال: نشره». [٢]

٣٣. عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: أفضل العبادة العفاف». [٣]

٣٤. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام :المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف». [٤]

٣٥. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:«من أطعم مؤمناً حتّى يشبعه لم يدر أحدٌ من خلق الله ماله من الأجر في الآخرة، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاّ الله ربّ العالمين، ثمّ قال: من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان، ثمّ تلا قول الله عزّوجلّ ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [٥]». [٦]

---

١. الكافي: ١/ ٤٠، الحديث ٣.

٢. الكافي: ١/ ٤٨، الحديث ٤.

٣. الكافي: ٢/ ٧٩، الحديث ٣.

٤. الكافي: ٢/ ١٠٢، الحديث ١٧.

٥. البلد: ١٤ـ١٦.

٦. الكافي: ٢/ ٢٠١، الحديث ٦.

٣٦. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كلّ صلاة». (١)

٣٧. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا حضر أحداً من أهل بيته الموت، قال له: لا إله إلاّ الله العلي العظيم، سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع وما بينهما وربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين فإذا قالها المريض، قال: اذهب فليس عليك بأس». (٢)

٣٨. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء». (٣)

٣٩. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام: أنّ علياً صلوات الله عليه قال لرجل كبير لم يحجّ قطّ: «إن شئت أن تجهّز رجلاً، ثمّ أبعثه أن يحجّ عنك». (٤)

٤٠. عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر عليه السلام: أنّ علياً عليه السلام كان لا يرى بأساً بعقد الثوب إذا قصر، ثمّ يصلّي فيه وإن كان محرماً. (٥)

٤١. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله: ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد

---

١. الكافي: ٣/ ٢٢، الحديث ١.

٢. الكافي: ٣/ ١٢٤، الحديث ٧.

٣. الكافي: ٤/ ٢٨، الحديث ١.

٤. الكافي: ٤/ ٢٧٢، الحديث ١.

٥. الكافي: ٤/ ٣٤٧، الحديث ٣.

الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله». (١)

٤٢. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام : إنّ علي بن الحسين عليهما السلام كان يتزوّج وهو يتعرق عرقاً يأكل ما يزيد على أن يقول: الحمد لله وصلّ الله على محمد وآله، ويستغفر الله عزّ وجلّ، وقد زوّجناك على شرط الله، ثمّ قال علي بن الحسين عليهما السلام : إذا حمد الله فقد خطب. (٢)

٤٣. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: «كان بالمدينة رجلان يسمّى أحدهما هيت والآخر مانع، فقالا لرجل ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع: إذا افتتحتم الطائف إن شاء الله فعليك بابنة غيلان الثقفية، فإنّها شموع بخلاء مبتلة هيفاء شنباء، إذا جلست تثنّت، وإذا تكلّمت غنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان بين رجليها مثل القدح، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا أريكما من أُولي الاربة من الرجال، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وآله فغرّب بهما إلى مكان يقال له: العرايا، وكانا يتسوّقان في كلّ جمعة». (٣)

٤٤. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: «للزاني ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، أمّا التي في الدنيا: فيذهب بنور الوجه، ويورث الفقر، ويعجّل الفناء؛ وأمّا التي في الآخرة: فسخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار». (٤)

٤٥. عن الحسن بن عليّ، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الدعاء كهف الإجابة، كما أنّ السحاب كهف المطر». (٥)

---

١. الكافي:٥/ ٣٢٧، الحديث ١؛ التهذيب:٧/ ٢٤٠، الحديث ١٠٤٧.

٢. الكافي:٥/ ٣٦٨، الحديث ٢.

٣. الكافي:٥/ ٥٢٣، الحديث ٣.

٤. الكافي:٥/ ٥٤١، الحديث ٣؛ الفقيه:٣/ ٣٧٥، الحديث ١٧٧٤.

٥. الكافي:٢/ ٤٧١، الحديث ١.

٤٦. عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: «سجدتا السهو بعد التسليم وقبل الكلام».(١)

٤٧. عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن علي عليه السلام: انّه كان إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذي رزقني لذّته، وأبقى قوته في جسدي، وأخرج عني أذاه يا لها من نعمة».(٢)

٤٨. عن محمد بن الحسن بن أبي الجهم، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: «جاء قنبر مولى علي عليه السلام بفطرة إليه قال: فجاء بجراب فيه سويق عليه خاتم قال: فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إنّ هذا لهو البخل تختم على طعامك!! قال: فضحك علي عليه السلام قال: ثمّ قال: أو غير ذلك؟ لا أحب أن يدخل بطني شيء إلاّ شيء أعرف سبيله، قال: ثمّ كسر الخاتم، فأخرج منه سويقاً، فجعل منه في قدح فأعطاه إياه، فأخذ القدح فلمّا أراد أن يشرب قال:

بسم الله اللّهمّ لك صمنا، وعلى رزقك أفطرنا، فتقبّل منّا إنّك أنت السميع العليم».(٣)

٤٩. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبيدة الحذّاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أعجل الخير ثواباً صلة الرحم».(٤)

إنّ حامل تلك الدرر اللامعة وراويها، أجلّ من أن يكون موصوفاً بما وصف به عبد الله بن ميمون الإسماعيلي في كتب الملل والنحل أو في سائر المعاجم.

---

١. التهذيب: ٢/ ١٩٥، الحديث ٧٦٨.

٢. التهذيب: ١/ ٢٩، الحديث ٧٧، و ص ٣٥١، الحديث ١٠٣٩.

٣. التهذيب: ٤/ ٢٠٠، الحديث ٥٧٨.

٤. الكافي: ٢/ ١٥٢، الحديث ١٥.



الفصل الخامس

في

الأئمة المستورين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

يرجع نشوء الإسماعيلية وتكوّنهم، إلى القول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام و استمرارها في عقبه، فهو الإمام الأول، وقد تلته أئمّة :

١. إسماعيل بن جعفر.

٢. محمد بن إسماعيل.

٣. عبد الله بن محمد.

٤. أحمد بن عبد الله.

٥. الحسين بن أحمد.

٦. عبيد الله المهدي بن الحسين، مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب.

٧. محمد القائم.

٨. إسماعيل بن محمد المنصور.

٩. معد بن إسماعيل «المعز».

١٠. نزار بن معد «العزيز».

١١. الحسن بن نزار «الحاكم».

١٢. علي بن الحسن« الظاهر».

١٣. معد بن علي المستنصر.

وهؤلاء هم الأئمّة المتّفق عليهم بين الفرق الإسماعيلية الثلاث: المستعلية، والنزارية المؤمنية، والنزارية القاسمية (الآغاخانية).

ثمّ اختلفوا إلى فرقتين، فذهبت المستعلية إلى أنّ الإمام القائم بالأمر بعد المستنصر عبارة عن كلّ من :

١ . أحمد المستعلي.

٢. الآمر بأحكام الله.

٣. الطيّب بن الآمر.

ثمّ جاء دور الستر فلا إمام ظاهر.

لكن النزارية بكلا فريقيها قالوا باستمرار الإمامة بعد المستنصر، وقالوا: إنّ الإمامَ القائم بالأمر عبارة عن كلٍّ من:

١ . نزار بن معد.

٢ . حسن بن معد (جلال الدين).

٣. محمد بن حسن (علاء الدين).

٤ . محمود بن محمد (ركن الدين).

٥ . محمد بن محمود (شمس الدين).

ثمّ افترقت النزارية إلى فرقتين:

الف: النزارية المؤمنية.

ب: النزارية القاسمية الآغاخانية.

فكلّ ساقوا الإمامة بعد شمس الدين، بشكل خاص لا يلتقيان أبداً إلى العصر الحاضر. وستوافيك أسماؤهم.

و سنقوم بترجمة الأئمّة المتّفق عليهم بين جميع الفرق، الذين لا يتجاوز عددهم ثلاثة عشر إماماً آخرهم المستنصر. وقد عقدنا لبيانه فصلين مستقلين، أحدهما في الأئمّة المستورين، والثاني في المتظاهرين بالإمامة.

الإمام الأوّل [1]

إسماعيل بن جعفر الصادق

(١١٠_١٤٥هـ)

إنّ إسماعيل هـو الإمام الأوّل والمؤسّس للمذهـب، فوالده الإمـام الصادق عليه السلام غنيّ عـن التعريف، وفضلـه أشهر مـن أن يذكـر، وُلد الإمـام الصادق عـام ٨٠هـ على قول و٨٣ على قـول آخـر وتوفي عـام ١٤٨ هـ وهو مـن عظماء أهل البيت عليهم السلام وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبـادة موفورة، وزهادة بيّنـة، وتلاوة كثيرة... إلى غير ذلك من فضائل ومآثر يقصر عنهـا القلمُ والبيان؛ وقد أنجب عليه السلام عشرة أولاد، هم إسماعيل ويليه عبد الله، وموسى الكـاظم، وإسحاق، ومحمد، والعباس وعلي، وأمّا الإناث، فأكبرهنّ أمّ فروة، ثمّ أسماء، وفاطمة.

لقد تزوج عليه السلام فـاطمـة بنت الحسين بـن علي بن الحسين، فـأنجب منهـا إسماعيل وعبد الله وأمّ فروة.

وكان إسماعيل أكبر الإخوة وكـان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه، مات في حياة أبيه عليه السلام «بالعريض»، وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة، حتى دفن بالبقيع [2].

---

١. المبدأ في عدّ الأئمة للإسماعيليّـة، هو مؤسس الفرقة ـ حسب زعمهم ـ وإن كـان هو الإمام السابع عندهم ثمّ إنّ الأقوال في ميلاد ووفاة إسماعيل كثيرة وما ذكرناه أحد الأقوال.

٢. المفيد: الإرشاد: ٢٨٤.

ولذلك كان من اللازم استعراض سيرته وسيرة بعض أولاده ممن كان لهم دور في نشوء هذه الفرقة فنقول:

عنونه الشيخ في أصحاب رجال الصادق عليه السلام و اقتصر على اسمه واسم آبائه، وقال: إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المدني. (١)

وقال ابن عنبة: وأمّا إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ويكنى أبا محمد، وأمّه فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويعرف بإسماعيل الأعرج، وكان أكبر ولد أبيه، وأحبّهم إليه، كان يحبّه حباً شديداً، وتوفي في حياة أبيه «بالعريض»، فحمل على رقاب الرجال إلى البقيع، فدفن به سنة ثلاث وثلاثين ومائة، قبل وفاة الصادق عليه السلام بعشرين سنة، كذا قال أبو القاسم ابن خداع نسّابة المصريين. (٢)

وقال ابن خلدون: تُوفّي قبل أبيه، وكان أبو جعفر المنصور طلبه، فشهد له عامل المدينة بأنّه مات. (٣)

قال المفيد: لمّا توفي إسماعيل جزع أبو عبد الله عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدّم سريرَه بغير حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبلَ دفنه مراراً، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه. (٤)

لم نقف في حياة إسماعيل على شيء سوى ما نقله ابن أبي الحديد حيث قال: كان القاسم بن محمد بن طلحة (٥) ـ يلقّب «أبا بعرة»، ولي شرطة الكوفة، لعيسى

---

١. الطوسي: الرجال: ١٤٩ برقم ٨١.

٢. ابن عنبة: عمدة الطالب: ٢٣٣، ولعلّ العشرين في العبارة مصحف خمس عشرة لأنّ الفاصل الزمني بين الوفاتين لا يتجاوز هذا المقدار على جميع الأقوال لأنّها في حقّه مختلفة فانّه مضافاً إلى ما ذكره من أنّه توفي عام ١٣٨ وقيل توفي عام ١٤٣.

٣. تاريخ ابن خلدون: ٤/ ٣٩.

٤. المفيد: الإرشاد: ٢٨٤.

٥. هو طلحة بن عبيد الله التيمي المقتول بالجمل سنة ٣٦هـ.

ابن موسى العباسي ـ فكلّم إسماعيل بن جعفر الصادق بكلام خرجا فيه إلى المنافرة.

فقال القاسم: لم يزل فضلنا وإحساننا سابغاً عليكم يا بني هاشم، وعلى بني عبد مناف كافة.

فقال إسماعيل: أيّ فضل وإحسان أسديتموه إلى بني عبد مناف؟! أغضب أبوك جدي بقوله: «ليموتن محمد ولنجولنّ بين خلاخيل نسائه، كما جال بين خلاخيل نسائنا»، فأنزل الله تعالى مراغمة لأبيك: ﴿وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَ لاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾ [١] ومنع ابن عمك أُمّي من حقّها في فدك، وغيرها من ميراث أبيها، وأجلب أبوكَ على عثمان، وحصره حتى قُتِل، ونكثَ بيعة عليّ، وشام السيف في وجهه، وأفسد قلوبَ المسلمين عليه، فإن كان لبني عبد مناف قوم غير هؤلاء، أسديتم إليهم إحساناً، فعرّفني من هم، جعلت فداك؟! [٢]

و روى الكشي بسنده عن عنبسة العابد: كنت مع جعفر بن محمد بباب الخليفة أبي جعفر بالحيرة، حين أتي ببسّام، و إسماعيل بن جعفر بن محمد، فأُدخلا على أبي جعفر [٣] فأُخرج بسّام مقتولاً ، وأُخرِج إسماعيل بن جعفر بن محمد، قال: فرفع جعفر رأسه إليه، قال: أفعلتها يا فاسق، أبشر بالنار. [٤]

قلت: الضمير في «إليه» يرجع إلى المنصور من باب خطاب الغائبين بما يقتضيه الحال.

والحديث يدل على أنّه وشي عليهما لدى المنصور فطلبهما، فقتل بسّاماً

---

١. الأحزاب: ٥٣.

٢. ابن أبي الحديد: شرح النهج: ٩/ ٣٢٣.

٣. هو أبو جعفر المنصور الدوانيقي.

٤. الكشي: الرجال: ترجمة بسام بن عبد الله الصيرفي برقم ١٢١.

وأطلق إسماعيل. و لعلّه ثبتت براءته مما نسب إليه .

و روى الكشي أيضاً في ترجمة عبد الله بن شريك العامري، عن أبي خديجة الجمّال، قال: سمعت أبا عبد الله ، يقول: إنّي سألت الله في إسماعيل أن يُبقيه بعدي فأبى، ولكنّه قد أعطاني فيه منزلة أُخرى، انه يكون أوّل منشور في عشرة من أصحابه، ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه. (١)

و الحديث يدل على انّ الإمام الصادق عليه السلام كان يحبّه كثيراً، و لعلّ إسماعيل مرض، فدعا أبوه الله تعالى أن يشفيه ولكن الله قدّر موته، كما يدل على وثاقته أيضاً.

ويظهر ممّا رواه الكشي في ترجمة المفضل بن مزيد، أخي شعيب الكاتب، أنّه كان مأموراً بدفع جوائز إلى بني هاشم، وكان أسماءُ أصحاب الجوائز مكتوباً في كتابٍ، ناولَ الكتابَ للإمام الصادق عليه السلام فلما رآه قال: ما أرى لإسماعيل هاهنا شيئاً، فأجاب المفضل: هذا الذي خرج إلينا. (٢)

ومن راجع الكتب الحديثية يرىٰ أنّ هناك روايات يظهر منها جلالة منزلة إسماعيل، عند والده نذكر منها ما يلي:

١. الإمام الصادق عليه السلام يستأجر من يحجّ عن إسماعيل:

روى الكليني بسنده، عن عبد الله بن سنان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل فأعطاه ثلاثين ديناراً يحجّ بها عن إسماعيل، ولم يترك شيئاً من العمرةِ إلى الحجّ إلاّ اشترط عليه أن يسعىٰ في وادي مُحسِّر، ثمّ قال: يا هذا، إذا أنت فعلتَ هذا كانَ لإسماعيل حجة بما أنفق من ماله، وكانت لك تسع بما أتعبتَ من بدنك. (٣)

---

١. الكشي: الرجال: ١٩٠، برقم ٩٧.

٢. الكشي: الرجال: ٣٢٠، برقم ٢٣٧.

٣. الوسائل: الجزء ٨، الباب ١ من أبواب النيابة في الحجّ، الحديث ١.

٢. الإمام ينصحه من الائتمان بالفاسق:

روى الكليني بسنده، عن حريز بن عبد الله السجستاني، قال: كانت لإسماعيل بن أبي عبد الله عليه السلام دنانير وأراد رجل من قريش أن يخرجَ إلى اليمن، فقال إسماعيل: يا أبت إنّ فلاناً يريد الخروج إلى اليمن، وعندي كذا وكذا ديناراً، أفترىٰ أن أدفعها إليه يبتاع لي بها بضاعة من اليمن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا بُنيّ أما بلغك أنّه يشرب الخمر؟ فقال إسماعيل: هكذا يقول الناس، فقال: يا بُنيّ لا تفعل.

فعصى إسماعيلُ أباه ودفع إليه دنانيره فاستهلكها، ولم يأته بشيء منها، فخرج إسماعيل وقضى أنّ أبا عبد الله عليه السلام حجّ وحجّ إسماعيل تلك السنة فجعل يطوف بالبيت، ويقول: اللهمّ أجرني واخلف عليّ فلحقه أبو عبد الله عليه السلام فهمزه بيده من خلفه، فقال له: مَهْ يا بني فلا والله مالك على الله (هذا) حجة ولا لك أن يأجرك ولا يُخلف عليك، وقد بلغك أنّه يشرب الخمر فائتمنته، فقال إسماعيل: يا أبت إنّي لم أره يشرب الخمر، إنّما سمعت الناس يقولون.

فقال: يا بُنيّ إنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] يقول: يصدّق الله ويصدق للمؤمنين فإذا شهد عندك المؤمنون فصدّقهم ولا تأتمن شارب الخمر، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾[2] فأيّ سفيه أسفه من شارب الخمر؟! إنّ شارب الخمر لا يُزَوَّج إذا خَطِب، ولا يُشفَّع إذا شَفَع، ولا يُؤتمن على أمانة، فمن ائتمنه على أمانة فاستهلكها لم يكن للذي ائتمنه، على الله أن يأجره ولا يخلف عليه.[3]

---

١. التوبة: ٦١.

٢. النساء: ٥.

٣. الكافي: ٥/ ٢٩٩.

قلة رواياته

لم نجد في الجوامع الحديثية شيئاً يروى عنه، إلاّ الحديثين التاليين، ولعلّ قصر عمره وموته في حياة والده صارا سبباً لقلة الرواية عنه، وإليك ما وقفنا عليه من رواياته:

١. روى الكليني بسنده، عن أبي أيّوب الخزاز، قال: سألت إسماعيل بن جعفر، متى تجوز شهادة الغلام؟ فقال: إذا بلغ عشر سنين، قال: قلتُ: ويجوز أمره؟ قال: فقال: إنّ رسول الله ﷺ دخل بعائشة وهي بنت عشر سنين، وليس يدخل بالجارية حتى تكون امرأة، فإذا كان للغلام عشر سنين جاز أمره وجازت شهادته.[١]

٢. روى الشيخ الطوسي، عن داود بن فرقد، عن إسماعيل بن جعفر، قال: اختصم رجلان إلى داود ﷺ في بقرة فجاء هذا ببيّنة على أنها له، وجاء هذا ببيّنة على أنها له، قال: فدخل داود ﷺ المحرابَ فقال: يا رب إنّه قد أعياني أن أحكم بين هذين، فكُن أنتَ الذي تحكم، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه اخرج فخذ البقرة من الذي في يده، فادفعها إلى الآخر، واضرب عنقه، قال: فضجت بنو إسرائيل من ذلك، وقالوا: جاء هذا ببيّنة وجاء هذا ببيّنة، وكان أحقّهما بإعطائها الذي في يديه، فأخذها منه، وضرب عنقه، فأعطاها هذا... قال: فدخل داود ﷺ المحرابَ فقال: يا ربّ قد ضجّتْ بنو إسرائيل ممّا حكمتُ، فأوحى إليه ربُّه أنّ الذي كانت البقرة في يده لقي أب الآخر فقتله وأخذ البقرة منه، إذا جاءك مثل هذا فاحكم بينهم بما ترى ولا تسألني أن أحكم حتى الحساب.[٢]

---

١. الكافي:٧/ ٣٨٨.

٢. التهذيب:٦/ ٢٨٧، الحديث ٧٩٧.

وفاته

قد عرفت أنّ ابن عنبة ذكر أنّه توفي عام (١٣٣هـ)، وقال صاحب تهذيب الكمال: إسماعيل إمام مات وهو صغير، ولم يروَ عنه شيء من الحديث.[١]

و أرّخ الزركلي في الأعلام وفاته سنة (١٤٣هـ) ولعله تبع صاحب دائرة المعارف الإسلامية حيث قال: توفي إسماعيل في المدينة سنة (١٤٣هـ) أي قبل وفاة أبيه بخمسة أعوام.[٢]

و القول الثاني أقرب للصواب، لأنّه لو كان توفي سنة (١٣٣هـ) لكانت وفاته قبل وفاة أبيه بخمسة عشر عاماً، وهذا المقدار من الفاصل الزمني، يوجب انقطاع الناس عنه، ونسيانهم له عند وفاة أبيه.

وقال عارف تامر السوري من كُتّاب الإسماعيلية : إنّ إسماعيل ولد سنة ١٠١ في المدينة المنورة، وادّعى والده الصادق أنّه مات سنة ١٣٨هـ بموجب محضر أشهد عليه عامل الخليفة المنصور العباسي.[٣]

استشهاد الإمام الصادق عليه السلام على موته:

كان الإمام الصادق حريصاً على إفهام الشيعة بأنّ الإمامة لم تُكتب لإسماعيل، فليس هو من خلفاء الرسول الاثني عشر الذين كتبت لهم الخلافة والإمامة بأمر السماء و إبلاغ الرسول الأعظم.

و من الدواعي التي ساعدت على بثّ بذر الشبهة والشك في نفوس

---

١. الأعلام:١/ ٣١١، نقلاً عن تهذيب الكمال.

٢. الزركلي: الأعلام:١/ ٣١١.

٣. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٠.

الشيعة في ذلك اليوم، هو ما اشتهر من أنّ الإمامة للولد الأكبر. وكان إسماعيل أكبرَ أولاده فكانت أماني الشيعة معقودة عليه ـ حسب الضابطة ـ صحّت أم لم تصح ، ولأجل ذلك تركزت جهود الإمام الصادق عليه السلام على معالجة الوضع واجتثاث جذور تلك الشبهة و انّ الإمامة لغيره، فتراه تارة ينصّ على ذلك، بقوله وكلامه، وأُخرىٰ بالاستشهاد على موت إسماعيل، وأنّه قد انتقل إلى رحمة الله، ولن يصلحَ للقيادة والإمامة.

وإليك نماذج تؤيد النهج الثاني الذي انتهجه الإمام عليه السلام لتحقيق غرضه في إزالة تلك الشبهة، وأمّا القسم الأوّل أي النصوص على إمامة أخيه فموكولة إلى محلّها[١]:

١. روى النعماني عن زرارة بن أعين، أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام و عند يمينه سيّدُ ولده موسى عليه السلام ، وقُدّامه مرقد مغطى، فقال لي: «يا زرارة، جئني بداود بن كثير الرقي، وحمران، وأبي بصير». ودخل عليه المفضل بن عمر، فخرجت فأحضرت مَنْ أمرني بإحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحداً إثرَ واحد، حتى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً.

فلمّا حشد المجلس قال: «يا داودُ إكشف لي عن وجه إسماعيل»، فكشف عن وجهه فقال أبو عبد الله عليه السلام : «يا داود أحيٌّ هو أم ميت؟» قال داود: يا مولايَ هو ميّت، فجعل يعرض ذلك علي رجل رجل، حتى أتى على آخر مَن في المجلس،و انتهى عليهم بأسرهم وكلّ يقول: هو ميّت يا مولاي، فقال: «اللهمّ اشهد»، ثمّ أمر بغَسْله وحنوطه، وادراجه في أثوابه.

فلمّا فرغ منه قال للمفضل: «يا مفضّل احسر عن وجهه»، فحسَر عن وجهه، فقال: «أحيٌّ هو أم ميّت؟» فقال: ميّت، قال: «اللهم اشهد عليهم»؛ ثمّ حُمِل إلى قبره، فلما وضع في لحده قال: «يا مفضل اكشف عن وجهه» وقال

١. سوف يأتي شيء منه عند عرض الفطحيّة فلاحظ.

للجماعة: «أحيٌّ هو أم ميت؟» قلنا له: ميت فقال: «اللهمّ اشهد، واشهدوا، فإنّه سيرتاب المبطلون، يريدون إطفاء نور الله بأفواههم ـ ثم أومأ إلى موسى ـ والله متم نوره ولو كره المشركون»، ثم حثونا عليه التراب ثمّ أعاد علينا القول، فقال: «الميّت، المحنَّط، المكفَّن، المدفون في هذا اللحد من هو؟» قلنا: إسماعيل، قال: «اللهم اشهد»، ثمّ أخذ بيد موسى عليه السلام و قال: «هو حقّ، والحقّ منه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها». (١)

٢. روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي كهمس، قال: حضرتُ موتَ إسماعيل وأبو عبد الله عليه السلام جالس عنده فلمّا حضره الموت، شدّ لحييه وغمّضه، وغطّى عليه المِلْحَفة، ثمّ أمر بتهيئته، فلمّا فرغ من أمره، دعا بكفنه فكتب في حاشية الكفن: إسماعيل يشهد أن لا إله إلاّ الله. (٢)

٣. روى الصدوق بسنده عن أبي كهمس قال حضرت موت إسماعيل ورأيت أبا عبد الله عليه السلام وقد سجد سجدة فأطال السجود، ثمّ رفع رأسه فنظر إليه، ثمّ سجد سجدة أُخرى أطول من الأُولى ثمّ رفع رأسه، وقد حضره الموت فغمّضه وربط لحيته، وغطّى عليه الملحفة، ثمّ قام، ورأيتُ وجهه وقد دخل منه شيء الله أعلم به، ثمّ قام فدخل منزله فمكث ساعة ثمّ خرج علينا مدهِناً، مكتَحلاً، عليه ثياب غير ثيابه التي كانت عليه، ووجهه غير الذي دخل به، فأمر ونهى في أمره، حتى إذا فرغ، دعا بكفنه، فكتب في حاشية الكفن: إسماعيل يشهد أن لا إله إلاّ الله. (٣)

و هذه الروايات و خاصّة ما نقلناه عن أبي خديجة الجمّال حاكية عن جلالة إسماعيل، ويؤكّدها تقبيل الإمام له بعد موته مراراً.

---

١. النعماني: الغيبة: ٣٢٧، الحديث ٨، ولاحظ بحار الأنوار:٤٨/ ٢١.

٢. الوسائل: الجزء ٢، الباب ٢٩ من أبواب التكفين، الحديث ١.

٣. الوسائل: الجزء ٢، الباب ٢٩ من أبواب التكفين، الحديث ٢.

نعم هناك روايات تدل على ذمّه ذكرها الكشي في ترجمة عدّة، مثل إبراهيم ابن أبي سمال، وعبد الرحمان بن سيابة، والفيض المختار، وقد ناقش السيد الخوئي، اسنادها فلاحظ.[١]

وقد أخطأ الكاتب الإسماعيلي، مصطفى غالب السوري في فهم رأي الشيعة في معرض كتابته عن إمامه، حيث قال:

غير أنّ مؤرّخي الشيعة، والسنة، يذهبون في إسماعيل مذهباً مختلفاً كلّ الاختلاف عمّا يقوله الإسماعيلية. فيقولون: إنّ إسماعيل لم يكن يصلح للإمامة، كونه كان يشربُ الخمر، وأنّه كان من أصدقاء أبي الخطاب الملْحِد الذي تبرأ منه الإمام الصادق، وأنّ الصادق أظهر فرحه لموت ابنه إسماعيل، وعلى هذه الصورة اضطربت الروايات، واختلفت الأقاويل في أمر إسماعيل، فأصبح أكثر الباحثين لا يدرون حقيقة أمره، ولا سيّما أنّه الإمام الذي تنسب إليه الحركة الإسماعيلية التي قامت بدورٍ هامٍّ في تاريخ العالم الإسلامي منذ ظهورها.[٢]

قد عرفت عقيدة الشيعة الإماميّة في حقّ إسماعيل وانّهم ـ عن بكرة أبيهم ـ يذكرون إسماعيل بخير، اقتداء بإمامهم الصادق عليه السلام وأنّ رميه بشرب الخمر من صنيع أعداء أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا لا يتمكّنون من رمي أئمة الشيعة بالسفاسف فيوجهونها إلى أولادهم المظلومين المضطهدين.

هل كان عمل الإمام تغطية لستره؟

إنّ الإسماعيلية تدّعي أنّ ما قام به الإمام الصادق عليه السلام كان تغطية، لستره عن أعين العباسيين، الذين كانوا يطاردونه بسبب نشاطه المتزايد في نشر التعاليم

١. السيد الخوئي: معجم رجال الحديث: ٣/ ١٢٤ـ١٢٧، برقم ١٣٠٧.
٢. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسلامية: ١٦.

التي اعتبرتها الدولة العباسية منافية لقوانينها. والمعروف انّه توجه إلى «سلَمية» ومنها إلى دمشق فعلم به عامل الخليفة، وهذا ما جعله يغادرها إلى البصرة ليعيش فيها متستراً بقية حياته.

مات في البصرة سنة ١٤٣هـ وكان أخوه موسى بن جعفر «الكاظم» حجاباً عليه، أمّا ولي عهده محمد فكان له من العمر أربع عشرة سنة عند موته.[1]

وعلى ما ذكره القائل ـ خلافاً لأكثر الإسماعيلية ـ فقد مات في حياة أبيه، فكيف يكون إماماً بعد أبيه وهو رهين التراب؟!

اسطورة حياته بعد رحيل أبيه

غير أنّ بعضهم يجازفون في القول، ويدعون أمراً خارقاً للعادة، ويقولون: والأمر الهام في قضية إسماعيل وإمامته، هو أنّه عاش بعد أبيه، وأثبت هذا الخبر كثيرون من المؤلفين المعاصرين له مما يدل على أنّ إسماعيل بقى بعد أبيه اثنتي عشرة سنة.

ولقد حكى أنّ إسماعيل حين ترك المدينة سرّاً، رُئي ثانية في البصرة، حيث بلغ رفعة، بما أظهر من مقدرة نادرة بشفاء المرضى والمعلولين، وخشية من اكتشاف الأمر، ترك البصرة ورحل إلى سوريا واستقر فيها، ولكن ليس بطمأنينة تامّة حيث حالما سمع الخليفة «المنصور» الذي كان يحكم الجزيرة العربية، بوجود إسماعيل، أمر واليه في دمشق بارساله إسماعيل تحت الحراسة إلى بلاطه، ولكنّ الوالي لم يكن يحترم الإمام إسماعيل فحسب، بل كان من أتباعه، وبناء عليه ولينقذ الوالي سيده الروحي، نصح الإمام أن يترك سوريا لعدّة أيام، وما أن ابتعد الإمام

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٠.

عن سوريا، حتى أعلن الوالي التفتيش الدقيق عنه، وكتب للخليفة أنّه لم يجد لإسماعيل أثراً في أيّ مكان. [١]

أقول: ما ذكره انّ كثيراً من المؤلفين المعاصرين لإسماعيل أثبتوا حياته بعد وفاة أبيه، شيء لم يدعمه بالدليل، فَمَنْ هؤلاء المؤلّفون المعاصرون الذين أثبتوا حياته بعد الإمام الصادق، وما هي كتبهم؟! نعم أوعز الكاتب في الهامش إلى عمدة الطالب، وتقدم نصُّهُ [٢] وليس فيه أيُّ إشارة إلى ذلك، فضلاً عن إشارته إلى كثيرٍ من المؤلفين المعاصرين للإمام إسماعيل، هكذا تحرّف الحقائق بيد العابثين اللاعبين بتاريخ أُمتنا المجيدة، أو بيد سماسرة الأهواء فيبيحون الكذب لدعم المذهب.

وقد اعترف بهذه الحقيقة الكاتب الإسماعيلي عامر تامر حيث قال: هناك أقوال كثيرة لمؤرخين يؤكدون فيها أنّه مات في عهد والده، وأنّ قصة ظهوره في البصرة أُسطورة لا تقوم على حقيقة، ومهما يكن من أمر فالإسماعيليون اشتهروا بالتخفّي والاستتار، والمحافظة على أئمّتهم. لذلك ليس بعيداً أن تكون الرواية الأُولى صحيحة. [٣]

إنّ تفسير قصة وفاة إسماعيل بالتمويه والتغطية فكره ورثها الجُدُد من الإسماعيلين عن أسلافهم، قال مصطفى غالب: «ولكن أغلب مؤرّخي الإسماعيلية يقولون: إنّ قصة وفاة إسماعيل في حياة أبيه كانت قصة أرادَ بها الإمام جعفر الصادق التمويه والتغطية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، الذي كان يُطارد أئمة الشيعة في كلّ مكان، وتحت كلّ شمس، فخاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته إسماعيل، فادّعى موته وأتى بشهود كتبوا المحضر إلى الخليفة

---

١. أ.س. بيكلي: مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية: ٢٠.

٢. مرّ نصّه ص ٧٢.

٣. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٠ـ١٨١.

العباسي، الذي أظهر سروراً وارتياحاً لوفاة إسماعيل الذي كان إليه أمر إمامة الشيعة، ثمّ شُوهِد إسماعيل بعد ذلك في البصرة، وفي بعض البلدان الفارسية. وعلى هذا الأساس لم تسقط الإمامة عن إسماعيل بالموت قبل أبيه لأنّه مات بعد أبيه.[١]

ويقول في موضع آخر: ورأينا الأخير في هذا الموضوع بعد أن اطّلعنا على جميع ما كتب حول إمامة إسماعيل، نقول: بأنّ الإمام جعفر الصادق قد شعر بالأخطار التي تهدّد حياة ابنه الإمام إسماعيل، بعد أن نصّ عليه، وأصبح وليّاً للعهد، فأمره أن يستتر وكان ذلك عام ١٤٥هـ، خشية نقمة الخلفاء العباسيين وتدبّر الأمر بأن كتب محضراً بوفاته، وشهد عليه عامل المنصور، الذي كان بدوره من الإسماعيليين.

و فوراً توجه إسماعيل إلى سلمية، ومنها إلى دمشق، وعلم المنصور بذلك، فكتب إلى عامله أن يلقي القبض على الإمام إسماعيل، ولكن عامله المذكور كان قد اعتنق المذهب الإسماعيلي، فعرض الكتاب على الإمام إسماعيل، الذي ترك البلاد نحو العراق حيث شوهد بالبصرة عام ١٥١هـ، وقد مرّ على مقعد فشفاه بإذن الله، ولبث الإمام إسماعيل عدّة سنوات يتنقل سرّاً بين أتباعه، حتى توفي بالبصرة عام ١٥٨هـ.

ويؤكد كتاب دستور المنجمين أنّ إسماعيل هو أوّل إمام مستور وكان بدء ستره سنة ١٤٥هـ ولم يمت إلّا بعد سبع[٢] سنين».[٣]

ما ذكره أُسطورة حاكتها يدُ الخيال، ولم يكن الإمام الصادق عليه السلام ولا

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٦ ترى أنّ المؤرخ الأوّل الإسماعيلي يذكر موته في حياة أبيه وهذا يؤكد على موته بعده، فما هو الحق؟ وما هو المتوقع من مذهب حجر أساسه الريب والشك؟!!

٢. فيكون وفاته على هذا عام ١٥١، لا عام ١٥٨ كما ذكره قبل سطر.

٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٤٢ـ١٤٣.

أصحابه الأجلاّء، ممّن تتلمذوا في مدرسة الحركات السرية، حتى يفتعل موت ابنه بمرأى ومسمع من الناس، وهوبعدُ حيّ يُرزق، ولم يكن عامل الخليفة بالمدينة المنورة بليداً، يكتفي بالتنويه، حتى يتسلّم المحضر ويبعث به إلى دار الخلافة العباسية.

والعجب أنّ الكاتب يذكر في كلامه الثاني أنّ عامل الخليفة في المدينة كان بدوره من الإسماعيليين، مع أنّه لم يكن في ذلك اليوم أثر للإسماعيلية :«وكانت الإمامة لأبيه الإمام الصادق عليه السلام فكيف يكون في حياة الصادق عليه السلام من الإسماعيلية؟! وأعجب منه أنّه يعتمد في إثبات معتقده بدستور المنجمين، ثمّ يذكر له مصدراً في التعليقة بالشكل التالي «بلوشيه ٥٧ـ٥٨ دى خويه ٢٠٣».

إنّ عقيدة إسلامية مبنيّة على تنبّؤ المنجمين ــ وما أكثر أخطائهم ـ عقيدةٌ منهارةٌ وفاشلة.

و لو أنّ هؤلاء التجأوا في تصحيح إمامة ابنه، محمد بن إسماعيل إلى القول بعدم بطلان إمامة إسماعيل بموته في حياة والده، ولمّا توفي الإمام الصادق تسلّم عبد الله بن إسماعيل الإمامة من والده، لكان أرجح من اللجوء إلى بعض الأساطير التي لا قيمة علمية لها في مجالات البحوث التاريخية والعقائدية المبتنية على أُسس علمية دقيقة.

والحقّ أنّه توفي أيام حياة أبيه، بشهادة الأخبار المتضافرة التي تعرفت عليها، وهل يمكن إغفال أُمّة كبيرة وفيهم جواسيس الخليفة وعمالها؟! وستر رحيل إسماعيل إلى البصرة بتمثيل جنازة بطريقة مسرحيّة يعلن بها موته فانّه منهج وأُسلوب السياسيين المخادعين، المعروفين بالتخطيط والمؤامرة، ومن يريد تفسير فعلَ الإمام عن هذا الطريق فهو من هؤلاء الجماعة « وكلّ إناء بالذي فيه ينضح». وأين هذا من وضع الجنازة مرّات وكشف وجهه والاستشهاد على موته وكتابة الشهادة على كفنه؟!

والتاريخ يشهد على أنّه لم يكن لإسماعيل ولا لـولده الإمام الثاني، أيّة دعوة في زمـان أبي جعفر المنصور ولا ولده، بشهـادة أنّ المهـدي العباسي الـذي تسلم عرش الخلافة بعد المنصـور العباسي ١٥٨ـ ١٦٩هـ كـان متشدداً على أصحاب الأهواء والفرق، وكتب له ابن المفضل صنوف الفرق صنفاً صنفاً، ثمّ قرأ الكتاب على الناس، فقال يـونس: قد سمعت الكتاب يقرأ على النـاس على باب الذهب بالمدينـة، ومرّة أُخرى بمدينـة الوضاح، فقال: إنّ ابن المفضـل صنف لهم صنوف الفرق فـرقة فـرقة حتىٰ قـال في كتابـه: وفرقة يقـال لهم الزراريـة، وفرقـة يقال لهم العمارية أصحاب عمار السـابـاطي، وفـرقـة يقـال لهم اليعفوريـة، ومنهم فـرقـة أصحاب سليمان الأقطع، وفرقـة يقال لهم الجواليقية. قال يونس: ولم يذكـر يومئذ هشام بن الحكم ولا أصحابه.[1]

ترى انّه يذكر جميع الفرق المزعومة للشيعة، حتى يذكر العمارية المنسوبة إلى عمار الساباطي الذي لم يكن له يوم ذاك أيّ تابع إلاّ كونه فطحياً مؤمناً بإمامة عبد الله الأفطح، ولا يـذكـر الإسماعيليـة ؟! فلو كـانت لإسماعيـل دعـوة سرية أيّـام المنصور، ثمّ لابنه محمد، حيث كانا يتنقلان من بلد إلى بلد، كان من المحتّم مجيء اسمه في قائمة أصحاب الأهواء. كلّ ذلك يدلّ على أنّ المذهب قد نشأ بعد لأي من الدهر.

إلى هنا تمّ البحث في الإمام الأوّل، وكانت حصيلته هي:

أنّ الرجـل كان رجـلاً ثقة، محبوبـاً للوالـد، وتُوفي في حياة والده وهـو عنه راض، ولم تكن له أيُّ دعوةٍ للإمامة، ولم تظهر أيّ دعوة باسمه أيّام خلافة المهدي العباسي الذي تُوفي عام ١٦٩هـ وقد مضى على وفاة الإمام الصادق عليه السلام إحدى وعشرون سنة.

١. الكشي: الرجال: ٢٢٧.

الإمام الثاني

محمد بن إسماعيل

(١٣٢ـ١٩٣هـ)

محمد بن إسماعيل، هو الإمام الثاني للإسماعيلية، قال ابن عنبة: أعقب إسماعيل من محمد وعلي ابني إسماعيل، أمّا محمد بن إسماعيل فقال شيخ الشرف العبيدلي: هو إمام الميمونية وقبره ببغداد.

ويصفه الكاتب الإسماعيلي أنّه ولد سنة ١٤١ في المدينة عندما توفي والده الإمام إسماعيل، اضطر لترك المدينة خوفاً من مراقبة الرشيد العباسي، الذي استطاع بنشاطه من إخماد كافة الثورات والدعوات الإمامية، فذهب إلى الكوفة، ومنها إلى فرغانة، ثمّ إلى نيسابور، عمل على نشر دعوته بنشاط في الجزيرة العربية، وفي كافة البلدان الإسلامية، وقد استطاع التموية على الخلفاء العباسيين والإفلات من قبضتهم، وهم المهدي والهادي والرشيد.

إزداد تستراً بعد أن أعطى الرشيدُ أمراً بالقبض عليه، ثمّ إنّه رَحَل إلى الريّ ومنها إلى نهاوند، وفيها عقد زواجه على ابنة أميرها أبي المنصور بن جوشن، وبعد ذلك توجه إلى «تدمُر» في سوريا حيث جعلها مركزاً لإقامته ونشر دعوته، وجّه الرشيد جيشاً لإلقاء القبض عليه عندما كان في نهاوند، ولكن أتباعه تمكنوا من الانتصار على الجيش المذكور وردّوه خائباً.

يقال أنّه هو الذي أرسل الداعيين: الحلواني وأبا سفيان إلى المغرب، تُوفي في

مـدينة «تَـدْمر» و دفن في جبـل واقع إلى الشمال الغـربي منها، ويعـرف حتى الآن بضريح محمد بن علي، وفاته سنة ١٩٣ هـ.

يقال إنّ حجته هو ميمون القداح، والحقيقة أنّ الإمام محمد بن إسماعيل هو نفسه كان يحمل لقبي ميمون والقداح.

ترك عدداً من الأولاد ومنهم عبد الله الذي كان وليّاً للعهد. [1]

أقول: للقـارئ الكـريم أن ينظـر إلى كلمات ذلـك الكـاتب بنظـر الشـك والريبة، ويتفحّـص عن مآخذ كلامـه ومصادر نقله، فإنّ مـا وقفنا عليه في السير والآثار لا يدعم كلامه، وذلك للأسباب التالية:

١. إنّ شيخ الشرف العبيدلي قـال: إنّه توفي ببغداد، وقبره هنـاك، والكاتب يذكر أنّه توفي بـ«تدمر» بسوريا، وقبره هناك، وله ضريح معروف بضريح «محمد بن علي» ولكن من أينَ علم انّه ضريح محمد بن إسماعيل؟! وأنّه حُرِّفَ اسم والده.

٢. الروايات المتضافرة من الفريقين تشهد على أنّه كانت بينه وبين الرشيد صلة وكان موقفه منه، مـوقف العين، وقد أخبره بما يجري في أوساط العلويين، من جمع الأموال للثورة، والدعوة إلى الإمامة. و من هذه الروايات التي وقفنا عليها:

روى ابن عنبـة، عن أبي القاسـم بن إسماعيل نسـابة المصريين، أنّ مـوسى الكاظم عليه السلام كان يخاف ابن أخيه محمـد بن إسماعيل، ويبرّه، وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العباس.

وقـال أبو نصر البخـاري: كـان محمد بـن إسماعيل بن الصـادق عليه السلام مع موسى الكاظم عليه السلام يكتب له السر إلى شيعته في الآفاق. فلما ورد الرشيد الحجاز، سعى [2] محمد بن إسماعيل بعمه إلى الرشيد. فقال: أعلمتَ أنّ في الأرض خليفتين

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام:١٨١.

٢. ذكر الشيخ المفيد أنّ السـاعي بعمه الكاظم عليه السلام إلى الرشيد هو علي بـن إسماعيل لا أخوه محمد. وذكر قصة السعاية أُنظر (الإرشاد) باب ذكر السبب في وفاته عليه السلام.

يجبى إليهما الخراج؟ فقال الرشيد: ويلك أنا ومن؟ قال: موسى بن جعفر. وأظهر أسرارَه فقبض الرشيد على موسى الكاظم عليه السلام و حبسه، وكان سبب هلاكه، وحظى محمد بن إسماعيل عند الرشيد، وخرج معه إلى العراق، ومات ببغداد، ودعا عليه موسى بن جعفر عليه السلام بدعاء استجابه الله تعالى فيه وفي أولاده، ولمّا لِيمَ[1] موسى بن جعفر عليه السلام في صلة محمد بن إسماعيل والاتصال مع سعيه به. قال: إنّي حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرحم إذا قُطِعتَ فوَصَلْتَ ثمّ قُطِعَتْ فوصلت ثم قُطِعَتَ فوصلتَ ثمُ قُطِعَت قطعها الله تعالى، وإنّما أردتُ أن يقطع الله رحمه من رحمي.[2]

هذا ما رواه ابن عنبة من طرق أهل السنّة، كما رواه محدّثوا الشيعة ونأتي بنصّ أفضلهم وأوسعهم اطلاعاً، أعني: الشيخ الكليني المتوفى عام ٣٢٩هـ في الكافي.

روى الكليني بسند صحيح[3] عن علي بن جعفر قال: جاءني محمد بن إسماعيل وقد اعتمرنا عمرة رجب، ونحن يومئذ بمكة، فقال: يا عمُّ إنّي أُريد بغداد، وقد أحببتُ أن أُودّعَ عمي أبا الحسن ـ يعني موسى بن جعفر عليه السلام ـ وأحببت أن تذهبَ معي إليه، فخرجتُ معه نحو أخي، وهو في داره التي بالحوبة، وذلك بعد المغرب بقليل، فضربت البابَ فأجابني أخي، فقال: مَنْ هذا؟ فقلت: علي، فقال: هو ذا أخرجُ ـ وكان بطيء الوضوء ـ فقلت: العجل، قال: واعجل فخرج وعليه ازار ممشّق[4] قد عقده في عنقه حتى قعد تحت عتبة الباب، فقال عليّ بن جعفر: فانكببتُ عليه فقبّلتُ رأسه، وقلت: قد جئتك في أمر إن تره صواباً

١. فعل ماضي مجهول من اللوم.

٢. ابن عنبة: عمدة الطالب: ٢٣٣.

٣. رواه عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى العبيدي، عن موسى بن القاسم البجلي و هو نجل معاوية بن وهب البجلي، عن علي بن جعفر، والرواة ثقات والرواية صحيحة.

٤. أي مصبوغ بالمشق وهو الطين الأحمر.

فالله وفق لـه، وإن يكن غير ذلك، فما أكثر مـا نخطئ، قال: وما هـو؟ قلتُ: هذا ابن أخيك يريـد أن يودعـك ويخرجَ إلى بغداد، فقـال لي: أُدعـه، فدعـوتُه وكـان متنحياً، فدنا منه فقبّل رأسه.

وقـال: جعلت فـداك أوصني فقـال: أُوصيك أن تتقـي الله في دمي، فقـال مجيباً له: مـن أرادك بسوء فعل الله به، وجعل يـدعو على من يريده بسـوء، ثمّ عاد فقبّل رأسه، فقال: يا عمُّ أوصنـي، فقال: أُوصيك أن تتقي الله في دمي، فقال: من أرادك بسوء فَعَلَ الله به وفعل، ثمّ عاد فقبّل رأسـه، ثمّ قال: يا عم أوصني، فقال: أُوصيك أن تتقي الله في دمي، فـدعا على من أراده بسوء، ثمّ تنحّـى عنه، ومضيت معه، فقال لي أخي: يا عليّ مكانَك فقمتُ مكاني فدخل منزله، ثمّ دعاني فدخلتُ إليه، فتنـاول صرّة فيها مائة دينار فـأعطانيها. وقـال: قل لابن أخيك يستعين بها على سفره، قال عليّ: فأخـذتها فأدرجتها في حاشية ردائي، ثمّ نـاولني مائة أُخرى وقال: أعطه أيضاً، ثمّ ناولني صرة أُخرى وقال: أعطه أيضاً.

فقلت: جعلت فداك، إذا كنتَ تخاف منه مثلَ الذي ذكرتَ، فلِمَ تعينه على نفسك؟ فقال: إذا وصلتُـه وقطعني قطع الله أجله، ثمّ تناول مخدّة أدم، فيهـا ثلاثة آلاف درهم وضح [1] وقال: أعطـه هذه أيضاً قـال: فخرجت إليه فـأعطيته المائة الأُولى ففرح بها فرحاً شديداً ودعا لعمِّه، ثـمّ أعطيته الثانية والثالثة ففرح بها حتى ظننت انّـه سيرجع ولا يخرج، ثـمّ أعطيته الثـلاثـة آلاف درهم فمضى على وجهـه حتى دخـل على هـارون فسلّم عليـه بـالخلافـة، وقـال: مـا ظننـتُ أنّ في الأرض خليفتين، حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يُسلِّم عليه بالخلافـة، فأرسل هارون إليه بمائة ألف درهم فرماه الله بالذبحة [2] فما نظر منها إلى درهم ولا مسّه. [3]

---

١. الوضح: الدرهم الصحيح. لسان العرب: ٢/ ٦٣٥، مادة «وضح».

٢. الذبحة: وجع في الحلق، أو دم يخنق فيقتل. لسان العرب: ٢/ ٤٣٨، مادة «ذبح».

٣. الكليني: الكافي: ١/ ٤٨٥ـ٤٨٦.

روى الكشي في رجاله، عن أبي جعفر محمد بن قولويه القمي، قال: حدثني بعض المشايخ، عن علي بن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: جاءني محمد بن إسماعيل ابن جعفر يسألني أن أسأل أبا الحسن موسى عليه السلام، أن يأذن له في الخروج إلى العراق، وأن يرضى عنه ويوصيه بوصيّة، قال: فتجنّبت حتى دخل المتوضّى ... فلمّا خرج قلت له: إنّ ابن أخيك محمد بن إسماعيل، يسألك أن تأذن له في الخروج إلى العراق، وأن توصيه. فأذن له عليه السلام، فلمّا رجع إلى مجلسه قام محمد بن إسماعيل، وقال: يا عم أحبُّ أن توصيني. فقال: «أُوصيك أن تتقي الله في دمي». فقال: لعن الله من يسعى في دمك. ثمّ قال: يا عم أوصني، فقال: «أُوصيك أن تتقي الله في دمي». قال: ثمّ ناوله أبو الحسن عليه السلام صرة فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها محمد، ثمّ ناوله أُخرى فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها، ثمّ أعطاه صرة أُخرى فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها ثمّ أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده. فقلتُ له في ذلك: استكثرته؟ فقال: «هذا ليكون أوكد لحجّتي إذا قطعني ووصلتُه». قال: فخرج إلى العراق، فلمّا ورد حضرة هارون أتى باب هارون بثياب طريقه قبل أن ينزل، واستأذن على هارون وقال للحاجب: قل لأمير المؤمنين إنّ محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بالباب. فقال الحاجب: انزل أوّلاً وغيّر ثياب طريقك وَ عُدْ لأُدخلك إليه بغير إذن فقد نام أمير المؤمنين في هذا الوقت. فقال: أعلم أمير المؤمنين انّي حضرتُ ولم تأذن لي، فدخل الحاجب وأعلم هارون قول محمد بن إسماعيل، فأمر بدخوله، فدخل قال: يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض موسى بن جعفر بالمدينة يجبى له الخراج وأنت بالعراق يجبى لك الخراج. فقال: والله؟! فقال: والله. فقال: والله؟! قال: فأمر له بمائة ألف درهم، فلمّا قبضها وحمل إلى منزله أخذته الريحة في جوف ليلته، فمات، وحول من الغد المال الذي حمل إليه. [1]

---

١. الكشي: الرجال:٢٢٦، في ترجمة هشام بن الحكم.

و رواه ابن شهر آشوب في مناقبه.[١]

فلو صحّ ما ذكراه فكيف تكون لـه ثورة أيـام الرشيد وهـو يتعامـل معه، معاملة العيون والجواسيس، أو السعاة والوشاة.

نعم نقل أبـو الفرج الاصفهاني نفـس القصة وتبعه الشيـخ المفيد[٢] ولكن الساعي في كليهما هو علي بن إسماعيل أخو محمد بن إسماعيل، لكن السند قاصر، لأنّ الاصفهاني يرويـه عن أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة المتوفى عام ٣٣٢هـ عن شيخه: يحيى بن الحسن العلوي[٣] والرواية مرسلة إذ لا يتمكن ابن عقدة من نقل القصة بواسطة واحدة، كيف والإمام الكاظم قد أُخذ في آخر السبعينات بعد المائة، وتوفي عام ١٨٣هـ[٤] ولأجل الإيماء إلى الإرسـال أضـاف المفيد بعـد إنهاء السند قولَه عن مشايخهم: فما نقله الكليني بسند صحيح هو المعتبر.

***

وما ذكره: «وجّه الرشيد جيشاً لإلقـاء القبض عليه عندما كان في نهاوند...» لم أقف على مصـدره ولقـد تصفّحت حيـاة الرشيـد (١٧٠ـ١٩٣هـ) في تـاريخ الطبري، ومـروج الذهب للمسعـودي، وكامـل الجزري، فلم أجـد فيها شيئـاً من الحرب المزعومة وانتصار محمد بن إسماعيل على جيش الرشيد.

نعم نقل الجزري في حوادث سنة ٣١٢هـ: انـه ظهر في الكوفة رجل ادّعى انّـه «محمد بـن إسماعيل بـن جعفر بـن محمد بـن علي بن الحسين بـن علي بن أبي طـالب، وهـو رئيس الإسماعيليـة، وجمع جمعـاً عظيماً من الأعـراب وأهل السـواد واستفحل أمره في شـوال، فسيّر إليه جيش من بغـداد، فقاتلوه وظفـروا به وانهزم،

١. ابن شهر آشوب: المناقب: ٤/ ٣٢٦، قريباً مما نقله الكليني والكشي.
٢. المفيد: الإرشاد: ٢٩٨.
٣. في إرشاد المفيد: أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى عن مشايخهم.
٤. الجزري: الكامل: ٦/ ١٦٤، لاحظ حوادث سنة ١٨٣هـ.

وقتل كثير من أصحابه.(١)

قال مصطفى غالب: ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أوّل الأئمة المستورين،و الناطق السابع ومتم الدور، لأنّ إمامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الإسماعيلية، فقام بنسخ الشريعة التي سبقته، وبذلك جمع بين النطق والإمامة، ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة، ونادى بالتأويل، واهتم بالباطن، ولذلك قال فيه الداعي إدريس: «وإنّما خص محمد بن إسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر، لأنّك إذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره، كان خاتمهم الناطق،وهو نوح ﷺ وإذا عددت عيسى ووصيه قائمة دوره، كان محمّد ﷺمتسلماً لمراتبهم، وهو الناطق خاتم للنطقاء، وكان وصيّه ﷺ بالفضل منفرداً به، وإذا عددت الأئمّة في دوره كان محمد بن إسماعيل سابعهم، وللسابع قوّة على من تقدّمه، فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأُسبوع، وقائماً وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس، ببيان معانيها وإظهار باطنها المبطن فيها.(٢)

ولولا انّه فسّر نسخ الشريعة ببيان معانيها وإظهار باطنها المبطن فيها، كان المتبادر منه أنّه كان صاحب شريعة ودين حديث وهو كما ترى.

ثمّ إنّ ظاهر كلامه انّ النبي ﷺ كان خاتماً للدور الثاني، وانّ الدور الثالث يبتدأ بوصي النبي ﷺ علي أمير المؤمنين ﷺ و بما انّهم لا يعدّون الحسن بن علي في أئمتهم، يكون محمد بن إسماعيل هو سابع الأئمّة وأفضلهم.

إنّ ما ذكره اعتبارات وتخيّلات لم يقم عليها دليل، فما هو الدليل القاطع العقلي أو النقلي على هذا الدور ، وإنّ كلّ سابع، خاتم له.

---

١. الجزري: الكامل:٨/ ١٥٧.

٢. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:١٤٨.

الإمام الثالث

عبد الله بن محمد بن إسماعيل

(١٧٩_٢١٢هـ)

ولد في بلدة نيسابور عام ١٧٩ هـ من ألقابه: المستور، والرضي، والناصر، والعطار، وعبد الله الأكبر، كان كثير التنقل بين نهاوند والأهواز وطبرستان.

عرف أنّه كان معاصراً للرشيد، وقد أدرك عصر المأمون. سمّى جميع دعاته باسمه حتى لا يعرف .عندما خرج من فرغانة إلى الديلم، وكان يصحبه أخوه حسين. وفي الديلم تزوّج فتاة علوية وولد له منها أحمد.

و ألّف في سلمية رسائل «إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء».

توفي سنة ٢١٢ هـ ودفن في سلمية [١] وضريحه يعرف بالإمام إسماعيل. [٢]

إنّ من يدرس كتاب رسائل «إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء» يقف على أنّه أثر لجنة علمية لا تأليف شاب لم يتجاوز عمره الثلاثين إلاّ قليلاً.

إنّ هذا الكتاب أُلّف في القرن الرابع الهجري، وقد قامت بتأليفه جماعة، وكان أبو حيان التوحيدي على معرفة بأحوال أحد أفرادها، وقد وصفه لصمصام الدولة الذي ولي الأمر في سنة ٣٧٢هـ. [٣]

---

١. بليدة بالشام من أعمال حمص.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٢ .

٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٩/ ٢٢.

ففي مقدمـة المحقّق : تألّفتْ هذه الجماعـة في القرن الرابع الهجـري، وكان موطنها البصرة، ولها فرع في بغداد، ولم يعرف من أشخـاصها سوى خمسة يتغشاهم الغمـوض والشك... فقيـل إنّ أحدهـم هـوأبو سليمان محمـد بـن معشر البستي المعـروف بالمقـدسي، والآخر أبـو الحسن علي بن هـارون الـزنجاني، ثمّ أبـو أحمد المهرجـاني، فأبـو الحسن العوفي، فـزيد بـن رفاعـة، ويؤخـذ من كلام لأبي حيّـان التوحيدي أثبته أحمد زكي بـاشا في مقدمته لرسائل الإخوان انّ زيـد بن رفاعة كان متهماً بمذهبه، وانّ الوزير صمصام الدولة بن عضد الدولة سأله عنه. (١)

١ . رسائل إخوان الصفا وخلاّن الوفاء: ٥، المقدمة.

الإمام الرابع

أحمد بن عبد الله

(١٩٨ـ٢٦٥هـ)

عرّفه الكاتب عارف تامر بقوله: ولد في سلمية سنة ١٩٨هـ واتخذ من هذه المدينة مقراً له ومركزاً لتوزيع الدعاة ونشر التعاليم في المناطق الأُخرى. كان على جانب كبير من العلم، وإليه تنسب رسالة الجامعة لإخوان الصفاء وخلاّن الوفاء.

ولد له ولدان هما: الحسن وسعيد.

كان يتنقل بين الديلم والكوفة، وغيرهما في سبيل التجارة. والحقيقة أنّ ذلك لم يكن إلاّ في سبيل نشر الدعاية والأفكار الإسماعيلية. لقبه الوفي.

عاصر المأمون واشترك في إثارة الناس عليه، إلى أن يقول: كان يقضي فصل الشتاء في سلَمية، والصيف في مصياف. نشاط الدعاة في عصره بلغ الأوج خاصة في المجال العلمي.

مات في مصياف سنة ٢٦٥هـ عن ٦٧ عاماً، ودفن فيها في جبل مشهد. [١]

و يقول المؤرّخ المعاصر: ولقد تعرض الإمام أثناء وجوده في السلَمية لمضايقات الخلفاء العباسيين المستمرة، لذلك وجد بأنّ السلَمية لم تعد مكاناً صالحاً له، فغادرها سرّاً إلى الري حيث استقر فيها مدّة طويلة عمل خلالها لنشر دعوته على نطاق واسع، فاعتنقها أكثر الملوك والأُمراء، وقدّموا جميع إمكانياتهم

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٢.

لمساعدة الـدعاة في سبيـل نشرها وتعميمهـا في جميع الأقطـار الشرقية، والجدير بالـذكر انّ أكثر الحكـام والولاة في العهد العبـاسي كانوا يتظـاهرون بنقمتهم على الإسماعيلية، بينما كـانوا يدينون بعقـائدها في الباطن وينصرون الدعـاة، ويعملون سراً على تقوية الدعوة وإنجاحها.[١]

وقد ذكر عـارف تامر انّ لقبه هـوالوفي في حين أنّ مصطفى غالب قـد لقبه بمحمد التقي، والظاهر انّهما لقبين لشخص واحد.

ولا يذهب عليك ما في كـلامه من المبالغة من اعتناق أكثـر الحكام والولاة لعقائد الإسماعيلية، فإنّ المؤرّخين المعاصرين[٢]، قد اعتادا على المبـالغة في الثناء وانتشار الدعوة من دون أن يذكرا لكلامهما مصدراً.

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٦٧.

٢. عارف تامر، مصطفى غالب، والثاني أكثر مبالغة.

الإمام الخامس

الحسين بن أحمد

(٢١٩_٢٨٩هـ)

ولد في مصياف سنة ٢١٩هـ كان مركز إقامته في سلمية. اشتهر بثروته المالية الطائلة.

من ألقابه: المرتضىٰ، والمقتدىٰ، والزكي، والهادي، والتقي.

لخص رسالة الجامعة برسالة موجزة سمّاها جامعة الجامعة.

كان علىٰ علاقات طيبة مع الهاشميين القاطنين في سلمية، التقىٰ بالنجف الأشرف بالداعي أبي قاسم حسن بن فرح بن حوشب (منصور اليمن) وعلي بن الفضل حيث كانا يدعوان للحسن العسكري الاثني عشري فأثّر فيهما وأحضرهما إلى سلمية، ثمّ جهزهما بعد ذلك إلى اليمن.

وفي عهده تم إرسال أبي عبد الله الشيعي [1] [2] إلى المغرب.

في عصره دبّ الوهن إلى الدولة العباسية وأحدقت بها الثورات والاضطرابات، تولى ابن طولون في عهده شؤون مصر وأوكل إليه تنظيم بلاد الشام أيضاً. كانت الأموال الطائلة تحمل إليه من كافة الجهات حتى من آذربيجان.

---

١. والقرائن تشهد انّ المراد منه، هو عبد الله بن ميمون القداح.

٢. وصار بعد ذلك داعية عبيد الله المهدي الإمام السادس، وسيوافيك تفصيله في ترجمة «عبيد الله».

مات في سلمية ودفن في مقام جده عبد الله بن محمد وكان ذلك سنة ٢٦٥.[1]

ما ذكره من أنه توفي عام ٢٦٥هـ غير صحيح، لأنّه عام وفاة والده ولعلّه تصحيف سنة ٢٨٩هـ. وقد أرّخ ميلاده ووفاته مؤلف تاريخ الدعوة الإسماعيلية كما ذكرنا وقال: وعهد بالإمامة من بعده لابنه محمد المهدي[2] وقال له: إنّك ستهاجر بعدي هجرة وتلقىٰ محناً شديدة.[3]

قد سبق وأن ذكرنا أنّ محمد بن إسماعيل ـ أي الإمام الثاني ـ أرسل الداعيين: الحلواني وأبا سفيان إلى المغرب، ولكن لم يحددا تاريخ البعث، فبما انّ محمد بن إسماعيل استلم الإمامة ـ حسب رأي الإسماعيلية ـ عام ١٥٨هـ وتوفي عام ١٩٣هـ، فيكون إرسالهما بين الحدين.

كان الداعيان مهتمين بالتبليغ والدعوة في أيام الأئمة الثلاثة إلى أن استلم الإمام الحسين بن أحمد زمام الإمامة، ووقف بأنّ الدعوة في المغرب تتقدم باستمرار، فحينئذٍ طلب من الداعية الكبير أبي عبد الله الحسين أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي ـ الذي كان يدعو الناس إلى المذهب الإسماعيلي في البصرة ـ الذهاب إلى اليمن ويدرس هناك علىٰ ابن حوشب ويطيعه ويقتدي به، ثمّ يذهب بعد فراغه من الدراسة، إلى المغرب قاصداً بلدة «كتامة».

توجه أبو عبد الله إلى اليمن حيث شهد مجالس ابن حوشب وأصبح من كبار أصحابه، فلما أتى خبر وفاة الحلواني وأبي سفيان دعاة المغرب إلى ابن حوشب قال لأبي عبد الله الشيعي: إنّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فانّها موطّأة ممهّدة لك.

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام:١٨٣.

٢. عبيد الله المهدي.

٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:١٧١. و لم يذكر مصدراً لكلامه.

فخرج أبو عبد الله إلى مكة وأعطاه ابن حوشب مالاً وسيّر معه عبد الله بن أبي ملاحف، فلمّا قدم أبو عبد الله مكة سأل عن حجاج كتامة، فأرشِد إليهم، فاجتمع بهم، ولم يُعرِّفهم قصدَه، وجلس قريباً منهم، فسمعهم يتحدثون بفضائل أهل البيت، فأظهر استحسان ذلك، وحدّثهم بمالم يعلموه، فلمّا أراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته والانبساط معه، فأذن لهم في ذلك، فسألوه أين مقصده، فقال: أُريد مصر، ففرِحوا بصحبته.

وكان من رؤساء الكتاميين بمكة رجل اسمه «حُريث الجُميلي»، وآخر اسمه موسى بن مكاد فرحلوا وهو لا يخبرهم بغرضه، وأظهر لهم العبادة والزهد، فازدادوا فيه رغبة وخدموه، وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم وعن طاعتهم لسلطان إفريقية، فقالوا: ما له علينا طاعة، وبيننا وبينه عشرة أيام، قال: أفتحملون السلاح؟ قالوا: هو شغلنا، ولم يزل يتعرّف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر، فلمّا أراد وداعهم قالوا له: أي شيء تطلب بمصر؟ قال: أطلب التعليم بها [1] قالوا: إذا كنت تقصد هذا فبلادنا أنفع لك ، ونحن أعرف بحقك، ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم بعد الخضوع والسؤال، فسار معهم.

فلما قاربوا بلادَهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبره، فرغبُوا في نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيّفه منهم، ثمّ رحلوا حتى وصلوا إلى أرض كتامة منتصف شهر ربيع الأوّل سنة ثمانين ومائتين ، فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه، فقال لهم: أين يكون فج الأخيار؟ فتعجبوا من ذلك ولم يكونوا ذكروه له، فقالوا له: عند بني سليمان، فقال : إليه نقصد، ثمّ نأتي كلّ قوم منكم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم، فأرضى بذلك الجميع.

و سار إلى جبل يقال له إنكجان، وفيه فج الأخيار، فقال: هذا فج الأخيار، وما سمي إلاّ بكم ولقد جاء في الآثار: انّ للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان، ينصره

١ . يريد تعليم مذهب أهل البيت ﷺ.

فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان، فإنّهم كتامة وبخروجكم من هذا الفج يسمّى فجُ الأخيار.

ثمّ إنّه قال للكتاميين: أنا صاحب البدر الذي ذكر لكم أبوسفيان والحلواني، فازدادت محبتهم له وتعظيمهم لأمره. ثمّ إنّ الحسن بن هارون وهو من أكابر كتامة، فأخذ أبا عبد الله إليه، ودافع عنه، ومضيا إلى مدينة ناصرون فأتته القبائل من كلّ مكان وعظم شأنه، وصارت الرئاسة للحسن بن هارون، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة. ثمّ كان الأمر على ذلك حتى توفي الإمام الحسين بن أحمد عام ٢٨٩هـ وعهد بالإمامة من بعده لابنه محمد المهدي، وقال له: إنّك ستهاجر بعدي هجرة بعيدة، وتلقىٰ محناً شديدة، فلمّا قام عبيد الله بعد أبيه انتشرت دعوته، وأرسل إليه أبو عبد الله الشيعي رجالاً من كتامة من المغرب ليخبروه بما فتح الله عليه وانّهم ينتظرونه. وهذا ما سنذكره في سيرة الإمام التالي الإمام عبيد الله المهدي.[١]

***

هؤلاء هم الأئمّة المستورون عند الإسماعيلية، والذي يدلّ على ذلك أنّ القاضي النعمان وصفهم بالاستتار، وجعل مبدأ الظهور قيام عبد الله الإمام المهدي بالله، وإليك أبياته في أُرجوزته يقول:

واشتدت المحنة بعد جعفرِ ... فانصرف الأمر إلى التسترِ
وكان قد أقام بعض ولده ... مقامَه لمّا رأى من جَلَدِه
فجعل الأمر له في ستر ... فلم يكن قالوا بذاك يدري
لخوفه عليه من أعدائه ... إلاّ ثقاتُ محضِ أوليائِه

١. الجزري: الكامل: ٨/ ٣١ ـ ٣٧؛ تاريخ ابن خلدون: ٤/ ٤٠ـ٤٤، و أيضاً ص ٢٦١ .وقد لخصنا القصة وحذفنا ما ليس له صلة بالموضوع كالحروب التي خاضها أبو عبد الله الشيعي.

وأهلُه الذين قد كانوا معه — فقام بالأمر، وقاموا أربعة
لمّا مضى كلّهم لصلبه — مسترين بعده بحسبه
قد دخلوا في جملة الرعية — لشدة المحنة والرزية
و كلهم له دعاة تسري — ودعوة في الناس كانت تجري
يعرفهم في كل عصر وزمن — وكل حين وأوان، كلُّ مَن
والاهم،وكلُّ أوليائهم — يعلم ما علم من أسمائهم
ولم يكن يمنعني من ذكرهم — إلاّ احتفاظي بمصون سرهم[1]
و ليس لي بأن أقول جهراً — ما كان قد أُدّي إليّ سرّاً
وهم على الجملة كانوا استتروا — و لم يكونوا إذ تولّوا ظهروا
بل دخلوا في جملة السواد — لخوفهم من سطوة الأعادي
حتى إذا انتهى الكتاب أجله — وصار أمر الله فيمن جعله
بمنّه مفتاحَ قفل الدين — أيّده بالنصر والتمكين[2]

و ممّا ينبغي إلفات القارئ إليه انّ القاضي في كتابه «الأُرجوزة المختارة» وإن ذكر في المقام استتار الأئمة بعد رحيل الإمام الصادق وهو يوافق عقيدة الإسماعيلية، لكنّه في مقام الرد والنقد، رد على جميع الفرق الشيعية ماعدا الإمامية الاثني عشرية ، فقد رد على مقالات الحريرية، الراوندية، الحصينية، الزيدية، الجارودية، البترية، المغيرية، الكيسانية، الكربية، البيانية، المختارية، الحارثية،

---

١. لوصحّ ما ذكره يجب على سائر الدعاة سلوك مسلكه وعدم التنويه بأسمائهم، لكن المشهور خلافه، ولعلّ الاختلاف في أسمائهم وسائر خصوصياتهم دفعه إلى هذا الاعتذار.

٢. القاضي النعمان: الأرجوزة المختارة: ١٩١ـ١٩٢، والأُرجوزة تبحث عن قضية الإمامة منذ وفاة الرسول، إلى عصره، والظاهر أنّه ألّفها في عهد الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله وكان حكمه من سنة ٣٢٢ إلى ٣٣٤ كما استظهر محقّق الكتاب.

العباسية، الرزامية. ولم يردّ على الإمامية بشيء فلو لم يكن المذهب الاثنا عشري مرضياً عنده لما فاته التعرض عليه، كيف وهو من أعظم فرق الشيعة؟!

وهذا يدل على أنّ المؤلف كان إمامياً اثني عشرياً ــ حسب رأي المحدّث النوري ــ ويعيش في حال التقية في عصر الخليفة الفاطمي المعزّ بدين الله في القاهرة ويجاريه، وقد ألف دعائم الإسلام، الذي اعتمدت عليه الإسماعيلية والاثنا عشرية، وإنّما المهم هو كتاب «تأويل الدعائم» الذي انفرد المذهب الإسماعيلي في الاعتماد عليه. ولعلّه كان هناك مبرر لتأليف هذا الكتاب وما ماثله والله العالم.

و مع ذلك سيوافيك ما يخالف هذا الرأي في الفصل الثالث عشر ضمن ترجمة أبي حنيفة النعمان.

إلى هنا تمت ترجمة سيرة الأئمّة المستورين، فلوجعلنا إسماعيل بن جعفر أوّل الأئمّة، فالأئمّة المستورون خمسة وهم:

١. إسماعيل بن جعفر، وقد عرفت أنّه لم تكن له أيّة دعوة، وإنّما ذكرناه في هذه القائمة مجاراة للقوم.

٢. محمد بن إسماعيل، ولم تثبت عندنا له دعوة، بل كان يتعاطى مع هارون الرشيد على ما عرفت.

٣. عبد الله بن إسماعيل، المعروف بالوفي.

٤. الإمام أحمد بن عبد الله، المعروف بالتقي.

٥. الحسين بن أحمد، المعروف بالرضي.

وعلى هذا فالإمام السادس أعني عبيد الله المهدي ـ الذي خرج عن كهف الاستتار، وأسّس دولة إسماعيلية بإفريقية ـ هو ابن الإمام السابق، أعني: الحسين بن أحمد، وعلى ذلك جرى مؤرخو الإسماعيلية فيذكرونه ابناً للإمام السابق، ومع

ذلك ففي نسبه خلاف كما سيوافيك تفصيله.

تتمة

الموجود في كتب أنساب الطالبيين أنّ محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق لم يعقّب إلاّ من رجلين، ولم يتعرّضوا لعبد الله بن محمد، فضلاً عن أحمد بن عبد الله وولده الحسين.

قال الرازي: ولمحمد بن إسماعيل هذا من الأولاد المعقبين اثنان: إسماعيل الثاني، وجعفر الأكبر السلامي.[١]

وقال أبو طالب الأزورقاني: وعقّب محمد من رجلين: جعفر الأكبر السلامي، وإسماعيل الثاني.[٢]

وقال ابن عنبة: وأعقب محمد بن إسماعيل من رجلين: إسماعيل الثاني، وجعفر الشاعر «السلامي».[٣]

نعم ذكر الشهرستاني: انّ ثلاثة من أولاد محمد بن إسماعيل بقوا مستورين لا وقوف لأحد عليهم: الرضي، والوفي، والتقي ﴿قُل رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾[٤] ثمّ ظهر المهدي بالمغرب وبنى المهدية.[٥]

ولكن ما ذكره الشهرستاني رأي تفرّد به.

ولذلك نرى أنّ بعض علماء الأنساب جعل أئمّة الإسماعيلية على الترتيب التالي:

---

١. الرازي: الشجرة المباركة:١٠١.

٢. أبو طالب الأزورقاني: الفخري في انساب الطالبيين:٢٣.

٣. ابن عنبة: عمدة الطالب:٢٣٤.

٤. الكهف:٢٢.

٥. الرازي: الشجرة المباركة:١٠٣.

١. إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق.

٢. محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، المعروف بالمكتوم.

٣. ابنه: جعفر بن محمد السلامي، المعروف بالمصدق.

٤. ابنه: محمد بن جعفر، المعروف بالحبيب. [1]

٥. ابنه: عبيد الله المهدي ابن محمد الحبيب، وعليه يكون المهدي الإمام الخامس.

وفي بعض الروايات انّه ابن جعفر بن الحسن بن الحسن، بن محمد بن جعفر الشاعر السلامي بن محمد بن إسماعيل. [2]

---

١. ابن عنبة: عمدة الطالب: ٢٣٥ـ٢٣٦.

٢. أُنظر تراجم محمد المكتوم، جعفر المصدق، محمد الحبيب في الأعلام: ٦/ ٣٤، ٢/ ١٢٦، ٦/ ٧٠ نقلاً عن اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء.

الفصل السادس

في

الأئمة الطاهرين



الإمام السادس

عبيد الله المهدي

(٢٦٠_٣٢٢هـ)

الإمام عبيد الله الملقب بالمهدي، هو مؤسس الدولة الإسماعيلية في المغرب.

ولد بسلمية التي هي بلدة بالشام من اعمال حمص عام ٢٦٠_٢٥٩ ودعي له بالخلافة على منابر: رقادة، والقيروان، يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ فخرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس، وبنى البلدة المعروفة بـ«المهدية» وتوفي بها عام ٣٢٢هـ.

إذا سبرنا التاريخ نجد أنّ المؤرخين، وأصحاب المعاجم، لا يمسّون إسماعيل ولا الأئمّة الذين تلوه بكلمة مشينة، وإنّما يذكرونهم كسائر الفرق فلهم مالهم وعليهم ما عليهم، فلما وصل الأمر إلى عبيد الله الذي أسس دولة شيعية في المغرب و تعاقب على حكمها خلفاء تمكنوا من إرساء دعائمها وتقوية مرتكزاتها، ثارت ثائرة السنّة المعاندين، وأخذوا يصبّون عليهم قوارع الكلم، ويرمونهم بأفظع النسب والتهم، ممّا يندىٰ لها الجبين، والذي دعاهم لذلك أمران:

الأوّل: عداؤهم السياسي، فهؤلاء الخلفاء أخرجوا المغرب ومصر والشامات من قبضة الخليفة ببغداد، مما حرض البلاط العباسي ووعاظ الخلفاء على سبّهم والطعن في نسبهم، وانّ نسب عبد الله المهدي لا يصل إلى آل علي، بل إلى مجوسي أو يهودي.

الثاني: بغضهم للشيعة، فلقد قام الخلفاء الفاطميون بتأسيس دولة إسلامية شيعية، لأوّل مـرة في أقصاع كبيرة مـن الأرض وأشاعـوا فيها التشيع، وحـب أهل البيت، وأمـروا بـإدخـال «حي على خير العمـل» في الأذان، وتـرك بعض البـدع، كإقـامـة صـلاة التراويح جماعـة وغيرهـا، ممّا حـدا بالمتعصبين مـن أهل السنّة كالذهبي، ومن لـف لفه ـ الذي كان لا يقيم للأشـاعرة من أهل العقائد ولا لغير الحنابلة من أهل الفقه وزناً ولا قيمة، فكيف للشيعة المنزهة لله سبحانه عن الجسم ولوازمه ـ أن يسبّهم ويتّهمهم بتهم رخيصة، وانّهم من عناصر يهودية قلبوا الإسلام ظهراً لبطن.

فما نرى في كتب التاريخ والمعاجم حول نسب عبيد الله المهدي، كـ«وفيات الأعيـان» لابن خلكـان، وسير أعلام النبـلاء للذهبـي وغيرهما لا يمكن الاعتماد عليهـا والوثـوق بها، لأنّها وليـدة أجـواء العداء السيـاسي، والاختـلاف المذهبي، اللّذين يعميان ويصمّان.

نعم هناك من رد تلك التهم المشينة من المؤرخين برحابة صدر كابن خلدون في مقدمته، والمقريزي في خططه.

يقـول ابن خلـدون: أوّلهم عبيـد الله المهدي بـن محمد الحبيب بن جعفـر الصادق[1] بن محمـد المكتـوم بن[2] جعفـر الصـادق، ولا عبرة بمن أنكـر هـذا النسب مـن أهل القيروان وغيرهـم وبـالمحضر الـذي ثبت ببغـداد أيـام القـادر بالطعن في نسبهم، وشهد فيـه أعلام الأئمّة، وقد مرّ ذكرهـم. فإنّ كتاب المعتضد

---

١. هـو جعفر الأكبر السـلامي، ولد محمـد بن إسماعيـل ابن الإمام الصـادق عليه السلام و ربما يعبر عنـه بالمصدق ليتميز عن جدّه الإمام الصادق عليه السلام.

٢. سقط عـن الطبع: ابن إسماعيل بـن جعفر الصـادق، أُنظر عمـدة الطالـب: ٢٣٥،وقد ذكـر ابن خلدون نفسـه في مكان آخـر نسبه وقال: لما تـوفي محمد الحبيب بـن جعفر بن محمـد بن إسماعيل الإمام عهد إلى ابنه عبيد الله وقال: أنت المهدي... التاريخ ٤/ ٤٤.

إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغريهم بالقبض عليه، لمّا سار إلى المغرب، شاهد بصحة نسبه، وشعر الشريف الرضي مسجل بذلك. والذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع وهي ما علمت،و قد كان نسبهم ببغداد منكراً عند أعدائهم شيعة بني العباس منذ مائة سنة، فتلون الناس بمذهب أهل الدولة وجاءت شهادة عليه مع أنّها شهادة على النفي، مع أنّ طبيعة الوجود في الانقياد إليهم، وظهور كلمتهم حتىٰ في مكة والمدينة أدل شيء علىٰ صحّة نسبهم.

وأمّا من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية ليعمونَ القدح وغيره، فكفاه ذلك إثماً و سفسفة.[1]

ثمّ إنّ تقي الدين المقريزي بعد ما نقل أقوال المخالفين في حقّ عبيد الله المهدي ـ حيث إنّهم وصفوه تارة بأنّه ابن مجوسي، وأُخرى أنّه ابن يهودي ـ أخذ بالقضاء العادل وقال:

وهذه أقوال إن أنصفت تبيّن لك أنّها موضوعة، فإنّ بني علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوسيّ أو لابن يهودي؟! فهذا ممّا لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف، وإنّما جاء ذلك من قبل ضَعَفَة خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميّين، فإنّهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة، وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديارَ بكر والحرمين واليمن، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم.

فلاذت حينئذٍ بتنفير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم، وبث ذلك عنهم خلفاؤهم وأعجب به أولياؤهم وأُمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم معرّة العجز عن مقاومتهم،

---

١. ابن خلدون: التاريخ :٤/ ٤٠.

و دفعهم عمّا غُلِبُوا عليه من ديار مصر، والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد، وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضي والمرتضى [١] وأبو حامد الاسفرائيني والقدوري في عدّة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة اثنتين وأربعمائة أيام القادر.

وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر، وعرف بين الناس ببغداد وأهلها من شيعة بني العباس، الطاعنون في هذا النسب، والمتطيّرون من بني علي ابن أبي طالب، الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة، فنقل الأخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه، ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبّر، والحقّ من وراء هذا.

وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بني العباس حجة، فإنّه كتب في شأن عبيد الله إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة [٢] بالقبض على عبيد الله، فتفطّن ـ أعزك الله ـ لصحّة هذا الشاهد، فإنّ المعتضد لولا صحّة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه، إذ القوم حينئذٍ لا يَدّعون لِدعيّ البتة ولا يذعنون له بوجه، وإنّما ينقادون لمن كان علويّاً، فخاف ممّا وقع، ولو كان عنده من الأدعياء، لما مرّ له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الأرض.

وإنّما كان القوم، أعني: بني علي بن أبي طالب، تحتَ ترقّب الخوف من بني العباس لتطلّبهم لهم في كلّ وقت، وقصدهم إيّاهم دائماً بأنواع من العقاب، فصاروا ما بين طريد شريد، وبين خائف يترقّب، ومع ذلك فإنّ لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في أقطارهم من المحبة لهم، والإقبال عليهم مالا مزيد عليه، وتكرّر قيام

١. سيوافيك كلام الرضي الذي نقله ابن أبي الحديد في شرحه.

٢. سجلماسة مدينة انشئت سنة ١٤٠هـ، وتقع في محلة تافيلالت اليوم في طرف صحراء المغرب على بعد حوالي ٣٢٥ كلم إلى الجنوب الشرقي لمدينة فاس، عمرها بربر مكناسة، ولمّا تولّاها اليسع بن سمغون المكناسي أحاطها بسور وبنى بها عدّة مصانع و قصور، وقد استمر عمران هذه المدينة إلى القرن العاشر الهجري.(دولة التشيع في بلاد المغرب: ١٠٩).

الرجال منهم مرّة بعد مرّة والطلب عليهم من ورائهم، فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يُعْرفُون، حتى تسمّى محمد بن إسماعيل الإمام جدُّ عبيد الله المهدي بالمكتوم، سمّاه بذلك الشيعة عند اتّفاقهم على إخفائه، حذراً من المتغلّبين عليهم، وكانت الشيعة فرقاً.

فمنهم من كان يذهب إلى أنّ الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه، وهؤلاء يعرفون من بين فرق الشيعة بالإسماعيلية من أجل انّهم يرون أنّ الإمام من بعد جعفر ابنه إسماعيل، وانّ الإمام بعد إسماعيل بن جعفر الصادق هو ابنه محمد المكتوم، وبعد ابنه محمد المكتوم، ابنه جعفر الصادق [1]، ومن بعد جعفر الصادق، ابنه محمد الحبيب، وكانوا أهل غلو في دعاويهم في هؤلاء الأئمّة.

وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهوره وانّه يصير له دولة، وكان باليمن من أهل هذا المذهب كثير بعدن وبإفريقية وفي كتامة و نفره، تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق، فقدم على محمد (الحبيب) بن جعفر والد عبيد الله رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب في سنة ثمان وستين ومائتين، فأظهرا أمرهما باليمن، وأشهرا الدعوة في سنة سبعين، وصار لابن حوشب دولة بصنعاء، وبثّ الدعاة بأقطار الأرض، وكان من جملة دعاته أبو عبد الله الشيعي، فسيّره إلى المغرب فلقي كتامة ودعاهم، فلمّا مات محمد (الحبيب) بن جعفر عهد لابنه عبيد الله فطلبه المكتفي العباسي وكان يسكن عسكر مكرم، فسار إلى الشام، ثمّ سار إلى المغرب فكان من أمره ما كان، وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر أربعة عشر رجلاً .

هذه خلاصة أخبارهم في أنسابهم، فتفطّن ولا تغتر بزخرف القول الذي لفّقوه من الطعن فيهم، والله يهدي من يشاء. [2]

---

١. كان التعبير بالمصدّق.

٢. المقريزي: الخطط: ١/٣٤٨ـ٣٤٩.

ولا يظن القارئ الكريم انّ الكاتب بصدد الدفاع عن عقيدتهم وأُصولهم، وما اقترفوه من الأعمال الشنيعة كسائر الخلفاء والملوك، وإنّما الهدف إيقاف القارئ على بَخس حملة الأقلام لحق هؤلاء، ولو كان لآل البيت حرية ولم يكن لهم اضطهاد لما التجأوا إلى ترك أوطانهم والهجرة إلى أقاصي البلاد هرباً ممّا يحيط بهم من الأخطار.

ونعم ما قال العزيز بالله أحد الخلفاء الفاطميين:

نحن بنو المصطفى ذوو مِحَن	أوّلنا مبتلى وخاتمنا
عجيبة في الأيام محنتنا	يجرعها في الحياة كاظمنا
يفرح هذا الورى بعيدهم	طراً وأعيادنا مآتمنا[1]

إنّ الباطل إذا خلص من شائبة الحق، لا يمكن أن يدوم ٢٧٢ سنة حاكماً، ٢٠٨ أعوام منها على مصر، وعلى مساحات شاسعة من المغرب والشام والعراق، فلم تكن الدعوة إلحادية، ولا مجوسية ، ولا يهودية، بل دعوة إسلامية على نهج آل البيت، لكنّهم ضلّوا في الطريق، فأخذوا ببعض وتركوا بعضاً.

أضف إلى ذلك انّ الناس بايعوا الحاكم بالله الإمام الحادي عشر وهو ابن خمس وستين سنة ممّا يدلّل على أنّ قلوب الأُمّة كانت تهوي إليهم لمّا شاهدوا بأمّ أعينهم من إشاعة للعدل وعمران للبلاد، وبسط للثقافة وأمن للطرق.

وأمّا ما نسب المقريزي إلى الشريف الرضي من أنّه وافق القوم في نفي انتسابهم إلى البيت العلوي فيصفه ابن أبي الحديد ويقول:

«ذكر أبو الحسن الصابي وابنه غرس النعمة محمد في تاريخهما: أنّ القادر بالله عقد مجلساً أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي، وابنه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضي أبي الحسن التي

---

١. الذهبي: سير الأعلام: ١٥/ ١٦٧ـ ١٦٨ .وسيوافيك أيضاً في ترجمته، فانتظر.

أوّلها:

مــا مقـامـي على الهَوان وعنـدي	مِقْـول صـارِمٍ وأنـف حَمِيّ
و إبـاء مُحلِّـقٌ بي عـن الضيـ	ـم كما زاغَ طـائر وحشيّ
أي عـذر لـه إلى المجـد إن ذ	ل غـلام في غمـده المشرفيّ
أحمل الضيمَ في بـلاد الأعـادي	و بمصر الخليفـةُ العلـوي
مـن أبـوه أبي، ومـولاه مـولا	ي إذا ضـامني البعيـدُ القصيّ
لفَّ عِـرقـي بِعِـرْقِـه سيـدا النـا	س جميعـاً محمـد وعليّ

وقال القـادر للنقيب أبي أحمد: قل لـولدك محمد: أيَّ هـوان قد أقام عليه عندنا؟! أيّ ضيم لقي من جهتنا؟! وأي ذُلّ أصـابه في مملكتنا؟! وما الذي يعمل معه صاحـب مصر لو مضىٰ إليه؟! أكان يصنـع إليه أكثر من صنيعنا؟! ألم نـولّه النقـابـة؟! ألم نـولّه المظـالم؟! ألم نستخلفـه على الحرمين والحجـاز، وجعلنـاه أمير الحجيج؟! فهل كـان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا؟! ما نظنّـه كان يكون لو حصل عنده إلاّ واحداً من أبناء الطالبيين بمصر.

فقال النقيب أبو أحمد: أمّا هذا الشعر فممّا لم نسمعه منه، ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعضُ أعدائه نَحله إيّاه، وعزاه إليه.

فقـال القـادر: إن كـان كـذلك، فلتكتـب الآن محضراً يتضمن القـدح في أنساب ولاة مصر، ويكتُب محمـد خطّه فيه. فكتب محضراً بذلك، شهـد فيه جميع مـن حضر المجلس، منهـم النقيب أبـو أحمد، وابنـه المرتضـى، وحمل المحضر إلى الرضي ليكتـب خطّه فيه، حَمَله أبوه وأخوه، فامتنع من سطر خطه، وقال: لا أكتب وأخـاف دعاة صـاحب مصر، وأنكـر الشعـر، وكتب خطـه وأقسم فيـه أنّـه ليس بشعـره، وأنّه لا يعـرفه. فـأجبره أبوه علىٰ أن يكتـب خطّه في المحضر، فلـم يفعل، وقال: أخـاف دعاة المصريين وغيـلتهـم لي فـانّهم معروفون بذلك، فقـال أبـوه:

يا عجباه، أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع؟! وحلف ألاّ يكلّمه، وكذلك المرتضى، فعلا ذلك تقية وخوفاً من القادر، وتسكيناً له.

و لمّا انتهى الأمر إلى القادر سكتَ على سوءٍ أضمره، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة، وولاّها محمد بن عمر النهر السايسي.[1]

ذهاب عبيد الله إلى إفريقية

لمّا تمكن أبو عبد الله واستقر أمره مهّد الطريق لإمامة عبيد الله المهدي، فبعثَ برجال من كتامة إلى سلمية في أرض الشام، فقدِموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه، وكان قد اشتهر هناك انّ الخليفة المكتفي طلبه، فخرج من سلَمية فارّاً ومعه ابنه أبوالقاسم نزّار، ومعهما أهلهما فأقاما بمصر مستقرين، ثمّ سار إلى طرابلس وقد سبقَ خبره إلى «زيادة الله» فسار إلى قسطيلية فقدم كتاب «زيادة الله» ابن الأغلب إلى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم، فلم يدركوه، فرحل إلى سجلماسة وأقام بها، فوافى عامله على سجلماسة كتاب زيادة الله، بالقبض على عبيد الله فلم يجد بداً من أن قبض عليه وسجنه. فلمّا دخل شهر رمضان سار أبو عبد الله من رقادة في جيوش عظيمة يريد سجلماسة، فحاربه اليسع يوماً كاملاً إلى الليل ثمّ فر عاملها في خاصته، فدخل أبو عبد الله من الغد إلى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى في ركابهما بجميع رؤساء القبائل، وهو يقول للناس: هذا مولاكم، وهو يبكي من شدة الفرح حتى وصل بهما إلى فسطاط وأقاما فيها أربعين يوماً، ثمّ سار إلى إفريقية في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة، وقسّم على وجوه كتامة أعمال إفريقية.[2]

---

١. شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٧ـ٣٩.

٢. المقريزي: الخطط المقريزية:١/ ٣٥٠، دار صادر؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان:٢/ ١٩٢.

ولكن العجب انّ عبيد الله جزىٰ أبا عبد الله الشيعي جزاء السنمار، وذلك انّ المهدي لما استقامت له البلاد، ودانت له العباد، وباشر الأمور بنفسه وكف يد أبي عبد الله ويد أخيه أبي العباس، داخل أبا العباس الحسد وعظم عليه الفطام عن الأمر والنهي والأخذ والعطاء، فأقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ويتكلّم فيه وأخوه ينهاه ولا يرضىٰ فعله فلا يزيده ذلك إلّا لجاجاً، ولم يزل حتى أثّر في قلب أخيه وكلّ ذلك يصل إلى المهدي وهو يتغافل، ثمّ صار أبوالعباس يقول: إنّ هذا ليس الذي كنّا نعتقد طاعته وندعو إليه، لأنّ المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة، فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس، منهم إنسان في كتامة يقال له شيخ المشايخ، فواجه المهدي بذلك وقال: إن كنت المهدي، فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك، فقتله، فخافه أبو عبد الله و علم أنّ المهدي قد تغيّر عليه واتّفق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي وعزموا علىٰ قتل المهدي، واجتمع معهم قبائل كتامة إلّا قليلاً منهم وكان معهم رجل يظهر أنّه منهم وينقل ما يجري إلى المهدي.

فلمّا وقف المهديّ علىٰ أمرهم حاربهم وأمر رجالاً معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ويقتلوهما.[1]

ولكن الإسماعيلية تنكر ذلك، وتقول: وهذه الأقوال لا يقرّها المنطق، ولا يمكن أن يصدّقها العقل، فلو كان أبو عبد الله الشيعي يبغي الخلافة لنفسه لكان باستطاعته أن يحصل عليها قبل قدوم الإمام محمد المهدي إلى إفريقية عندما كانت جيوشه يربو عددها على المائة ألف مقاتل بينما كان الإمام المهدي في الرملة بطريقه إليه.

ثمّ يقول: إنّ أبا عبد الله الشيعي قضى آخر أيامه بقرب الإمام مخلصاً له

١. الجزري: الكامل في التاريخ :٨/ ٥٠ـ٥٣، دار صادر.

حتّى أدركته الوفاة، فدفن باحتفال مهيب وصلّى عليه الإمام المهدي. (١)

ولكن فات الكاتب أنّ أبا عبد الله الشيعي وإن كان لا يبغي الخلافة لنفسه لفقدانه الرصيد الشعبي ، ومع ذلك كان يتطلع للمشاركة في الأمور ، وقد حال المهدي دون ذلك، فعند ذلك ثارت ثائرته. وتآمر على إمامه.

ثمّ إنّ هناك نكتة أُخرى هامة وهي أنّ النبي ﷺ أخبر عن خروج المهدي في آخر الزمان، وانّه يملك الشرق والغرب، ويجري القسط والعدل بين الناس، فاتخذ المهدي هذا الخبر الذائع الصيت ذريعة لاستقطاب الناس حوله، وقد سمّى نفسه محمّداً، ولقب نفسه بالمهدي فتقمّص أوصاف المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ ليتخذها وسيلة لتحقيق مآربه وانّه مفترض الطاعة.

وقد مات عبيد الله في ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأوّل سنة ٣٢٢هـ بالمهدية في القيروان عن ثلاث وستين سنة، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً، وقام بعده ابنه.

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٨٣.

الإمام السابع

القائم بأمر الله

(٢٨٠_٣٣٤هـ)

ولد الإمام القائم بأمر الله، ابن الإمام عبيد الله المهدي، في محرم سنة ٢٨٠ هجرية «بالسلَمية»، وارتحل مع أبيه الإمام محمد المهدي إلى المغرب، وعَهد إليه بالإمامة من بعده حسب الأصول الإسماعيلية، فاقتفى إثر أبيه وخطا خطاه، ونهج نهجه، وعمل جاهداً على تعزيز وازدهار الدعوة الإسماعيلية، وتعميمها في جميع البلدان والأقاليم، ووجّه اهتمامَه الزائد لتنظيم وتقويةَ البحرية الإسماعيلية، فشكل اسطولاً عظيماً، تمكن بواسطته من قهر العصابات البحرية المالطية، التي كانت تأتي بأعمال القرصنة لغزو البلاد الإسماعيلية، وقيامهم بأعمال النهب والسلب والتخريب.و احتلَّ الاسطول الإسماعيلي «جنوه» و«لونبارتي» و«غرناطة» وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم، كما فتح الإسماعيلية جزيرة «صقليا». [1]

يقول المقريزي: كان اسمه بالمشرق عبد الرحمان فتسمىٰ في بلاد المغرب بمحمد، فلما فرغ من جميع ما يريده وتمكّن، أظهر موتَ أبيه، واستقلّ بالأمر وله سبع وأربعون سنة، وتبع سيرة أبيه، وثار عليه جماعة فظفر بهم، وبثَّ جيوشَه في البرّ والبحر فسبَوا وغَنِمُوا من بلد «جنوه» وبعث جيشاً إلى مصر فملكوا

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٨٤.

الاسكندرية، والاخشيد يومئذٍ أمير مصر، فلما كـان في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج عليه أبو يـزيد مخلد بن كنداد النكاري الخارجي بإفريقيـة، واشتدّت شوكتُه وكثـرت أتباعـه، وهزمَ جيـوشَ القائم غير مـرة، وكان مـذهبه تكفير أهل الملّـة، وإراقة دمـائهم ديانـة، فملك «باجـه» وحرّقهـا، وقتل الأطفال، وسبـى النسوان، ثمّ ملك القيروان، فـاضطرب القائم، وخـاف النـاس، وهمّوا بالنقلـة من «زويلة» وقوى أمر أبي يزيد ونازل المهدية وحصر القائم بها، وكاد أن يغلب عليها، فلما بلغ المصلىٰ حيث أشـار المهـدي أنّه يصـل، هزمـه أصحاب القـائم وقتلـوا كثيراً من أصحابـه، وكانت لـه قصص وأنباء، إلى أن مـات القائم لثـلاث عشرة خلت من شوال سنـة أربع وثلاثين وثلاثمائة، عـن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهـر، ولم يرق منبراً، ولا ركب دابّة لصيـدٍ مدّة خلافته حتى مـات، وصلى مرّةً على جنازةٍ، وصلى بالناس العيدَ مرة واحدة، وكانت مدّة خلافته اثنتي عشرة سنة وستة أشهرٍ وأيّاماً، و ترك أبا الظاهر إسماعيل، وأبا عبـد الله جعفر أو حمزة، وعدنان، وعدّة أُخر، وقام من بعده ابنه. (١)

يقول الجزري في حوادث سنة (٣٣٤): وفي هذه السنة توفي القائم بأمر الله، أبـو القاسم محمـد بن عبـد الله المهدي العلـوي صاحب إفـريقية، لثـلاث عشرة مضت من شـوال، وقام بـالأمر بعـده ابنه إسماعيـل، وتلقّب المنصور بـالله، وكتم موته (٢) خوفاً أن يعلم بذلك أبو يزيد، وهو بالقرب منه على «سوسة» وأبقى الأُمور على حالها، ولم يتسمّ بـالخليفة، ولم يغير السكّة، ولا الخطبـة، ولا البنود، وبقي على ذلك إلى أن فرغ من أمر أبي يزيد، فلما فرغ منه أظهر موته، وتسمّىٰ بالخلافة، وعمل آلات الحرب والمراكب، وكان شهماً شجاعاً، وضبط الملك والبلاد. (٣)

---

١. المقريزي: كتاب الخطط المقريزية: ٣٥١، دار صادر.
٢. كسيرة أبيه في حقّ المهدي.
٣. الجزري: الكامل في التاريخ: ٨/ ٤٥٥، دار صادر.

وقد ذكره الـذهبي السلفي وبالغ في ذمه، وسلك في ترجمتـه نفس ما سلكه في ترجمة أبيــه، ولأجل ذلك تـركنا النقل عنه، ومــن أراد الوقوف عليـه فليرجع إلى كتابه.[1]

١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٥١، مؤسسة الرسالة.

الإمام الثامن

الإمام المنصور بالله

(٣٠٣ـ٣٤٦هـ)

ولـد الإمام المنصـور بالله ، إسماعيـل بن الإمـام القائم بـ«المهدية» في أوّل جمادى الآخـرة سنة ٣٠٣هــ وقيل: ولد بـالقيروان سنـة ٣٠٢هـ تسلّم شـؤون الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٣٣٤هـ وكان سياسيّاً عظيماً، ومحارباً قديراً، وخطيباً من أفصح الخطباء وأبلغهم. [١]

وقال المقـريزي: جدّ في حـرب أبي يزيـد حتى ظفر به وحمل إليـه فمات من جراحات كانت به، سلخ المحـرّم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ولم يزل المنصور إلى أن مـات سلخ شـوال سنـة إحدىٰ وأربعين وثـلاثمائة عن إحـدىٰ وأربعين سنـة وخمسة أشهـر، وكانت مـدّة خلافتـه ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيّـام، وقد اختلف في تـاريخ ولادتـه فقيل: ولـد أوّل ليلـة من جمادى الآخـرة سنة ٣٠٣هـ بالمهـدية، وقيل: بل ولد في سنـة اثنتين وقيل: سنة إحدى وثلاثمائة، وكـان خطيباً بليغاً يرتجل الخطبة لوقته شجاعاً عاقلاً، وقام من بعده ابنه. [٢]

يقول المؤرخ المعاصر: وما زال أبو يزيد هـارباً والجيوش تلاحقه حتى التجأ إلى جبل البربر، وجمع خلقاً كثيراً لمقابلة جيش الإمـام المنصور، ولكنّه هزم، فأدركه

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:١٨٩.

٢. المقريزي: الخطط: ١/ ٣٥١، دار صـادر.

أحد الأمراء الإسماعيليين وقبض عليه وساقه إلى الإمام المنصور، وكان ذلك سنة ٣٣٦ هجرية، فقتله وأمر الإمام أن تبنىٰ مدينة «المنصورية» تيمّناً بذلك الانتصار العظيم، ثمّ عاد الإمام إلى المهدية في شهر رمضان عام ٣٣٦ هجرية، فعهد بالإمامة من بعده لولده المعز لدين الله، وتوفي يوم الأحد في الثالث والعشرين من شوال سنة ٣٤٦ هجرية، ودفن جسده الطاهر في مدينة المنصورة، وقيل كانت وفاته سنة ٣٤٣ هجرية ودفن بالمهدية.[1]

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٩٠.

الإمام التاسع

المعزّ لدين الله

مؤسس الدولة الفاطمية في مصر

(٣١٩ـ٣٦٥هـ)

وهو أوّل خليفة فاطمي ملك مصر وخرج إليها، وكان مغرىً بالنجوم ويعمل بأقوال المنجمين، وكان المعز عالماً، فاضلاً، جواداً، شجاعاً، جارياً على منهاج أبيه في حسن السيرة، وإنصاف الرعية، وستر ما يدعون إليه إلاّ عن الخاصة، ثمّ أظهره وأمر الدعاة بإظهاره إلاّ أنّه لم يخرج فيه إلى حد يذم به. [١]

يقول المقريزي: المعز لدين الله أبو تميم، «معد» ولد للنصف من رمضان سنة ٣١٩هـ فانقاد إليه البربر وأحسن إليهم، فعظم أمره واختص من مواليه، «بجوهر» وكنّاه بأبي الحسين، وأعلى قدره، وسيّره في رتبة الوزارة، وعقدَ له على جيش كثيف، فدوّخ المغرب، وافتتح مدناً، وقهر عدّة أكابر وأسّرهم، حتى أتى البحر المحيط الذي لا عمارة بعده، ثمّ قدم غانماً مظفراً، فعظم قدرُه عند المعزّ، ولما وصل الخبر إلى المعز بموت كافور الإخشيدي صاحب مصر أخذ في تجهيز جوهر بالعساكر إلى أخذ ديار مصر حتى تهيأ أمره، وبرز للمسير، فلمّا ثبتت قدم جوهر بمصر، عزم المعز على المسير إلى مصر أجال فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب، فوقع اختياره على «يوسف بن زيري الصنهاجي»، وقال له: تأهب لخلافة المغرب،

١. الجزري: الكامل في التاريخ: ٨/ ٦٦٤.

فأكبر ذلك وقال: يا مولانا أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله ﷺ ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لي وأنا صنهاجيّ بربريّ؟! قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح. فما زال به المعز حتى أجاب.

فلمّا ملك جوهرُ مصر بادر حسن بن جعفر الحسني بالدعاء للمعز في مكة، وبعث إلى «جوهر» بالخبر، فسيّر إلى المعزّ يعرّفه بإقامة الدعوة له بمكة، فأنفذ إليه بتقليده الحرم وأعماله، وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة، فعقد له جوهر جسراً جديداً عند المختار بالجزيرة، فسار إليه وقد زيّنت له مدينة الفسطاط فلم يشقها، ودخل إلى القاهرة بجميع أولاده وإخوته وسائر أولاد عبيد الله المهدي، وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فعندما دخل القصر صلّىٰ ركعتين، وأمر فكتب في سائر مدن مصر: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأثبت اسم المعزّ لدين الله واسم أبيه عبد الله الأمير، وجلس في القصر علىٰ سرير الذهب، وصلّىٰ بالناس صلاة عيد الفطر في المصلّىٰ، وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدير خم. وقدمت القرامطة إلى مصر فسير إليهم الجيوش وهزموهم، ومازال إلى أن توفي من علة اعتلّها بعد دخوله إلى القاهرة بسنتين وسبعة أشهر وعشرة أيّام وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً، فإنّ مولده بالمهدية في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة [1]، ووفاته بالقاهرة لأربع عشرة خلت من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكانت مدّة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أيّام وهو أوّل الخلفاء الفاطميين بمصر وإليه تنسب القاهرة المعزية، لأنّ عبده «جوهراً» القائد بناها حسب ما رسم له.

وكان المعز عالماً، فاضلاً، جواداً، أحسن السيرة منصفاً للرعية، مغرماً بالنجوم، أُقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض

---

١. وقد أرّخ ميلاده عارف تامر بـ٣٤٧ وهو خطأ واضح.

اعمال العراق، وقام من بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار. (١)

يقول ابن خلكان: وكان المعز عاقلاً، حازماً، سرياً، أديباً، حسن النظر في النجامة، وينسب إليه من الشعر قوله:

لله ما صنعت بنا ... تلك المحاجر في المعاجر
أمضي وأقضي في النفو ... س من الخناجر في الحناجر
ولقد تعبت ببينكم ... تعب المهاجر في الهواجر

و ينسب إليه أيضاً:

اطلع الحسن من جبينك شمسا ... فوق ورد في وجنتيك اطلا
و كأن الجمال خاف على الور ... د جفافاً فمد بالشعر ظلا

و هو معنى غريب بديع. (٢)

و يقول في موضع آخر : ملك المعز أبو تميم معد بن المنصور العبيدي الديار المصرية على يد القائد جوهر، وجاء المعزّ بعد ذلك من إفريقية، وكان يُطعن في نسبه، فلمّا قرب من البلد وخرج الناس للقائه، اجتمع به جماعة من الأشراف، فقال له من بينهم ابن طباطبا: إلى من ينتسب مولانا؟ فقال له المعزّ: سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا. فلمّا استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم،و قال: هل بقي من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر، فسلّ عند ذلك نصف سيفه وقال: هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً،

---

١. وفيات الأعيان:٥/ ٢٢٤. المقريزي: كتاب الخطط المقريزية:١/ ٣٥٢ـ٣٥٤، دار صادر. ومن الغريب أنّ المقريزي ذكر ولادة المعز سنة ٣١٧ تارة وأُخرى بسنة ٣١٩، وقد اعتمدنا في تعيين سنة ولادته على نقل ابن خلكان.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان:٥/ ٢٢٨.

وقال: هذا حسبي، فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا.[١]

لا شكّ انّ عصر المعز لدين الله من العصور الذهبية للإسماعيلية حيث أصبحت مصر داراً للخلافة، وأصبح الإمام المعز أوّل خليفة فاطمي فيها، فعمل على ترقية العلوم والثقافة، وأمر ببناء الجامع الأزهر، وجعله داراً للعلوم ومنهلاً للثقافة والفكر، وشجّع العلماء، وخصّص لهم المبالغ الطائلة، فوفدوا عليه من كلّ قطر حيث وجدوا المساعدات.

كما أشرف بنفسه على تأليف الكتب على غرار المذهب الإسماعيلي، فتقدمت الثقافة الإسماعيلية تقدماً باهراً، وازدهر في عصره فقهاء وشعراء وفلاسفة يشار إليهم بالبنان.

فمن فقهاء عصره: القاضي النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي مؤلف كتاب «دعائم الإسلام»، توفي بالقاهرة في ٢٩ من جمادى الثانية سنة ٣٦٣هـ وصلّى عليه الإمام المعز لدين الله.

خدم المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية تسع سنوات، ثمّ ولي قضاء طرابلس في عهد القائم بأمر الله الخليفة الثاني للفاطميين، وفي عهد الخليفة الثالث المنصور بالله عين قاضياً للمنصورية، ووصل إلى أعلى المراتب في عهد المعز لدين الله الخليفة الرابع الفاطمي إذ رفعه إلى مرتبة قاضي القضاة وداعي الدعاة.

وقد نشر كتابه لأوّل مرّة في مستدرك الوسائل للمحدّث النوري (١٢٥٤ـ١٣٢٠هـ) مبعّضاً وموزعاً أحاديثه على أبواب الكتب الفقهية كما تم طبعه مستقلاً بتحقيق آصف بن علي أصغر فيضي في مصر عام ١٣٧٤هـ وطبع ثالثاً على الأُفست في بيروت عام ١٣٨٣هـ.

---

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣/ ٨١.

ومن شعراء عصره ابن هانئ الأندلسي، وهو محمد بن هانئ الأندلسي من قرية اشبيلية، ولد عام ٣٢٠هـ ولقب بأبي القاسم، ولما اتهم بمذهب الإسماعيلية غادر الأندلس نازلاً إلى المغرب، واتصل بأميره، فبالغ في إكرامه وأحسن إليه، ولما وصل خبره إلى المعز طلبه من أمير المغرب، فأقام عنده حتى ارتحل الإمام المعز إلى مصر فلحق به فيها.

كان ابن هانئ من فحول الشعراء، ولكن قصائده تحكي عن غلوه في حقّ الأئمّة الإسماعيلية حيث تفوح منها رائحة الإلحاد، وقد أعطى لهم ما للخالق من الأوصاف، وإليك مقتطفات من أشعاره:

قال:

ما شئتَ لا ماشاءت الأقدارُ ... فاحكم فأنتَ الواحدُ القهّار

وكأنّما أنت النبي محمّد ... وكأنّما أنصارك الأنصار

أنت الذي كانت تبشّرنا به ... في كتبها الأحبارُ والأخبار

هذا إمام المتقين ومن به ... قد دوّخ الطغيان والكفار

هذا الذي ترجى النجاة بحبّه ... وبه يُحطُّ الإصر والأوزار

هذا الذي تجدي شفاعته غداً ... حقاً وتخمد أن تراه النارُ [1]

إنّ بيته الأوّل ينم عن غلوّه غلواً يكسي صفة الخالق على المخلوق.

و من العجب أنّ المؤرّخ الإسماعيلي المعاصر حاول تصحيح الأشعار، ودفع الفاسد بالأفسد، حيث قال في تعليقته: إنّ العقيدة الإسماعيلية تنزّه الخالق عن الصفات كالعالم والقادر والصانع و...، فإنّ إطلاق الصفات عليه يوجب الكثرة في ذاته عندهم، وهم يروون عن الإمام الباقر محمد بن علي زين العابدين

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:٢٠٩.

قوله: «إنّ الله عالم على المعنى انّه يـؤتي العلم من يشاء لا على معنى انّ العلم قائم بذاته، وانّه تعالى قادر على معنى أنّ القدرة قائمة بذاتها».

ولمّا كـان الإمام قـائماً مقام الأمـر والكلمة في هـذا العالم فجميع صفـات الباري واقفة عليه، ومن هنا نجد انّ إطلاق كلمة الواحد القهار على المعز إنّما هي حسب الاعتقاد. [1]

عزب عن هـذا المسكين أوّلاً: انّ إطلاق الصفات عليـه سبحانه لا تـوجب الكثـرة في ذاته عنـد المحقّقين، وذلك لأنّ الأوصاف وإن كـانت مختلفـة مفهومـاً لكنّها متحدة وجوداً، فذاته نفس العلم والقدرة والحياة، لا انّ كلّ واحدة من هذه الصفات تمثل جزءاً من ذاته.

وثانياً: انّه لوصحّ ما ذكـره من التفسير في العالم والقادر بمعنى أنّه سبحانه يعطي العلم والقـدرة لا يصحّ ذلك في الواحـد القهار، إذ معناه عنـدئذ انّ الإمام يهب الوحدة والقهر من يشاء لكي يصـحّ إطلاقها على الإمام، ولا شكّ انّ في ما جاء به الشاعر غلواً واضحاً، عصمنا الله من غلو الغالين وإبطاء التالين.

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٠٩ الهامش.

الإمام العاشر

العزيز بالله

(٣٤٤ـ٣٨٦هـ)[1]

نزار بن معد، العزيز بالله، ولي العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ واستقل بالأمر بعد وفاة أبيه، وكان يوم الجمعة حادي عشر الشهر المذكور وسُتِرتْ وفاة أبيه وسُلّم عليه بالخلافة، وكان شجاعاً، حسن العفو عند المقدرة، ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب «يتيمة الدهر» وأورد له شعراً قاله في بعض الأعياد، وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه المآتم وهو:

نحن بنو المصطفى ذوو محن ... يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأنام محنتنا ... أوّلنا مبتلىً وخاتمنا
يفرح هذا الورى بعيدهم ... طراً وأعيادنا مآتمنا

و فتحت له حُمص وحماة وشَيْزَر، وحلب، والموصل ، وخطب له باليمن ولم يزل في سلطانه وعظم شأنه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجهاً إلى الشام، فابتدأت به العلّة في العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ولم يزل مرضه يزيد حتى توفي في مسلخ الحمّام في الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة

---

١. وقد أرّخ عارف تامر تاريخ وفاته ٣٦٨ وهو خطأ.

ست وثمانين و ثلاثمائة. [١] بمدينة بلبيس وحمل إلى القاهرة.

وذكر ابن خلكان انّ تاريخ وفاته في الثامن والعشرين من شهر رمضان، في حين انّ المقريزي ذكره في الثامن والعشرين من رجب مع توافقهما في سنة وفاته.

قال ابن الأثير: في هذه السنة توفي العزيز أبو منصور نزار ابن المعز أبي تميم معد العلوي، صاحب مصر لليلتين بقيتا من رمضان وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر ونصف، بمدينة بلبيس، وكان برز إليها لغزو الروم، فلحقه عدة أمراض، منها: النقرس، والحصا، والقولنج، فاتصلت به إلى الشامات.

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً، ومولده بالمهدية من إفريقية. [٢]

قال الذهبي: وكان كريماً، شجاعاً، صفوحاً، أسمر، أصهب الشعر، أعين، أشهل، بعيد ما بين المنكبين، حسن الأخلاق، قريباً من الرعية، مغرى بالصيد، ويكثر من صيد السباع، ولا يؤثر سفك الدماء.

وفي سنة ٣٦٧هـ جرت وقعات بين المصريين وهفتكين الأمير، وقتل خلق، وضرب المثل بشجاعة هفتكين وهزم الجيوش، وفرّ منه جوهر القائد، فسار لحربه صاحب مصر العزيز بنفسه، فالتقوا بالرملة، وكان «هفتكين» على فرس أدهم يجول في الناس، فبعث إليه العزيز رسولاً يقول: أزعجتني وأحوجتني لمباشرة الحرب، وأنا طالب للصلح، وأهب لك الشام كلّه.

قال: فات الأمر، ووقعت الحرب، فحمل العزيز بنفسه عليه في الأبطال، فانهزم هفتكين ومن معه من القرامطة، واستحرّ بهم القتل.

وفي سنة ٣٧٧هـ تهيأ العزيز لغزو الروم فأُحرقت مراكبه، فغضب وقتل

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/ ٣٧١ـ٣٧٤.

٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٩/ ١١٦.

مائتي نفس اتهمهم، ثمّ وصلت رسل طاغية الروم بهديّة، تطلب المدنة، فأجاب بشرط أن لا يبقىٰ في مملكتهم أسير، وبأن يخطبوا للعزيز بقسطنطينية في جامعها، وعقدت سبعة أعوام. [1]

١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٦٧ـ١٧٢.

الإمام الحادي عشر

الحاكم بأمر الله

(٣٧٥ـ٤١١هـ)

هو منصور بن نزار[1] ولد يوم الخميس لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٧٥هـ وبويع في اليوم الذي توفي فيه والده أي سنة ٣٦٨هـ وكان عمره أحد عشر عاماً ونصف العام وهو من الشخصيات القليلة التي لم تتجلّ شخصيته بوضوح، وقام بأعمال إصلاحية زعم مناوئوه انّها من البدع.

يقول الجزري: وبنى الجامع براشدة، وأخرج إلى الجوامع والمساجد، من الآلات،والمصاحف، والستور والحصر ما لم ير الناس مثله، وحمل أهل الذمة على الإسلام، أو المسير إلى مأمنهم، أو لبس الغيار، فأسلم كثير منهم، ثمّ كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه، ويقول له: إنّني أريد العود إلى ديني، فيأذن له.

أظن انّ إدخال الحصر إلى المساجد، لأجل أنّ المسجود عليه في مذهب الشيعة يجب أن يكون إمّا أرضاً، أو ما أنبتته الأرض، فبما أنّ المساجد كانت مفروشة فحمل الحصر على ذلك.

و يقول أيضاً: ثمّ أمر في سنة ٣٩٩هـ بترك صلاة التراويح، فاجتمع الناس بالجامع العتيق، وصلّى بهم إمام جميع رمضان، فأخذه وقتله، ولم يصل أحد

---

١. وأسماه في «الإمامة في الإسلام» بـ«الحسن بن نزار» ولكن في الخطط،وتاريخ الدعوة الإسماعيلية حسب ما أثبتناه.

التراويح إلى سنة ٤٠٨هـ. [1]

أقول: لقد قام الخليفةبمهمته، فإنّ صلاة التراويح كانت تقام في عصر النبي ﷺ و الخليفة الأوّل بغير جماعة، و إنّما أُقيمت جماعة في عصر الخليفة الثاني، واصفاً إيّاهابالبدعة الحسنة، ولمّا تسلّم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام زمام الخلافة نهى الناس عن إقامتها جماعة، فلمّا رأى إصرار الناس على إقامتها جماعة تركهم وما يهوون.

وأمّا رميه بتهمة قتل الإمام بعد انقضاء شهر رمضان، فما لا يقبله العقل، إذ كان في وسع الخليفة منعه من إقامتها أوّل الشهر فأي مصلحة كانت تكمن في استمهاله إلى آخر الشهر واكتسابه مكانة في القلوب ثمّ قتله؟!

يقول المقريزي: جامع الحاكم بني خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة، وأوّل من أسّسه أمير المؤمنين العزيز بالله، نزار بن المعز لدين الله معد، وخطب فيه وصلّى بالناس الجمعة، ثمّ أكمله ابنه الحاكم بأمر الله، فلمّا وسّع أمير الجيوش بدر الجمالي القاهرة، وجعل أبوابها حيث هي اليوم صار جامعُ الحاكم داخل القاهرة. [2]

و ينقل أيضاً انّ الحاكم بأمر الله أمر في سنة ٣٩٣هـ أن يتم بناء الجامع الذي كان الوزير يعقوب بن كاس بدأ في بنيانه عند باب الفتوح، فقدّر للنفقة عليه أربعون ألف دينار، فابتدأ بالعمل فيه وفي صفر سنة إحدى وأربعمائة زيد في منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركاناً، طول كلّ ركن مائة ذراع.

و في سنة ٤٠٣هـ أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج إليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل، فكان تكسير ما ذرع للحصر ٣٦ ألف ذراع، فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار.

---

١. الجزري: الكامل في التاريخ:٩/ ٣١٦ـ٣١٧.

٢. المقريزي: الخطط: ٢/ ٢٧٧.

وتم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح، وعلّق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له، وعلّق فيه تنانير فضة عدّتها أربع وكثير من قناديل فضة، وفرش جميعه بالحصر التي عملت له، ونصب فيه المنبر، وتكامل فرشه وتعليقه، وأذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة لمن بات في الجامع الأزهر أن يمضوا إليه،فمضوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كلّ واحد من الجامعين إلى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر، ولا أصحاب الطوف إلى الصبح، وصلّى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة، وهي أوّل صلاة أُقيمت فيه بعد فراغه.[1]

ما ذكرنا من محاسن أعماله قد أخفاها أعداؤه، وبدل ذلك فقد نالوا منه وأكثروا في ذمّه وذكر مساوئ أعماله، حتى تجد انّ الذهبي قد بالغ في ذمّه ووصفه بقوله: «العبيدي، المصري، الرافضي بل الإسماعيلي الزنديق المدّعي الربوبية».

ثمّ يقول في موضع آخر: وكان شيطاناً مريداً، جباراً عنيداً، كثير التلوّن، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر، جواداً ممدحاً، له شأن عجيب ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كلّ وقت أحكاماً يلزم الرعية بها إلى آخر ما ذكر.[2]

و على أيّ حال فهو من الشخصيات القلقة التي تجمع بين محاسن الأعمال ومساوئها.

ولولا انّ الحاكم كان من الشيعة لما وجد الذهبي السلفي في نفسه مبرراً لصب هذه التقريعات.

وقد اكتفينا بذلك في ترجمته، لأنّ فيها أُموراً متناقضة ومتضادة لا يمكن الإذعان بصحّة واحد منها.

---

١. المقريزي: الخطط: ٢/ ٢٧٧، دار صادر.

٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٧٤.

انشقاق الإسماعيلية

كانت الإسماعيلية فرقة واحدة، غير انّه طرأ عليهم الانشقاق، فقال قوم منهم: بإلوهية الحاكم وغيبته، وهم المعروفون اليوم بـ «الدروز»، يقطنون لبنان.

فالدروز إسماعيلية محرّفة، وسيوافيك البحث عن هذه الفرقة وعقائدها في باب خاصّ، وهي أكثر غموضاً من سابقتها، فهم يمسكون بكتبهم ووثائقهم عن الآخرين.

يقول المؤرخ المعاصر: وفي سنة ٤٠٨ استدعى الحاكم كبير دعاته، وأحد المقربين إليه الموثوق بهم سيدنا «الحمزة بن علي» الفارسي الملقب بـ «الدرزي» وأمره أن يذهب إلى بلاد الشام ليتسلم رئاسة الدعوة الإسماعيلية فيها، ويجعل مقره «وادي التيم»، لأنّ الأخبار التي وردت إلى بيت الدعوة تفيد بأنّ إسماعيلية وادي التيم تسيطر عليهم التفرقة والاختلافات الداخلية، حول تولّي رئاسة الدعوة هناك ولقبه الإمام بـ «السند الهادي».

تمكّن الدرزي في وقت قليل من السيطرة على الموقف في وادي التيم وإعادة الهدوء والسكينة في البلاد، وعمل جاهداً لتوسيع وانتشار الدعوة الإسماعيلية في تلك البلاد.

لبث الدرزي رئيساً للدعوة الإسماعيلية وكبيراً لدعاتها في بلاد الشام حتى أُعلنت وفاة الإمام الحاكم وولاية ابنه الظاهر.

لم يعترف الدرزي بوفاة الإمام الحاكم، مدّعياً بأنّ وفاته لم تكن سوىٰ نوع من الغيبة لتخليص أنفس مريدي الإمام من الأدران، وبقي متمسكاً بإمامة الحاكم ومنتظراً عودته من تلك الغيبة، وبذلك أعلن انفصاله عن الإسماعيلية التي لا تعتقد بالغيبة، وتقول بفناء الجسم وبقاء سر الإمامة بالروح، فينتقل بموجب النص إلى إمام آخر وهو المنصوص عليه من قبل الإمام المتوفّى، وسميت الفرقة

التي تبعت الدرزي بالدرزية نسبة إليه.

وهكذا يتبين للقارئ الكريم بأنّ الدرزية والإسماعيلية عقيدتان من أصل واحد.[١]

وأمّا عن مصير الحاكم فمجمل القول فيه انّه فُقد في سنة ٤١١هـ ولم يعلم مصيره، وحامت حول كيفية اغتياله أساطير لا تتلاءم مع الحاكم المقتدر.

يقول الذهبي: وثمّ اليوم طائفة من طغام الإسماعيلية الذين يحلفون بغيبة الحاكم، وما يعتقدون إلاّ بأنّه باق، وانّه سيظهر [٢].

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٣٨ـ٢٣٩.

٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٠٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٩/ ١١.

الإمام الثاني عشر

الظاهر لإعزاز دين الله

علي بن منصور[1]

(٣٩٥_٤٢٧هـ)

هو علي بن منصور، ولد ليلة الأربعاء من شهر رمضان سنة ثلاثمائة وخمس وتسعين، وبويع بالخلافة وعمره ستة عشر عاماً يقول ابن خلكان: كانت ولايته بعد فقد أبيه بمدّة، لأنّ أباه فقد في السابع والعشرين من شوال سنة ٤١١هـ وكان الناس يرجون ظهوره ويتبعون آثاره إلى أن تحقّقوا عدمه، فأقام ولده المذكور في يوم النحر من السنة المذكورة.[2]

وقد أطنب المقريزي في سيرته وذكر حوادث حياته.

يقول المقريزي: مات الظاهر في النصف من شعبان سنة ٤٢٧ هـ عن اثنين وثلاثين سنة إلاّ أيّاماً، وكانت مدّة خلافته ١٥ سنة وثمانية أشهر.[3]

وذكر الذهبي فتنة القرامطة عام ٤١٣ هـ فنقل عن محمد بن علي بن عبد الرحمان العلوي الكوفي انّه قال: لما صليت الجمعة والركب بعدُ بمنى، قام رجل،

---

١. سماه عارف تامر علي بن الحسن، وفي المقريزي وتاريخ الدعوة كما أثبتناه.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣/ ٤٠٧، دار صادر.

٣. المقريزي: الخطط: ١/ ٣٥٥.

فضرب الحجر الأسود بدبّوس ثلاثاً، وقال: إلى متى يُعبد الحجر فيمنعني محمد مما أفعله؟ فإنيّ اليوم أهدم هذا البيت، فاتقاه الناس، وكاد يفلت، وكان أشقر، أحمر، جسيماً، تام القامة، وكان على باب المسجد عشرة فرسان على أن ينصروه، فاحتسب رجل، فوجأه بخنجر، وتكاثروا عليه، فأُحرق، وقتل جماعة من أصحابه وثارت الفتنة، فقتل نحو العشرين ونهب المصريون وقيل: أخذ أربعة من أصحابه، فأقرّوا بأنهم مائة تبايعوا على ذلك، فضربت أعناق الأربعة، وتهشّم وجه الحجر، وتساقط منه شظايا وخرج مُكَسَّرُه أسمر إلى صفرة.[1]

ويقال انّ الظاهر شنّ على الدروز حرباً محاولاً إرجاعهم إلى العقيدة الفاطمية الأصيلة، مدة خلافته كانت ستة عشر عاماً ... لم تنته هجمات الصليبيين عن الأراضي والثغور العائدة للدولة الفاطمية، وقّع هدنة مع الروم.[2]

---

١. الذهبي: سير أعلام النبلاء:١٥/ ١٨٥ـ١٨٦، مؤسسة الرسالة.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام:١٨٩.

الإمام الثالث عشر

المستنصر بالله

(٤٢٠ـ٤٨٧هـ)[1]

هو معد بن علي، ولد يوم الثلاثاء في الثالث عشر من شهر جمادى الآخر سنة ٤٢٠هـ وبويع بالخلافة يوم الأحد في منتصف شهر شعبان سنة ٤٢٧هـ وكان له من العمر سبعة أعوام، وقد ظل في الحكم ستين عاماً، وهي أطول مدّة في تاريخ الخلافة الإسلامية.

يقول ابن خلكان: وجرى على أيامه مالم يجر على أيام أحد من أهل بيته ممّن تقدّمه ولا تأخره، منها:

١. قضية أبي الحارث أرسلان البساسيري، فإنّه لمّا عظم أمره وكبر شأنه ببغداد، قطع خطبة الإمام القائم وخطب للمستنصر المذكور، وذلك في سنة خمسين وأربعمائة، ودعا له على منابرها مدّة سنة.

٢. انّه ثار في أيّامه علي بن محمد الصليحي وملك بلاد اليمن، ودعا للمستنصر على منابرها بعد الخطبة.

٣. انّه أقام في الأمر ستين سنة، وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس.

---

١. أرّخ كل من الكاتبين عارف تامر ومصطفى غالب تاريخ ولادته ٤٢٠هـ.

٤ـ انّه ولي العهد وهو ابن سبع سنين.

٥ـ انّ دعوتهم لم تزل قائمة با لمغرب منذ قام جدهم المهدي إلى أيام المعز، ولمّا توجه المعز إلى مصر واستخلف بلكين بن زيري كانت الخطبة في تلك النواحي جارية على عادتها لهذا البيت إلى أن قطعها المعز بن باديس في أيام المستنصر، وذلك في سنة ثلاث وأربعمائة.

٦ـ أنّه حدث في أيّامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام حتى قيل انّه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً، وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده، وكلّ من معه من الخواص مترجّلون ليس لهم دواب يركبونها، و كانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع، وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الانشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته، وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع، وتفرّق أهل مصر في البلاد وتشتتوا.[1]

وذكر الذهبي تفاصيل حياته بحسب السنين التي مرت عليه.[2]

و لقي المستنصر شدائداً وأهوالاً، وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر أخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقي لا يملك غير سجادته التي يجلس عليها، وهو مع هذا صابر غير خاشع.[3]

وقد توفي في الثامن عشر من ذي الحجة، ودامت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر.

إلى هنا تمت ترجمة الأئمة الثلاثة عشر الذين اتّفقت كلمة الإسماعيلية على إمامتهم وخلافتهم، ولم يشذ عنهم سوى الدروز الذين انشقوا عن الإسماعيلية في

١ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/ ٢٢٩ـ٢٣٠، دار صادر.

٢ـ الذهبي: سير أعلام النبلاء:١/ ١٨٦ـ١٩٦.

٣ـ الجزري: الكامل: ١٠/ ٢٣٧.

عهد خلافة الحاكم بأمر الله، وصار وفاة المستنصر بالله سبباً لانشقاق آخر وظهور طائفتين من الإسماعيلية بين: مستعلية تقول بإمامة أحمد المستعلي ابن المستنصر بالله، ونزارية تقول بإمامة نزار ابن المستنصر.

فالمستعلية هم المعروفون في هذه الأيام بالبُهرة، وقد انقسموا إلى: سليمانية وداودية؛ كما أنّ النزاريين هم القائلون بإمامة نزار ابن المستنصر، وانقسموا إلى: مؤمنية وقاسمية. وقد اتّفقت الطائفتان الأخيرتان في بعض الأئمة، واختلفت في البعض الآخر، وسيوافيك تفصيل الجميع.

الفصل السابع

في

أئـمة المستعلية



الإمام الأوّل

المستعلي بالله

(٤٦٧ـ٤٩٥هـ)

قد ذكرنا ــ فيما سبق ـ أنّ المستنصر قد عهد في حياته بـالخلافة لابنه «نزار» وقد بويع بعـد وفاة أبيه، ولكن خلعه الأفضل وبايـع المستعلي بالله، وسبب خلعه أنّ الأفضل ركب مرّة أيّام المستنصر، ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكباً، و«نزار» خـارج، والمجاز مظلم، فلم يره الأفضل، فصـاح به نزار: انـزلْ، يا أرمني، كلب، عن الفرس، ما أقلّ أدبك. فحقدهـا عليه، فلما مات المستنصر خلعه خوفاً منه على نفســه، وبايع المستعلي، فهـرب نزار إلى الاسكندريـة، وبها ناصر الـدّولة «افتكين»، فبايعه أهل الاسكندرية، وسمّوه المصطفي لدين الله، فخطب بالناس، ولعن الأفضل، وأعانه أيضاً القاضي جـلال الدّولة ابن عمار، قاضي الاسكندرية، فسار إليه الأفضل، وحاصره بالاسكندرية، وأخذ «افتكين» فقتله، وتسلّم المستعلي نزاراً فبنى عليه حائطاً فمات، وقتل القاضي جـلال الدولة ابن عمار ومن أعانه.[1] وحيث إنّه لم يتم الاتّفاق على إمامة هؤلاء فقد عقدنا لهم فصلاً مستقلاً.

يقول ابن خلكـان: وكانت ولادة المستعلي (أحمد بن معـد) لعشر ليال بقين من محرم سنة تسع وستين وأربعمائة، بالقـاهرة وبويع في يوم عيد غـدير خم، وهو الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبـع وثمانين وأربعمائة، وتوفي بمصر يوم الثلاثاء

١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ١٠/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨، دار صادر.

لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وله من العمر ثمان وعشرون سنة وأيام [١]، فكانت مدّة ولايته سبع سنين وكسراً، وتولّى بعده ولدُه أبو علي المنصور، الملقب بالآمر، وله من العمر خمس سنين وشهر وأربعة أيام، ولم يكن في من تسمىٰ بالخلافة قط أصغر منه، ومن المستنصر، وكان المستنصر أكبر من هذا، ولم يقدر يركب وحده الفرس، وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش، أحسن قيام، إلى أن قتل. [٢]

الإمام الثاني
الآمر بأحكام الله
(٤٩٠ـ٥٢٤هـ)

هو منصور بن أحمد، ولد في القاهرة في الثالث عشر من محرم، وبويع بالخلافة يوم وفاة والده في الثالث عشر من صفر سنة ٤٩٥هـ وكان له من العمر خمس سنوات، وفي عهده سقطت مدينة «صور» بأيدي الصليبين، وذلك بعد سقوط انطاكية وبيت المقدس وقيصارية وعكا وبانياس وطرابلس، وأكثرها كانت فاطميّة.

من آثاره العمرانية الجامع الأقمر في القاهرة، وتجديد قصر القرافة، وفتح مكتبة دار العلوم للمطالعة والتدريس، قتله النزاريون انتقاماً لإمامهم نزار، وكان في هودج يقوم بالنزهة بين الجزيرة والقاهرة، وقد حُمل إلى القصر، ولكنّه لم يلبث أن

---

١. لو كان له من العمر ثمان وعشرون عاماً عند الوفاة لكانت ولادته عام ٤٦٧، لا ما ذكره من انّ ولادته ٤٦٩هـ.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان: دار صادر:١/ ١٨٠.

فارق الحياة في الرابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ وكان عمره ٣٤ عاماً وتسعة أشهر وعشرين يوماً.[1]

قال ابن خلكان: ولما انقضت أيامه، خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء في الثالث من ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ ونزل إلى مصر، وعدىٰ على الجسر إلى الجزيرة التي قبالة مصر، فكمُن له قوم بالأسلحة وتواعدوا على قتله في السّكة التي يمر فيها، فلمّا مرّ بهم وثبوا عليه فلعبوا عليه بأسيافهم، وكان قد جاوز الجسر وحده مع عدّة قليلة من غلمانه وبطانته وخاصته وشيعته، فحُمل في النيل في زورق ولم يمت، وأُدخل القاهرة وهو حيٌّ، وجيء به إلى القصر من ليلته، فمات ولم يعقب، وهو العاشر من أولاد المهدي عبيد الله القائم بسجلماسة، إلى أن يقول: وكان ربعة، شديدَ الأدمة، جاحظ العينين، حسن الخط والمعرفة والعقل.[2]

ومع هذا فيصفه بكونه «قبيح السيرة، ظلم الناس وأخذ أموالهم وسفك دماءهم، وارتكب المحذورات واستحسن القبائح المحظورات، فابتهج الناس بقتله».[3]

ولا يخفى وجود التضاد بين الوصفين، فلو كان حسن المعرفة والعقل لما قبحت سيرته وما أخذ أموالَ الناس ولا أراق دماءهم. والله العالم.

وكان يطمع إلى عرش العباسيين في العراق، ولكنَّ الأحداث الداخليّة حالت بينه وبين أُمنيته.

يقول المقريزي: وكانت نفسه تحدّثه بالسفر والغارة علىٰ بغداد، ومن شعره في ذلك:

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٩٠ـ١٩١.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/ ٣٠١ـ٣٠٢، ولاحظ الخطط المقريزية: ١/ ٣٥٧و ٢/ ٢٩٠.

٣. وفيات الأعيان: ٥/ ٣٠٢.

دع اللوم عني لست مني بموثق ... فلابدّ لي من صدمة المتحقق
وأسقي جيادي من فرات ودجلة ... وأجمع شمل الدين بعد التفرق

وقال:

أما والذي حجّت إلى ركن بيته ... جرائيم ركبان مقلّدة شهبا
لاقتحمن الحرب حتى يقال لي ... ملكت زمام الحرب فاعتزل الحربا
و ينزل روح الله عيسى ابن مريم ... فيرضى بنا صحباً ونرضى به صحبا[1]

والمهم في تاريخه، أنّه قتل الأفضل الذي مَهّدَ الطريقَ لأبيه المستعلي في زمانه، ويقال أنّه قتل بأشارة أو مؤامرة الآمر بأحكام الله.

يقول المقريزي: وفي يوم الثلاثاء، السابع عشر من صفر، سنة خمس وتسعين، أحضره الأفضل بن أمير الجيوش، وبايع له ونصبه مكان أبيه، ونعته بالآمر بأحكام الله، وركب الأفضل فرساً، وجعل في السّرج شيئاً، وأركبه عليه لينمو شخص الآمر، وصار ظهره في حجر الأفضل، فلم يَزَلْ تحت حجره حتّى قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة.[2]

وقد مرّ آنفاً قول ابن خلكان بأنّ الآمر بأحكام الله مات ولم يعقب، وربّما يقال أنّ الآمر مات وامرأته حامل بالطّيب، وربّما يقال بأنّ امرأته ولدت أُنثى، فلأجل ذلك عهد الآمر بأحكام الله الخلافة إلى الحافظ، الظافر، الفائز، ثمّ إلى العاضد.

و سنتطرق إلى حياة الأئمة الأربعة الذين لم يكونوا من صُلب الإمام السابق، بل كانوا من أبناء عمّه، ولأجل ذلك لا تصح تسميتهم بالأئمة ، وإنّما

---

١. المقريزي: الخطط: ٢/ ١٩١.
٢. المقريزي: الخطط: ٢/ ٢٩٠.

هم دعاة، حيث لم يكن في الساحة إمام، ودخلت الدعوة المستعلية بعد اختفاء الطيّب بالستر، وما تزال تنتظر دعوته، وتوقفت عن السير وراء الركب الإمامي، واتبعت نظام الدعاة المطلقين.[١]

الإمام الثالث

الحافظ لدين الله

(٤٦٧_٥٤٤هـ)

ولد بعسقلان سنة ٤٦٧هـ عندما مات الآمر، وتوفي في الخامس من جمادى الأُولى سنة ٥٤٤هـ فدامت دولته عشرين سنة سوى خمسة أشهر، وعاش سبع وسبعين سنة، وقام بعده ولده الظاهر.[٢]

عبد المجيد الملقب بالحافظ، ابن أبي القاسم محمد بن المستنصر، بويع بالقاهرة يوم مقتل ابن عمّه الآمر، بولاية العهد وتدبير المملكة، حتى يظهر الحمل المخلف عن الآمر، فغلب عليه أبو علي أحمد بن الأفضل، في صبيحة يوم مبايعته، وكان الآمر لمّا قتل الأفضل اعتقل جميع أولاده وفيهم أبو علي المذكور، فأخرجه الجند من الاعتقال لما قُتل الآمر، وبايعوه فسار إلى القصر، وقبض على الحافظ المذكور، واستقلّ بالأمر وقام به أحسن قيام، وردّ على المصادرين أموالهم، وأظهر مذهب الإماميّة وتمسك بالأئمّة الاثني عشر، ورفض الحافظ وأهل بيته، ودعا على المنابر للقائم في آخر الزمان المعروف بالإمام المنتظر على زعمهم، وكتب اسمه على السّكة، ونهى أن يؤذن (حي على خير العمل) وأقام كذلك، إلى أن وثب عليه

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٩١.

٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٣٦، دار صادر.

رجل من الخاصّة بالبستان الكبير بظاهر القاهرة، في النصف من المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة فقتله، وكان ذلك بتدبير الحافظ، فبادر الأجناد بإخراج الحافظ، وبايعوه ولقبوه الحافظ، ودعي له على المنابر.[١]

الإمام الرابع

الظافر بأمر الله

(٥٢٧-٥٤٩هـ)

هو إسماعيل بن عبد المجيد ولد في القاهرة يوم الأحد منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة، واغتيل في منتصف محرم سنة ٥٤٩هـ بويع الظافر يوم مات أبوه، بوصيّة أبيه، وكان أصغر أولاد أبيه سناً، ولي الأمر بعد أبيه وكان شاباً جميلاً.

وهو الذي انشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهيين، قتله نصر بن عباس أحد أبناء وزرائه، وقد ذكر المؤرخون سبب قتله وتفصيله، فمن أراد فليراجع.[٢]

وعاش الظافر ٢٢ سنة.

١. وفيات الأعيان: ٣/ ٢٣٥ - ٢٣٦، و سير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٩٩.

٢. المقريزي: الخطط: ٢/ ٣٠ وذكره بإيجاز ابن خلكان في وفيات الأعيان: ١/ ٢٣٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء: ١٥/ ٢٠٤.

الإمام الخامس

الفائز بنصر الله

(٥٤٤ـ٥٥٥هـ)

هو عيسى بن إسماعيل ولد عام ٥٤٤هـ وتسلّم الخلافة وله خمس سنين، وبقي على سدّة الخلافة ست سنين، ولمّا أُغتيل أبوه، أقامه الوزير عباس مكان والده، تغطية لما ارتكبه ابنُه من قتل الإمام الظافر، فلمّا قدم طلائع بن رزيك، والي الاشمونين بمجموعة إلى القاهرة، فرّ عباس، واستولى طلائع على الوزارة، وتلقّب بالصالح، وقام بأمر الدولة، إلى أن مات الفائز لثلاثة عشرة بقيت من رجب سنة ٥٥٥هـ عن إحدىٰ عشرة سنة وستة أشهر ويومين، منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام.[1]

الإمام السادس

العاضد لدين الله

(٥٤٦ـ٥٦٧هـ)

هو عبد الله بن يوسف ولد عام ٥٤٦هـ وتوفي عام ٥٦٧هـ وهو عبد الله ابن يوسف بن عبد المجيد بن محمد بن المنتصر، أقامه طلائع بن رزيك، بعد الفائز، ولي المملكة بعد وفاة ابن عمّه الفائز بنصر الله، وكان العاضد شديدَ التشيّع، بويع وعمره آنذاك إحدى عشرة سنة، وقام الصالح بن رزيك، أخو طلائع بن رزيك، بتدبير الأُمور، إلى أن قتل في رمضان سنة ٥٥٦هـ فقام من بعده

١ . المقريزي: الخطط: ١/ ٣٥٧، لاحظ وفيات الأعيان: ٣/ ٢٩١، رقم الترجمة ٥١٤، والذهبي: سير اعلام النبلاء: ١٥/ ٢٠٧ رقم الترجمة ٧٨، وقصد فصل الأخيران الكلام في حياته.

ابنه رزيك بن طلائع، وحسنت سيرته.

يقول المقريزي: فلما قوى تمكّن الافرنج في القاهرة عام ٥٦٤هـ وجاروا في حكمهم بها، وركبوا المسلمين بأنواع الإهانة، فسار مري ملك الافرنج يريد أخذ القاهرة، ونزل علىٰ مدينة بلبيس وأخذها عنوة، فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه ويحثّه على نجدة الإسلام وإنقاذ المسلمين من الافرنج، فجهّز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير، وسيّرهم إلى مصر، فلما اطّلع الافرنج علىٰ قدوم شيركوه، رحلوا عن القاهرة في السابع من ربيع الآخر، ونزل شيركوه بالقاهرة، فخلع عليه العاضد وأكرمه، وتقلّد وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة أيّام، ومات في الثاني والعشرين من جمادي الآخرة، ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب، فساس الأمور ودبّر لنفسه، فبذل الأموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال، فلم يزل أمرُهُ في ازدياد، وأمر العاضد في نقصان، واستبدّ بالأمور ومنع العاضد من التصرّف حتىٰ تبيّن للناس ما يريده من إزالة الدولة، إلى أن كان من واقعة العبيد ما كان فأبادهم وأفناهم، ومن حينئذٍ تلاشىٰ العاضد وانحل أمره ولم يبق له سوى إقامة ذكره في الخطبة، وتتبع صلاح الدين جُندَ العاضد، وأخذ دور الأمراء، وإقطاعاتهم، فوهبها لأصحابه، وبعث إلىٰ أبيه وإخوته وأهله فقدموا من الشام عليه، وعزل قضاة مصر الشيعة، واختفىٰ مذهب الشيعة إلىٰ أن نسي من مصر، وقد زاد المضايقات على العاضد وأهل بيته، حتى مرض ومات، وعمره إحدىٰ وعشرون سنة إلاّ عشرة أيّام، وكان كريماً ليّن الجانب مرّت به مخاوف وشدائد، وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت مدّتهم بالمغرب، ومصر، منذ قام عبيد الله المهدي إلى أن مات العاضد ٢٧٢ سنة، منها بالقاهرة ٢٠٨ سنين فسبحان الباقي.[1]

---

١. المقريزي، الخطط: ١/ ٣٥٨ــ ٣٥٩ باختصار، وابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣/ ١٠٩ــ ١١٢، والذهبي: سير اعلام النبلاء: ١٥/ ٢٠٧ــ ٢١٥.

جناية التاريخ على الفاطميين

إنّ لكلّ دولة أجلاً مسمّى، كما أنّ لطلوعها ونشوئها عللاً، كذلك لزوالها وإبادتها أسباباً سنّة الله سبحانه الذي قد كتب على كلّ أُمّة أمرَ زوالها وفنائها قال سبحانه: ﴿كُلّ مَنْ عَلَيْها فانٍ* وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبّكَ ذُو الجَلالِ وَ الإكْرام﴾[1] وقال سبحانه: ﴿مٰا جَعَلْنٰا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلد أفَإن متّ فَهُمُ الْخٰالِدُون﴾.[2]

لا شكّ أنّ كلّ دولة يرأسها غيرُ معصوم لا تخلو من أخطاء وهفوات، بل من جرائم وآثام، وربّما تنتابها بين آونة وأُخرى حوادث وفتن، تضعضع كيانها وتشرفها على الانهيار.

ومع ذلك فالدولة الفاطميّة غير مستثناة عن هذا الخط السائد، فقد كانت لديهم زلّات وعثرات ومآثم وجرائم كسائر الدول.

إلاّ أنّهم قاموا بأعمال ومشاريع كبيرة لا تقوم بها إلاّ الدولة المؤمنة بالله سبحانه وشريعته، كالجامع الأزهر ـ الذي ظل عبر الدهور يُنير الدرب لأكثر من ألف سنة ـ ، كما أنّهم أنشأوا جوامع كبيرة، ومدارس عظيمة مذكورة في تاريخهم، وبذلك رفعوا الثقافة الإسلامية إلى مرتبة عالية، وتلك الأعمال جعلت لهم في قلوب الناس مكانة عالية.

وممّا يدلّ على أنّ حكمهم لم يكن حكماً استبدادياً، ولم تكن سيرتهم على سفك الدماء، أنّ البعضَ منهم تسلموا الخلافة وهم بين خمس سنين إلى عشر سنين، فلوكانت حكومتهم حكومة ظالمة ومالكة للرقاب بالتعسف والظلم، لانهار ملكهم منذ أوائل خلافتهم، ولم يدم ثلاثة قرون، وسط عدوّين شرسين، الخلافة العباسيّة من جانب، والافرنج من جانب آخر.

غير أنّا نرى أنّ أكثر المؤرّخين يصوّرونهم كالفراعنة، وأنّهم فراعنة الأعصار

---

١. الرحمن:٢٦ـ٢٧. ٢. الأنبياء:٣٤.

الإسلامية، كالقبطيين الذي كانوا فراعنة أعصارهم، لا لم يكونوا بهذه المثابة، كما لم يكونوا نزيهين عن الآثام، خلطوا المحاسن بالمساوئ، شأن كلّ ملك يحكم، وإن كانت محاسنهم أكثر من مساوئهم، فأظن أنّ ما كتبته أقلام السير والتاريخ كلّها حدسيّات وتخمينات أخذوها من رماة القول على عواهنه، فيجب على القارئ دراسة سيرة الفاطميين من رأس وأخذها من معين صاف غير مشوب بالعداء.

والذي يدل على ذلك أنّ الفقيه عمارة اليمني كتب إلى صلاح الدين قصيدة متضمنة شرح حاله وضرورته وسماها «شكاية المتظلم ونكاية المتألم» وهي بديعة ورثى أصحاب القصر عند زوال ملكهم، بقصيدة لاميّة أجاد فيها. [١]

وعلى كلّ تقدير، فبعد وفاة الطيّب بن الآمر وخلافة الأئمّة الأربعة المتأخرة، الحافظ، الظافر، الفائز ثمّ العاضد، دخلت الدعوة المستعلية بالستر وتوقفت عن السير وراء الركب الإمامي واتبعت نظام الدعاة مكان الأئمّة.

إلى هنا تم بيان أئمة المستعلية، التي افترقت بعد المستنصر بالله، وصارت فرقة عظيمة معروفة بالبهرة، ولهم اليوم في الهند نشاطات، ومدارس ودعايات، وهم يمسكون بكتبهم عن الغير ويبخلون بها.

إنّ الإسماعيلية المستعلية انقسمت سنة ٩٩٩هـ إلى فرقتين: داودية، وسليمانية، وذلك بعد وفاة الداعي المطلق، داود بن عجب شاه، انتخبت مستعلية كجرات داود بن قطب شاه خلفاً له، ولكن اليمانيين عارضوا ذلك وانتخبوا داعياً آخراً، يدعى سليمان بن الحسن، ويقولون: إنّ داود قد أوصى له بموجب وثيقة ما تزال محفوظة.

إنّ الداعي المطلق، للفرقة الإسماعيلية المستعلية الداودية اليوم، هو طاهر سيف الدين، ويقيم في بومباي ـ الهند ـ أمّا الداعي المطلق للفرقة المستعلية السليمانية، فهو علي بن الحسين، ويقيم في مقاطعة نجران بالحجاز. [٢]

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٤٣٤.
٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٦٢.

الفصل الثامن

في

أئمة النزارية

المؤمنية والآغاخانية



قد عرفت أنّ الإسماعيلية افترقت فرقتين، بين مستعلية تأتم بعد المستنصر بالله، بأحد المستعلي، ثمّ الآمر بأحكام الله؛ ونزارية تقول: بإمامة نزار بن معد بعد المستنصر، ولا تأتم بالمستعلي أبداً، وقد تعرّفت على أئمّة المستعلية، وهذا بيان لأئمّة النزارية المشتركة بين الفرقتين «المؤمنية» و«الآغاخانية»، فإنّ الفرقتين تتفقان على إمامة الأئمة الخمسة التالية:

١. المصطفى بالله نزار بن معد المستنصر.

٢. الإمام جلال الدين حسن بن أعلى محمد.

٣. الإمام علاء الدين بن الإمام جلال الدين.

٤. الإمام ركن الدين خورشاه بن الإمام علاء الدين.

٥. الإمام شمس الدين بن ركن الدين.

وقد اتّفقت الفرقتان على إمامة الأئمّة الخمسة في مسلسل أئمّتهما، واختلفتا في غيرهم، فإليك قائمة بأسماء أئمّة النزارية المؤمنية أوّلاً، ثمّ قائمة بأسماء أئمّة النزارية «الآغاخانية» أو «القاسمية» ثانياً، وترى أسماء الأئمّة المتفق عليهم في كلتا القائمتين.

***

قائمة الأئمة النزارية المؤمنية:

١. نزار بن معد.
٢. حسن بن نزار.
٣. محمد بن الحسن.
٤. حسن بن محمد «جلال الدين».
٥. محمد بن الحسن «علاء الدين».
٦. محمود بن محمد «ركن الدين».
٧. محمد بن محمود «شمس الدين».
٨. مؤمن بن محمد.
٩. محمد بن مؤمن.
١٠. رضي الدين بن محمد.
١١. طاهر بن رضي الدين.
١٢. رضي الدين الثاني بن طاهر.
١٣. طاهر بن رضي الدين الثاني.
١٤. حيدر بن طاهر.
١٥. صدر الدين بن حيدر.
١٦. معين الدين بن صدر الدين.
١٧. عطية الله بن معين الدين.
١٨. عزيز بن عطية الله.
١٩. معين الدين الثاني بن عزيز.
٢٠. محمد بن معين الدين الثاني.
٢١. حيدر بن محمد.
٢٢. محمد بن حيدر (الأمير الباقر). [١]

ولد هذا الإمام الأخير في أورنك آباد عام ١١٧٩هـ لقبه محمد الباقر (وتوفي سنة ١٢١٠هـ)، كلّ ما عرف عنه حتى الآن، هو أنّه آخر إمام من أسرة مؤمن، يحتفظ الإسماعيليون في سوريا بفرمان مرسل منه، من بلدة أورنك آباد بالهند، إلى الإسماعيليين في سوريا، وفي عهده توقف الفرع المؤمني النزاري عن الركب الإمامي، ولم يبق بين فرق الإسماعيليين سوى القاسمية ـ الآغاخانية ـ سائرة على المنهج دون توقف. [٢]

---

١. الإمامة في الإسلام: ١٧٨.
٢. الإمامة في الإسلام: ٢١٤.

قائمة الأئمة النزارية القاسمية - الآغاخانية:

١. نزار بن معد.

٢. هادي.

٣. مهتدي.

٤. قاهر.

٥. حسن على ذكره السلام.

٦. أعلى محمد.

٧. جلال الدين حسن.

٨. علاء الدين محمد.

٩. ركن الدين خورشاه.

١٠. شمس الدين محمد.

١١. قاسم شاه.

١٢. اسلام شاه.

١٣. محمد بن اسلام.

١٤. المستنصر بالله الثاني.

١٥. عبد السلام.

١٦. غريب ميرزا.

١٧. أبو الذر علي.

١٨. مراد ميرزا.

١٩. ذو الفقار علي.

٢٠. نور الدين علي.

٢١. خليل الله علي.

٢٢. نزار علي.

٢٣. السيد علي.

٢٤. حسن علي.

٢٥. قاسم علي.

٢٦. أبو الحسن علي.

٢٧. خليل الله علي.

٢٨. حسن علي.

٢٩. علي شاه.

٣٠. سلطان محمد شاه

٣١. كريم خان.[١]

فعدد الأئمة عند النزارية المؤمنية بعد المستنصر يبلغ ٢٢ إماماً، وعند الآغاخانية يبلغ ٣١ إماماً.

---

١. الإمامة في الإسلام: ١٧٨.

إنّ الاختلاف بدأ يدبُ بعد الإمام نزار ابن المستنصر، ففي الشجرة المؤمنية نرىٰ إمامين بعد نزار، هما: حسن، ومحمد، ثمّ حسن جلال الدين، وفي الشجرة القاسميّة نرىٰ خمسة أئمّة بعد نزار، هم: هادي، ومهتدي، وقاهر، وحسن على ذكره السلام، وأعلىٰ محمد، ثم يأتي جلال الدين حسن، هذا ويلاحظ أنّه بعد هذا الالتقاء عند حسن جلال الدين، تعود الشجرتان إلى السير جنباً إلى جنب حتى محمد شمس الدّين، فبعد وفاة هذا الأخير ظهر اختلاف من نوع جديد، فالمعلوم أنّه كان للإمام محمد شمس الدين ثلاثة أولاد، هم: مؤمن شاه، وقاسم شاه، وكياشاه.

فالمؤمنيّة اعترفت بإمامة مؤمن شاه، وسارت وراءه، ووراء ولده من بعده حتى آخرهم أمير محمد باقر سنة ١٢١٠هـ والقاسميّة سارت وراء قاسم شاه، وولده الذين هم أسرة آغاخان.[١]

ثمّ إنّ بسط الكلام في ترجمة هؤلاء الأئمّة يحوجنا إلى تأليف كتاب مفرد، ولنقتصر علىٰ ترجمة الأئمّة الذين حكموا قلعة آلموت من قلاع قزوين، التي دمّرها هولاكو سنة ٦٥٤هـ. وكان آخر الأئمّة في تلك القلاع الإمام ركن الدين، الذي ولد عام ٦٢٥هـ وأُسّر بيد جيوش التتر، وقتل سنة ٦٥٤هـ عند ما كانت الجيوش التترية تعبر نهر جيحون لتسليم الإمام والأسرىٰ إلى هولاكو.

وأمّا الباقي فسنترك ذكر سيرتهم، ومن أراد المزيد فليرجع إلى المصادر التالية:

١. الإمامة في الإسلام تأليف عارف تامر، ٢. تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب.

---

١. الإمامة في الإسلام: ١٧١.

الإمام الأوّل

المصطفى بالله

نزار بن معد المستنصر

(٤٣٧ ـ ٤٩٠هـ)

قد تعرفت على أنّ المستنصر عهد بالولاية لابنه نزار إلاّ أنّ الأفضل رئيس الوزراء، سعى لخلعه، وبايع أخاه الأصغر أحمد المستعلي، وقد ذكرنا سبب هذا الخلاف، فغادر الإمام نزار القاهرة بصحبة عدّة من رجال دعوته، ونزل الاسكندرية بدعوة من حاكمها، فسار إليه الأفضل على رأس جيش وحاصر الاسكندرية، وعندما اشتدَّ الحصار عليها غادرها الإمام نزار مع أهل بيته متخفّياً بزي التجار، نحو «سجلماسة» حيث مكث عند عمّته هناك بضعة أشهر، حتى عادت إليه الرسل التي أوفدها لإبلاغ الحسن بن الصباح عن محل إقامته، فسار إلى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقي معه من دعاته وخدمه، حيث استقر بقلعة «آلموت» بين رجال دعوته المخلصين، وعمل مع الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية، وبعد أن تمّ له ذلك أصابه مرض شديدٌ استدعى على أثره دعاته ونص على إمامة ابنه (علي) وذلك سنة ٤٩٠هـ وتوفي في اليوم الثاني ودفن في قلعة الموت.[١]

هذا ما يذكره ذلك المؤرخ، ولكنَّ غيره من المؤرخين يذكرون شيئاً آخر، وهو أنّ الأفضل لحق به ونشبت بينهم معارك ضارية انتهت بمقتل نزار، وقد انتقم

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٥٥.

النزاريون بمقتله فيها بعد بأن قتلوا الخليفة الفاطمي الآمر بن المستعلي، ورئيس الوزراء الأفضل نفسه. وعلىٰ كلّ تقدير فقد توفي عام ٤٩٠هـ إمّا في الاسكندرية مقتولاً، أو في قلعة آلموت. [١]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحسن بن الصباح شيخ الجبل(٤٢٨ ـ ٥١٨هـ) هو المؤسس الواقعي للإمامة النزارية، ولولا بيعته لابن المستنصر لما كان للنزارية دولة.

إنّ ابن الصباح قصد المستنصر بالله في زياراته واجتمع به، وخاطبه في إقامة الدعوة له فأجاب الدعوة له في بلاد العجم، فعاد ودعا الناس إليه سراً، ثمّ أظهرها وملك قلاع آلموت.

يقول الجزري: وكان الحسن بن الصباح رجلاً شهماً، كافياً، عالماً بالهندسة، والحساب، والنجوم والسحر وغير ذلك؛ وكان رئيس الري إنسان يقال له أبو مسلم، وهو صهر نظام الملك، فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه، فخافه ابن الصباح، وكان نظام الملك يكرمه، وقال له يوماً من طريق الفراسة: عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام، فلمّا هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه، فطاف البلاد، ووصل إلى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فأكرمه وأعطاه مالاً، وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته، فقال له الحسن: فمن الإمام بعدك؟ فأشار إلى ابنه نزار، وعاد من مصر إلى موطنه، فلمّا رأى قلعة آلموت واختبر أهل تلك النواحي، أقام عندهم وطمع في إغوائهم ودعاهم في السر، وأظهر الزهد، ولبس المسح، فتبعه أكثرهم، والعلوي صاحب القلعة حسن الظن فيه، يجلس إليه يتبرك به.

فلمّا أحكم الحسن أمره، دخل يوماً على العلوي بالقلعة، فقال له ابن الصباح: اخرج من هذه القلعة، فتبسم العلوي وظنّه يمزح، فأمر ابن الصباح

---

١. وليعلم أنّ نزار بن معد المذكور في المقام غير نزار بن معد العزيز بالله الإمام العاشر للإسماعيلية.

بعض أصحابه بإخراج العلوي، فأخرجوه إلى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة.

و لما بلغ الخبر إلى نظام الملك بعث عسكراً إلى قلعة آلموت، فحصروه فيها، وأخذوا عليه الطرق، فضاق ذرعه بالحصر، فأرسل من قتل نظام الملك، فلمّا قتل رجع العسكر عنها. (١)

وقال الذهبي: الحسن بن الصباح الملقب بالكيا صاحب الدعوة النزارية وجدّ أصحاب قلعة آلموت.

كان من كبار الزنادقة ومن دهاة العالم، وله أخبار يطول شرحها، إلى أن قال: وأصله من مرو، وقد أكثر التطواف مابين مصر إلى بلد كاشغر، يغوي الخلق ويضل الجهلة، إلى أن صار منه ما صار، وكان قوي المشاركة في الفلسفة والهندسة وكثير المكر والحيل، بعيد الغور.

قال أبو حامد الغزالي: شاهدت قصة الحسن بن الصباح لما تزهد تحت حصون آلموت، فكان أهل الحصن يتمنّون صعوده إليهم ويمتنع، ويقول: أما ترون المنكر كيف فشا وفسد الناس؟ فتبعه خلق، ثمّ خرج أمير الحصن يتصيد فنهض أصحابه وملكوا الحصن، ثمّ كثرت قلاعهم. (٢)

واستعرض حسن الأمين في «دائرة المعارف الشيعية» تاريخ الإسماعيلية، والانشقاق الذي طرأ على الخلافة الفاطمية بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر، وانقسامها إلى فرقتين هي: المستعلية والنزارية وموقف الحسن بن الصباح منهما، حيث قال:

و كان الحسن بن الصباح من أشد الناس إنكاراً لخلافة أحمد المستعلي وأكثرهم تحمساً لنزار. ويضيف قائلاً:

---

١. الكامل في التاريخ: ١٠/ ٣١٦ـ٣١٧.

٢. الذهبي: ميزان الاعتدال: ١/ ٥٠٠.

وثمة من يقول من النزاريين إنّ الحسن بن الصباح كان في مصر حين وقوع الخلاف على ولاية العهد، فلم يقبر ما جرى، وكان ممّن يرون أنّ المستنصر كان مكرهاً على تولية ولده أحمد، وأنّ الأمر هو لنزار لا لأحمد، ففر الحسن بن الصباح من مصر داعياً لنزار، ثمّ أرسل بعض فدائييه، فأحضروا ابناً لنزار إلى قلعة آلموت.

وفي قول آخر: إنّه لم يخرج من مصر حتى أخرج معه ابناً لنزار، واسمه في سلسلة الأئمة النزاريين علي ولقبه الهادي، فأخفاه الحسن وستره.

و مهما يكن من أمر فقد أصبح الحسن بن الصباح الرجل الأوّل والموجه الفعلي للدعوة النزارية.

وبعد ذلك استعرض حسن الأمين الانحراف الخطير الذي طرأ على الدعوة النزارية وتخلّيها عن الإسلام كعقيدة وعمل، حيث قال:

توفي الحسن بن الصباح سنة ٥١٨هـ فخلفه من خلفه في قيادة الدعوة النزارية دون أن يعلن هو أو غيره ممّن خلفه عن عقيدة جديدة، حتى انتهى الأمر إلى الحسن الثاني بن محمد بن بزرك أميد سنة ٥٥٨هـ فإذا به يعلن التخلّي عن الإسلام كعقيدة وعمل والأخذ بمفهوم جديد للدين يتعارض كل التعارض مع مفهوم الإسلام له.

و يصف المؤرخ علاء الدين عطاء الملك الجويني (م ٦٥٨هـ) هذا الأمر وتفاصيله ويوم حدوثه، ثمّ يقول:

فأعلن ـ أي الحسن الثاني ـ أنّ رسالة قد جاءته من الإمام المستتر مع دليل جديد.

ثمّ قال: «إنّ إمام وقتنا قد بعث إليكم صلواته ورحمته ودعاكم عباده المختارين، ولقد أعفاكم من أعباء تكاليف الشريعة وآل بكم إلى البعث.

ثمّ يقول الجويني: وأكد حسن بالتصريح بأنّه كما في عصر الشريعة إذا لم

يطع إنسان ولم يعبد بل تبع حكم القيامة بحجة أنّ الطاعة والعبادة هما أمران روحيان كان ينكل به ويرجم ويقتل، كذلك الآن في عصر القيامة إذا تقيد إنسان بحرفية الشريعة وواظب على العبادة الجسدية والشعائر فانّ ذلك تعصب ينكل به ويرجم ويقتل من أجله.

ثمّ أكمل حسن كلامه قائلاً: لقد أُعفي الناس من تكاليف الشريعة، لأنّ عليهم في فترة القيامة هذه أن يتوجّهوا بكلّ جوارحهم نحو الله، ويهجروا كل الشعائر الدينية وجميع العبادات القائمة. فقد وضع في الشريعة بأنّ على الناس عبادة الله خمس مرات في اليوم وأن يكونوا معه. وهذا التكليف كان ظاهرياً فقط. ولكن الآن في أيام القيامة عليهم أن يكونوا دائماً مع الله في قلوبهم، وأن يبقوا نفوسهم متوجهة دائماً نحو الحضرة الإلهية، فإنّها الصلاة الحقيقية. انتهى.

وقد أثّر كلامه في الجموع المحتشدة تحت منبره يقول المؤرخ الجويني:

وفي ذلك اليوم الذي اقترفت فيه هذه القبائح وأُفشيت فيه تلك المساوئ في «مأمون آباد» عش الكفر، لعب الجميع على الجنك والرباب، وشربوا الخمر بشكل مكشوف على نفس درجات ذلك المنبر وفي مكان جلوس الخطيب.

نعم كان بين المؤمنين بالمذهب من أنكر عليهم ذلك، فنرى أنّ يوم الأحد السادس من ربيع الأوّل سنة ٥٦١هـ قام شقيق زوجة الحسن بطعنه في قلعة (لمسر) فمضى المفتري من هذه الدنيا إلى نار الله الموقدة، ولكن الانحراف لم ينته باغتيال أصله، بل بقي مستمراً على عهد خليفته ابنه «علاء محمد» الذي تولّى بعد أبيه وهو في التاسعة عشرة من عمره وتوفي سنة ٦٠٧ هـ،كما كانت المعارضة الشديدة مستمرة، وإذا كان قد تزعمها في عهد حسن، شقيق زوجته، فقد تزعمها الآن حفيد حسن وسميّه جلال الدين حسن، إذ كان على خلاف أبيه وجدّه في العقيدة متشدداً في خلافه لهما كلّ التشدد.

وقام بإصلاحات كبيرة، فقد اتصل بحكام الأقطار الإسلامية يعلنهم

العودة إلى الإسلام ليوثق الصلات بهم وبجمهور المسلمين بعد الذي شاع عن انحراف جدّه وما أعلنه من خروج على الشريعة، فراسل الخليفة في بغداد «الناصر لدين الله» وغيره من الملوك والأمراء، كما أرسل والدته وزوجته إلى الحجّ وأمر ببناء المساجد وقرّب إليه الفقهاء والقرّاء.

و من البديهي أن لا يكون «جلال الدين حسن» قد استطاع استئصال جذور الانحراف، وأن يظل للانحراف أتباعه الآخذون به شأن جميع الدعوات في كلّ زمان ومكان.

على أنّ أمر دولة هؤلاء النزاريين لم يطل كثيراً بعد جلال الدين، فقد انتهى ملكهم على يد هولاكو سنة ٦٥٤ هـ لكن مَن أخذوا بأقوال الحسن الثاني بن محمد وانحرافه لم ينتهوا، بل ظل للدعوة من يحملها من جيل إلى جيل حتى هذا الجيل وهم اليوم أتباع آغاخان وظلوا هم وحدهم منفردين باسم الإسماعيليين بعد أن تبرأ من هذا الاسم أصحابه الحقيقيين وتسمّوا باسم البهرة. [1]

---

١. حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: ٤/ ٧٣ـ٧٥.

الإمام الثاني

علي الهادي بن الإمام نزار

(٤٧٠ـ٥٣٠هـ)

ولد الإمام علي الهادي بن الإمام نزار سنة ٤٧٠هـ وارتحل مع والده الإمام نزار إلى قلعة آلموت، ولما توفي أبوه عام ٤٩٠هـ أصبح إماماً للإسماعيليّة ولم يتجاوز عمره عن عشرين سنة.

وقد انتشر المذهب الإسماعيلي في عهده على يد داعيته الحسن بن الصباح، شيخ الجبل، المعروف بالمقدرة والبطش.

عمد الإمام إلى تأليف جيش قويّ من الإسماعيليّة، قسّمه إلى فرقتين، الفرقة الأُولى أسماها(الفدائية)، وهي المكلّفة ببذل التضحيات السريعة المستعجلة، وتنفيذ الأوامر السرية الهامة، ولقد تدرّب أفراد تلك الفرقة أعظم تدريب على استعمال كافة أنواع الأسلحة، وعلى الفروسية، كما لُقّنوا مختلف العلوم الفلسفية، وأتقنوا أغلب لُغات أهالي تلك البلاد. أمّاالفرقة الثانية سميت بـ(الرفقاء) وهم المكلّفون بنشر الدعوة الإسماعيليّة بأُسلوبهم الخاص في مختلف الأقطار والأقاليم، وهم المدافعون عن مذهبهم بالعلم والفلسفة، وعلى الغالب كانوا يتولون الوظائف الإدارية في البلاد التي يوفدون إليها لنشر الدعوة.

وفي سنة ٥٣٠هجرية توفي الإمام علي الهادي، بعد أن مكث في الإمامة أربعين عاماً، ودفن في قلعة «لامستر» بعد أنْ نصَّ على إمامة ولده محمد المهتدي.[١]

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:٢٥٧ـ٢٦٢.

الإمام الثالث

محمد المهتدي بن الإمام علي

(٥٠٠_٥٥٢هـ)

ولد الإمام محمد بن علي بن الإمام نزار الملقب بالمهتدي سنة ٥٠٠ هـ في قلعة «لامستر»، وأصبح إماماً للإسماعيلية بعد وفاة أبيه الإمام علي الهادي سنة ٥٣٠هـ.

كان أوّل عمل قام به أن نقل مقرّه إلىٰ قلعة آلموت، ووجه إهتمامه لبعث الجيش الإسماعيلي (الفدائية) من جديد، وتدريبه تدريباً كاملاً ليستطيع الدفاع عن القلاع والحصون الإسماعيلية.

وقد وجه عنايته أيضاً لتنظيم الدعاة، وتلقينهم أُصول العقائد الإسماعيلية، وتدريبهم على المباحثة والمناقشة في الفلسفة، والفقه الإسلامي والعقائد الإسلامية، كما أوجد بينهم نظام الشيفرة ليستعملوه في اتصالاتهم الداخلية والخارجية فاستعملوا الأعداد للدلالة على الأحرف الأبجدية،و تعرضت الإسماعيليّة أيضاً لكثير من الهجمات الداخلية والغزوات الخارجيّة.

وفي سنة ٥٥٢هـ توفي الإمام المهتدي ودفن في قلعة آلموت بعد أن نصَّ علىٰ إمامة ولده حسن.[1]

---

١. المصدر السابق: ٢٦٦.

الإمام الرابع

القاهر بقوة الله

حسن بن محمد بن علي بن نزار

(٥٢٠_٥٥٧هـ)

ولد سنة ٥٢٠هـ في قلعة آلموت، وأصبح بعد وفاة أبيه ٥٥٢هـ إماماً بموجب النص، وكان عمره آنذاك ٢٨ سنة، وعين الداعي محمد كيا بزرك آميد نائباً عنه وكبيراً لدعاته.

عمل الداعي بكل إخلاص ووزع الدعاة الأكفاء على جميع المناطق، ووجّه عناية خاصة للفرقة الفدائية، التي كانت تحتل المكان الأوّل في الجيش الإسماعيلي، وأنشأ مدرسة خاصّةً لتثقيف الفدائية وتدريبهم التدريب الكامل على استعمال الأسلحة، وتلقينهم أغلب اللغات المستعملة في ذلك الوقت.

توفي سنة ٥٥٧هـ ودفن في قلعة آلموت بعد أن نصَّ على إمامة ولده الحسن علي.[1]

---

١. المصدر نفسه: ٢٧٢.

الإمام الخامس

الإمام الحسن علي بن الإمام حسن القاهر

(٥٣٩_٥٦١هـ)

ولد الإمام حسن علي بن الحسن بن محمد بن علي بن نزار سنة ٥٣٩هـ في قلعة آلموت، وتولّى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٧ هـ.

وقام بتنظيم الدعوة الإسماعيليّة فوزّع الدعاة الأكفاء على الأقاليم الخاضعة للنفوذ الإسماعيلي.

توفي في السادس من ربيع الأوّل سنة ٥٦١ ودفن في قلعة آلموت. [1]

الإمام السادس

الإمام أعلى محمد بن الإمام الحسن علي

(٥٥٣_٦٠٧هـ)

ولد الإمام أعلى محمد سنة ٥٥٣هـ في قلعة آلموت، وتولّى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦١هـ وهو في الثامنة من عمره.

و وجّه عناية خاصّة (للمناظرات العلمية) فخصّص يوماً واحداً من كلّ أُسبوع لإجراء المناظرات الفلسفية، والفقهية بين الدعاة، يحضرها بنفسه ليحكم بين المتناظرين فيعلّيهم ويرقّيهم في مراتب الدعوة، حسب ما يظهروه من كفاءة

---

١. المصدر نفسه: ٢٧٥.

علميّة ، وهذا ما ساعد الدعاة على تفهّم أُصول المذهب الإسماعيلي.

توفي الإمام أعلى محمد سنة ٦٠٧هـ ودفن في قلعة آلموت بعد أن نصَّ على ولاية ابنه جلال الدين،و استمرت إمامته ٤٦ سنة. [١]

الإمام السابع

الإمام جلال الدين حسن بن أعلىٰ محمد

(٥٨٢ـ٦١٨هـ)

ولد الإمام حسن بن أعلىٰ، الملقب بجلال الدين سنة ٥٨٢هـ في قلعة آلموت، وأصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة ٦٠٧هـ.

عمل على توثيق عُرى الصداقة بين الإسماعيلية والعالم الإسلامي، ولهذا لقّبوه بـ«المسلم الجديد» كما أنّ علاقاته بالعباسيين زادت وثوقاً، وخاصّةً مع الخليفة الناصر لدين الله.

تنقل كثيراً في سوريا والعراق وآذربيجان، وأدّىٰ فريضة الحج مع عائلته مرتين، تحالف مع جلال الدين خوارزمشاه، عندما غزا چنگيزخان إيران، وذلك انقاذاً لمعاقله ولأتباعه. قتل بمؤامرة من النساء بالسُم سنة ٦١٨هـ، وخلّف ولداً هو محمد بن الحسن «علاء الدين». [٢]

---

١. المصدر نفسه: ٢٧٧.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٩٢؛ تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٨٤.

الإمام الثامن

علاء الدين محمد بن الحسن

(٦٠٨ـ٦٥٣هـ)

ولد الإمام علاء الدين محمد بن الإمام جلال الدين سنة ٦٠٨هـ في قلعة آلموت، وجلس على أريكة الإمامة الإسماعيلية سنة ٦١٨هـ وهو في العاشرة من عمره، ودامت إمامته ٣٥ عاماً.

و من العجب أنّ المؤرّخ المعاصر مصطفى غالب ذكر سقوط مدينة بغداد في عصر هذا الإمام مع أنّ سقوط بغداد تم بعد تدمير قلاع الإسماعيلية، لأنّ مسير التتر كان من قزوين ثمّ همدان ثمّ بغداد.

و توفي عام ٦٥٣ هـ ودفن في آلموت. [١]

الإمام التاسع

ركن الدين خورشاه بن الإمام علاء الدين

(٦٢٩ـ٦٥٤هـ)

ولد الإمام ركن الدين خورشاه بن الإمام علاء الدين محمد سنة ٦٢٩هـ في قلعة آلموت، وأصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة ٦٥٣هـ وأرسل هولاكو التتري جيشاً بقيادة بوكيان التتري لأطراف كوهستان لمحاربة الأمير ناصر الدين أمير

١. تاريخ الدعوة الإسماعيلية:٢٨٦.

تلك المقاطعة الذي كان يقيم في قلعة (سرخوست).

و أرسل جيشاً آخر لحصار بقية القلاع الإسماعيليّة، ولقد استمر ذلك الحصار مدّة ستة أشهر، نفدت بعدها مؤونة الإسماعيليين، ففتحوا أبواب قلاعهم واشتبكوا مع التتر في معارك قويّة طاحنة، قتل فيها اثنا عشر ألف إسماعيلي وثلاثون ألف تتري، واحتلت الجيوش الغازية جميع القلاع الإسماعيليّة ودمّرتها عن بكره أبيها فجعلتها قاعاً صفصفاً، وأُلقي القبض على الإمام ركن الدين خورشاه مع ولده الأصغر مظفر الدين، وابن أخيه سيف الدين، وبعض دعاته، وأخذوهم إلى الخليفة في بغداد.

و في طريق العودة بينما كانت الجيوش التترية تعبر نهر (جيحون) توفي الإمام ركن الدين خورشاه وكانت وفاته سنة ٦٥٤هـ ودفن على ضفة ذلك النهر اليمني.

أمّا بقية الأسرىٰ فسلّموا لهولاكو الذي أمر بإعدامهم جميعاً،والتمثيل بجثثهم، ولم تستمر إمامة ركن الدين سوى عاماً واحداً، قضاه في الحروب والحصار، وبانتهاء عهده ودّعت الأئمة الإسماعيلية بلاد آلموت لتستقر في آذربيجان بعد أن دام حكمهم فيها ما يقارب ٢١٤ عام. [1]

***

إلىٰ هنا وقفت علىٰ أئمّة النزارية، من الإسماعيليّة وأمّا غيرهم من الأئمّة الباقية الذين تسلموا مسند الإمامة بعد تدمير قلاع آلموت فيحتاج إلى تأليف مفرد.

إنّ الكتب الإسماعيليّة التاريخية المخطوطة والمصادر الصوريّة القديمة، منذ عام ٧١٠هـ حتى سنة ١٢١٠ هـ جاءت حافلة بذكر أُسرة مؤمن شاه وحدها،

١. تاريخ الدعوة الإسماعيلية:٢٨٩ـ٢٩٠.

وبعد سنة ١٢١٠هـ انطفأ وخبا كلُّ نشاط علميٍّ من جانب هذه الفرقة (المؤمنية) وقامت الأُسرة الثانيـة (القـاسميّة) تحتـل مركـزها وتبرز على مسرح الإسماعيليـة النـزارية وبما أنّ الأُسرة الآغـا خانيـة تزعّمت الإسماعيليـة النـزارية مـا يربـو عن القرنين، فلذلك خصصنا الفصل التالي لبيان حياة تلك الأُسرة.

إنّ الفرقـة الإسماعيلية النـزارية المؤمنيـة تقطن في عهدنـا الحاضر في بلدتي «القدمـوس» و«مصياف» السوريتين وفي بعـض قرىٰ سلمية وفي سلميـة نفسها، وأمّا الفرقة القاسمية النزارية الآغـاخانية فتقطن في سلمية،وما يتبعها من القرىٰ، وفي نهر الخوابي قـرب طرطـوس، كما تقطن في إيران،والهنـد،وباكستـان، وبورمـا، والصين ،و إفريقية الشرقية ،و الكونغو ومدغشقر و زنجبار وغيرها.[1]

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٧٠.

الفصل التاسع

في

الأسرة الآغاخانية



قد عرفت أنّ النـزاريّة انقسمت إلىٰ طائفتين: «مؤمنيّـة» و«قاسمية» ويطلق على«القاسمية» في الآونة الأخيرة «الآغا خانية» واشتهروا في هذه الأعصار باللقب الأخير وأئمة هذه الأُسرة هم:

١. حسن علي شاه.

٢. علي شاه.

٣. سلطان محمد شاه.

٤. كريم خان.

١ . حسن علي شاه: (١٢١٩ـ ١٢٩٨هـ)

ولد في بلـدة محلّات سنة ١٢١٩ هـ وهـو أوّل من لُقّب بـ«آغا خـان» كان معاصراً للشاه «محمد القـاجاري» وفي عهده قُتل الشاه القاجـاري وجلس مكانه فتح علي شـاه، وقد عـامل الإسماعيليين معاملـة طيبة، وزوّج حسن علي شـاه من كريمته، ولكنّ حياته لم تطل فمات، واستلم مكانه «علي محمد شاه».

فلاحـظ أنّ مركـز الإمام حسن علي شـاه قد أصبـح قويّـاً وخطيراً، فاعتبره خطراً علىٰ شؤون المملكة، وأمر بإبعـاده عن إيران، فذهب إلى السند، واستقر بين أتبـاعه الكثيرين في كـراتشي يُنظّم أُمـورهم ويصلح أحـوالهم، ويقرّب وجهـات النظر بين ملوك السند والبريطانيين، وأخيراً انتقل إلى الهند.

وتوفي سنة ١٢٩٨ هــ ودفن في محلة «مجكانون» أو «حسن آبـاد» عن أربعة أولاد، هم: آغا علي شاه، وآغا جهانگير شاه ، وآغا جنگي شاه، وآغا جلال شاه،

وكان عليٌ هو وصيّه ووريث الإمامة. [١]

يقول المؤرّخ المعاصر مصطفى غالب: دخل الإمام حسن علي شاه مدينة «بومباي» واستقبل من قبل حاكم تلك المدينة ورجال السلك السياسي وممثلي الدول ومختلف طبقات الشعب،و منحته المملكة البريطانية لقب صاحب السمو،وأرفع وسام للسلام في المملكة. [٢]

ولعلّ مغادرته لإيران وإقامته في بومباي هيّأت له أرضية الاتصال بالبلاط البريطاني، وتوثقت عُرى الصداقة بينهما عبر العصور، فلم تزل أئمة الطائفة بعده متهمين بالعمالة للبريطانيين.

٢. علي شاه: (١٢٤٦ـ١٣٠٢هـ)

ولد عام ١٢٤٦هـ في بلدة محلاّت، وجلس على مسند الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ١٢٩٨هـ واشتهر بـ«آغا خان الثاني» والدته هي كريمة فتح علي شاه القاجاري.

يذكر أنّه كان مولعاً بصيد الأُسود والرماية، وقوة الساعد والرجولة. تزوّج شمس الملوك ابنة ميرزا علي خان الإيرانية.

أنجب ثلاثة أولاد، هم: سلطان محمد شاه، وشهاب الدين شاه، ونور شاه، وولّي عهده هو السلطان محمد شاه آغا خان الثالث.

وفي احتفال مهيب ضم آلاف الإسماعيليّة الذين قدموا لتقديم الزكاة والخمس للإمام، أعلن الإمام علي شاه بأنّ نجله الأكبر سلطان محمد شاه قد أصبح وليّاً للعهد، وسيكون إماماً من بعده.

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام:٢٢٨.

٢. مصطفى غالب:تاريخ الدعوة الإسماعيلية:٣٣٦.

قدم إليه وفد من إسماعيليّة سوريا، وطلبوا من الإمام رفع مشاكلهم وأن يدفع إليهم السلطان العثماني مكاناً يقطنون فيه بعد أن ضاقت بهم معاقلهم، فقام الإمام بتنفيذ طلبهم واتصل بالسلطان العثماني إلى أن أصدر السلطان أمره إلى والي دمشق ليسمح للإسماعيليّة بأن يختاروا مكاناً ليشيدوا فيه مساكن لهم، شريطة أن يعفوا من الضرائب والجندية، تجمّع الإسماعيليون بزعامة الأمير إسماعيل، وذهبوا باتجاه المنطقة الشرقيّة حتى وصلوا إلى سهول السلمية فقرروا أن يعيدوا تأسيس مدينة «السلمية» التاريخية، بعد أن دمّرتها الحروب.

توفي الإمام علي شاه سنة ١٣٠٢هـ ونقل جسده إلى مدينة كربلاء ودفن هناك.[١]

٣. سلطان محمد شاه «آغا خان الثالث»: (١٢٩٤ـ١٣٨٠هـ)

ولد «محمد سلطان الحسيني» المعروف بآغا خان الثالث عام ١٢٩٤هـ في محلة «شهر العسل» بكراتشي، وفي الثامنة من عمره اجتمع به رجال الدعوة الإسماعيليّة في الهند وسلّموه شؤون الإمامة باحتفال مهيب، وتزوّج في سن العشرين ابنة عمّه «شاه زاده» وزار الغرب لأوّل مرّة واصلاً إلى لندن، فمنح لقب «كوماندور» للامبراطورية الهندية. كما زار ألمانيا وفرنسا وإيران وتركيا ومناطق عديدة من العالم، وتزوّج عدّة مرّات، وساهم بإنشاء جامعة عليكسرة، وبإرسال بعثة إسلامية لتدريس الدين الإسلامي في اليابان.

وفي حياته نقاط جديرة بالمطالعة، منها:

١. يقول عارف تامر: ورأيته في القاهرة سنة ١٩٥٦م يقول لأتباعه الذين جاءوا لزيارته: علّموا أولادكم العلوم العمليّة، وأبعدوهم عن العلوم النظرية،

---

١. الإمامة في الإسلام:٢٢٨ـ٢٢٩؛ وتاريخ الدعوة الإسماعيلية:٣٣٩ـ٣٤١.

فالعالم قادم على انقلاب خطير وتطور سريع في ميدان الاستنباط والاختراع. [١]

أقول: ماذا يقصد من العلوم النظرية؟ وهـل تختص بالعلوم الدينية، أعني: الكلام والتفسير والفقه، أو تشمل سائر العلوم الإنسـانية الأُخرى كمعرفة النفس وعلم الاجتماع والقانون؟و على أيّة حال فإرشاداته لا اعتبار بها، وكان الأفضل أن يرشدهم بـالقول: علّموا أولادكم الصناعات الحديثة والعلـوم العمليّة إلى جانب سائر العلوم، يقول سبحانه: ﴿وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإيمان﴾ [٢] فإنّ تزويد البشر بالصنـاعات الحديثة دون الإيمان كتزويـد المجنون بالسـلاح، والذي يكبح جماح البشر عن استخدامـه لتلك الصناعات الحديثة مـن سبيل الشر، هو الإيمان بالله، والاعتقاد بالمبدأ والمعاد، التي تتكفل العلوم النظرية بيانه.

٢. يقول ـ للوفد الإسلامي الذي جاء يطـالبه بالمساهمة ببناء كلية إسلامية في مدينة «منباسا» كينيا ـ: إنّني لا أُساهم إلاّ بإنشاء مدرسة صناعية كبرى لتعليم الصنـاعـات المختلفـة، والمهن الحرّة، فقـد كفـانـا نومـاً وركضـاً وراء الخيـالات والأحلام. [٣]

أقول: ماذا يريد بقـوله: كفانا نوماً و ركضـاً وراء الخيالات والأحلام؟! فهل مقصوده أنّ العلوم الدينيّة هي منبع للخيـالات والأحلام؟! فحينئذٍ ستكون قيادته مبنيّة على الأوهام والخيالات، فما أشبه كلامه بفعل من تسلّق الشجرة وأخذ يقطع ما تحته. بل إنّ كلامه هذا تفريغ واضح وصريح لحالة القداسة الدينية التي طالما حاول أن يظهر بها أمام المسلمين عامة وأتباعه بصورة خاصة.

٣. يقول المؤرّخ المعـاصر مصطفى غـالب: سمو آغـا خان يملـك قصوراً كثيرة في جميع أنحـاء العـالم، وطائرات حـديثة مـن أفخر طـراز، وعـدداً كبيراً من

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ٢٣١.

٢. الروم: ٥٦.

٣. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ٢٣٣.

أحدث اصطبلات الجياد في العالم، ويحتفظ بفصيلة جياد (هـارات) التي تملكها أسرته منذ زمن بعيد، ومنها ينتج أحسن خيـول السباق المعروفة، وقد ربحت هذه الخيول أكبر الجوائز العالمية لسباق (دربي).

والإمام آغا خان يُعد من أغنى أغنيـاء العالم، إذ يُقدّر إيراده السنوي بمبلغ يتراوح بين ٦٠٠ ألف و١٠ مـلايين دولار، وقـد قُـدّرت مجموعـة الجواهـر التـي يملكها بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار.[١]

لا شكّ أنّ حياة البذخ التي عاشها الإمـام آغا خان ليست نتيجة كد عمله ومحصول جهده إنّما هي أمـوال شرعية باسم الزكاة والخمس قدمتهـا إليه الطائفة الإسماعيليّـة المتشكلة مـن الفلاحين والعمال وأصحـاب المكـاسب الحرّة، لا أنّها أموال شخصيّـة للإمـام، بل ملك لمنصب الإمـامة يصرفهـا في المشاريـع الخيرية، فأين حياة البذخ هذه ممّا كان عليـه الإمام أمير المؤمنين ذلك الأُسوة الحسنة لعامة البشر والمسلمين خاصـة حيث يكتب إلى عـامله بـالبصرة عثمان بن حنيف: «ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي بـه ويستضئ بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، إلى أن يقول: ولعلّ بالحجاز واليمامة من لا طمع له بالقرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنةٍ   وحولك أكباد تحن إلى القـد

أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أُشـاركهم في مكاره الدهر، أو أكـون أُسـوة لهم في جشـوبـة العيـش، فما خُلقت ليشغلنـي أكـل الطيبـات، كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها».[٢]

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:٣٦٦.

٢. نهج البلاغة: قسم الرسائل، رقم ٤٥، تعليق صبحي الصالح.

٤. يقول: ويجب أن لا يغرب عن بالكم، بأنّ هذه المشاريع لا يمكن أن تتحقق، ولا يكتب النجاح لهذه النهضة الإصلاحية إلاّ إذا دفعت ضريبة العشر، والعشر هذا تضحية جزئية واجبة على كلّ إسماعيلي يعتقد ولايتنا ويخلص لنا. [١]

ويلاحظ عليه: بأنّ الفريضة مختلفة في الزكاة، وليست مبعضة بالعشر كما هو واضح، لمن له أدنى إلمام بالفقه الإسلامي من سنة وشيعة، كما أنّ الواجب في المعادن، والركائز، وأرباح المكاسب، هو الخمس، لا العشر، فالتركيز على العشر، وحذف المعايير الأُخر إبطال للشريعة.

٥. ومن نصائحه لأتباعه أنّه أمرهم بالزهد، ويقول: لا تسرفوا شيئاً على طقوس الأموات والزواج، وازهدوا في لذائذ الحياة الدنيا، وادّخروا شيئاً من نفقاتكم الشهريّة، وابتاعوا بها سندات شركات التأمين وأوراق الدولة المالية. [٢]

إنّ هذه النصيحة ممزوجة بالحقّ والباطل، فهو يأمرُ أتباعه بالزهد، بينما يعيش هو حياة البذخ والإسراف، أتقولون مالا تفعلون؟!

٦. قال لزوجته الفرنسية في صباح اليوم الذي قرّر أن تتم به حفلة زواجهما:

ابنتي العزيزة!!...

أنت لا تجهلين ولا ريب بأنّي أميرٌ شرقي كبيرٌ وأعتقد بأنّك تجهلين بأنّ آلافاً وآلافاً من البشر يعتقدون بأنّ الإله متجسم فيَّ تقريباً. [٣]

أقول: يبدو بأنّه إمّا يصحح عقيدة أتباعه في حقّه، أو يخطّئهم، فعلى الوجه الأوّل هو إله متجسّم حسب عقيدته، وعلى الوجه الثاني مقصّر في إضفاء الشرعية على عقيدة قومه، وعدم تخطئتهم، وإرشادهم إلى الحقّ.

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٦٥.

٢. المصدر السابق: ٣٦٨.

٣. المصدر السابق: ٣٧٢.

الإمام يتعلّم على يد مأمومه

قال المؤرّخ الإسماعيلي المعاصر مصطفى غالب: وسموّه يجيد اللغات الشرقية والغربية من الهندية والفارسية والعربية والتركية، والانكليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية، وغيرها من اللغات العديدة، كلُّ هذا بدون أن يدخل أيَّ مدرسة أو يتلقىٰ علومه في أيّ معهد، وقد تلقّىٰ تعليمه الأوّل علىٰ أيدي والدته التي علّمته تعليماً صحيحاً، فجعلته يتقن اللغات الأُوروبية والعربية والفارسية.[1]

وقال عارف تامر: وتوفي والده علي شاه، وهو في الثامنة من عمره، فاجتمع به رجال الدعوة الإسماعيليّة في الهند، وسلّموه شؤون الإمامة باحتفال مهيب. وكان هذا من الأسباب التي حفّزت والدته علىٰ مضاعفة السهر على حياته، وإحضار المربّين الاختصاصين، والأساتذة الماهرين ، عملوا على تدريسه اللغات الأجنبية والفارسية والعربية.[2]

و هنا نقطة جديرة بالإمعان وهي أنّ الثابت في عقيدتهم أنّ الإمام منصوص لا يتلقّى العلم إلاّ عن الغيب فعلمه لدني.

فلا أدري ما هذا الإمام. الذي يتلقّىٰ العلم عن مأمومه، وهل الإمام ذو العلم اللدني بحاجة إلى دخول المدارس البشرية، وتعلّم اللغات والعلوم وغير ذلك.

وفي يوم الخميس الساعة الثانية ظهراً الحادي عشر من تموز سنة ١٩٥٧م الموافق (١٣٧٧هـ) توفي الآغا خان في قصره بسويسرا، ونقل جثمانه جوّاً إلى أسوان بمصر. ودفن في المقبرة التي شرع بتشييدها على رأس ربوة الجبل الأصفر غرب مدينة أسوان في مصر.[3]

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٥١.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ٢٣٤.

٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٩٢.

و لما توفي آغـا خان الثالث في سـويسرا توجه زعماء الإسماعيليـة من مختلف أنحاء العـالم إلى مقر الآغـا خان في قصر بركـان، حيث حضروا فتح وصيّـة الإمام الراحل التي كانت مودعة في بنك (لويدز) في بريطانيا.

واستناداً إلى هذه الوصية فقد تم إعـلان إمامة كريم بن علي شاه الحسيني، ولُقّب بآغا خان الرابع.[١]

و من الطريف بالذكر هو أنّ الإمام آغا خان الثالث قد عهد بالإمامة لابنه الأمير علي خـان في حياتـه، يقول مصطفـى غالـب: أصبح الأمير علي خان وليّـاً لعهـد الإمامـة الإسماعيليّـة في التاسـع والعشرين من تشريـن الثاني عـام ١٩٢٧ ميـلاديـة وجـرت احتفـالات عظيمـة بهذه المنـاسبـة، عمّـت جميـع البلـدان الإسماعيليّة.[٢]

وقد خاب أمل الأمير علي خان لما فُتحت وصيّة والده التي كانت مُودعة في بنك (لـويـدز) في بريطـانيـا والتي تنصُّ على إمـامة حفيـده كـريم بن علي شـاه الحسيني (آغا خان الرابع)، ولا أجد تفسيراً لها إلاّ بنشوب الخلافات بينهما.

و ممّا جاء في وصيته التي أبطل بها إمامة ابنه:

و نظراً إلى الظروف التي تغيّرت تغيّراً أساسياً في العالم في السنوات الأخيرة، ونظراً للتغيّـرات الكبرى التي وقعت، ومن بينها اكتشـاف العلوم الذريـة، فإنّي على يقين أنّ مصلحة الطائفة الإسماعيليّة تقتضي أن يخلفنـي شابٌ نشأ وترعرع في السنوات الأخيرة وسط هـذا العصر الحديث، وأن تكون لـه نظرةٌ جديـدة للحياة عند تـولّي زعامة الطائفـة الإسماعيليّة، لذلك أختـار حفيدي كريم خـان، ليكون خليفة لي وزعيماً للطائفة من بعدي.[٣]

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٤٠٢ـ٤٠٣.

٢. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية :٣٩٣.

٣.مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:٤٠٢.

وقد توفي ولده علي خان المعزول في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هجرية، بحادث اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه، ودفن جثمانه مؤقتاً في قصره الخاص في نويللي بفرنسا، ريثما يتم نقله إلى مقرّه الأخير في سلَمية سوريا تنفيذاً لوصيته.

فالإمام الحاضر للإسماعيلية هو كريم حفيد (آغا خان الثالث) لا ولده.

كريم بن علي بن محمد

آغا خان الرابع

ولد سنة ١٩٣٨ م في مدينة جنيف بسويسرا، والده هو الأميرعلي خان الذي أُقصي عن مركز الإمامة بموجب وصية والده سلطان محمد شاه (آغا خان الثالث)، وأُمّه هي الأميرة البريطانية (جون بربارا يولد) ابنة اللورد تشارستون، تلقىٰ علومه الأوّلية في مدارس سويسرا، فأتقن الانكليزية والفرنسية والإسبانية، كما درس اللغة العربية، وبعد أن أكمل تحصيله في سويسرا انتسب إلىٰ جامعة (هارفرد الأميركية).

كان كثير التنقل والأسفار، يمارس الرياضة الصعبة، وقد نجا مرتين من حادثتي اصطدام مروعتين، ويولي الشؤون الاقتصادية والمالية اهتمامه، ويتجنّب الخوض ببحر السياسة. كما ويقوم بزيارة لإفريقية وسوريا ولبنان و إيران في العام، لتفقد شؤون أتباعه ومعالجة قضاياهم. وهو لا يزال حيّاً يرزق. [1]

هؤلاء أئمّة النزاريّة القاسمية الأغاخانية، وهم الفرقة المنحصرة باستمرار الإمامة في أولاد إسماعيل، وفق المذهب الإسماعيلي، فالله سبحانه يعلم هل تستمر الإمامة بعد رحيله أوتدخل في كهف الغيبة.

١. الإمامة في الإسلام: ٢٣٧؛ وتاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٤٠٣.



الفصل العاشر



في

الإسماعيلية والأصول الخمسة



الإسلام عقيدة وشريعة، والإسماعيليّة كغيرها من المذاهب الإسلاميّة لها أصول، وفروع، أمّا الفروع فلا يختلفون مع المسلمين في أمهاتها، وكفى في الوقوف عليها ما كتبه القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي باسم «دعائم الإسلام». نعم، انفردوا في الاعتقاد بأنّ لكلّ حكم فرعي ظاهراً وباطناً، ولهم مؤلفات خاصّة في تأويل الظواهر الفرعيّة،وقد ألّف القاضي المذكور كتاباً باسم «تأويل الدعائم» وسيمر عليك بعض تأويلاتهم في هذا المجال.

إنّما الكلام في عقائدهم وأُصولهم التي بنوا مذهبهم عليها، والعثور عليها أمر مشكل جدّاً وذلك لوجوه:

الأوّل: الظنّة بكتبهم والتستر عليها وإخفائها وعدم جعلها تحت متناول أيدي الآخرين، وأن فرض عليهم الوضع الراهن كسرطوق التكتم، وإزاحة الستار عن بعض الكتب، والفضل يعود إلى غيرهم، فلو كان الأمر بيد دعاتهم وعلمائهم لما سمحوا بذلك، ولما وصلت بأيدينا تلك الكتب.

الثاني: اتخاذ الفلسفة اليونانية عماداً وسنداً للمذهب، فأدخلوا فيه أشياء كثيرةً ممّا لا صلة لها بباب العقائد والأُصول، ولا يضر الاعتقاد بها أو بعدمها، ولا يضرّه جهلها فالقول بالعقول العشرة، والأفلاك التسعة ونفوسها، وأنّ الصادر الأوّل هو العقل إلى أن ينتهي الصدور إلى العقل العاشر، فروض فلسفيّة طُرحت لحل مشكلة (امتناع صدور الكثيرعن الواحد)، وهذه المباحث على فرض صحتها تختص بذوي المواهب الكبيرة في مجال الفكر، فإدخالها في المذهب والدعوة إليها، إلزام بلا ملزم.

الثالث: أنّ المذهب الإسماعيلي، لم يكن في بدء ظهوره مذهباً منسقاً، وإنّما تكامل حسب مرّ السنين، نتيجة احتكاك الدعاة مع أصحاب الفلسفة اليونانية، وحسب أذواقهم في مجال التأويل، وهذا أمر مسلّم بينهم، يقول الكاتب الإسماعيلي مصطفى غالب:

إنّ العقائد الإسماعيلية لا يمكن دراستها وبحثها على أنّها عقائد ثابتة لفرقة موحّدة، وذلك أنّها عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، واختلفت باختلافها، وتشعّبت آراؤها ونظرياتها، حتى أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد، أو أن تُصهر في بوتقة واحدة. [١]

وقد اعتمدنا من بين كتبهم العقائديّة على كتابين هما:

١. «راحة العقل»: تأليف الداعي في عهد الحاكم، أعني: حميد الدين أحمد ابن عبد الله الكرماني، الملقّب بحجة العراقين، وكبير دعاة الإسماعيليّة في جزيرة العراق، وصاحب المؤلّفات العديدة في المذهب الإسماعيلي، ألّفه عام (٤١١هـ)، وقد عاصر الفيلسوف الإسلامي الكبير ابن سينا (٣٧٣ـ٤٢٧هـ) ومن المعلوم أنّ هذا العصر وما قبله عصر إزدهار الفلسفة اليونانية، فقد قام المسلمون وغيرهم بترجمة تلك الفلسفة وشرحها وتحقيقها.

وقد وضع الداعي كتابه هذا على غرار ما أُثر من الفلسفة، وأدخل فيه شيئاً ممّا لا يمت إلى المذهب بصلة، فإنّ أكثر مباحثه مسائل فلسفية بحتة، أو طبيعية، لا ارتباط لها بصميم المذهب. و يتجلّى ذلك بوضوح حينما يقوم الداعي الكرماني في ترسيم عوالم الخلقة.

إنّ الكتاب لا ينقسم إلى أبواب أو مقالات، ولا تشتمل أبوابه أو مقالاته على فصول على نحو ماجرت به العادة في تقسيم الكتب، و إنّما ينقسم إلى أسوار،

---

١. كنز الولد: ٧، قسم المقدمة.

ويندرج تحت كلّ سور عدّة مشارع، هي من السور بمنزلة الأجزاء من البلد الذي يحيط به السور.

فكان مثل «راحة العقل» كمثل المدينة،و السور بمنزلة الأبواب، والمشارع بمنزلة الفصول، ولكن عدد الأسوار التي يشتمل عليها الكتاب سبعة، يدخل في نطاق كلّ منها سبعة مشارع، فتكون عدد المشارع تسعة وأربعين مشرعاً.

ولكنّ تتمة لما ينطوي عليه منهجه في تقسيم الكتاب من معاني التأويل والمتقابلات قد زاد على هذه المشارع (التسعة والأربعين) سبعة مشارع أُخرى.

وإنّما كانت الأسوار سبعة مقابلة بينها وبين السيارات السبع، وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر.

يقول الداعي: فجعلنا أسواره سبعة بإزاء السيارات منها المؤثرة في المواليد الجسمانية القائمة في الدين تأويلاً، حيال بيوت أنوار الله أصحاب الأدوار السبعة المؤثّرين في المواليد النفسانية. وجعلنا مشارع أسواره تسعة وأربعين مشرعاً، بإزاء محيط الأفلاك صغاراً وكباراً المحركة لما دونها من الأجسام. [1]

وقد طبع لأوّل مرّة بالقاهرة بتحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمي، ونشرته دار الفكر العربي بالقاهرة عام ١٣٧١ هـ وأُعيد طبعه ثانياً بتحقيق مصطفى غالب الذي هو من كتّاب الإسماعيلية نشره عام ١٩٦٧م.

٢. «تاج العقائد ومعدن الفوائد»، تأليف الداعي الإسماعيلي اليمني المطلق، علي بن محمد الوليد (٥٢٢ــ٦١٢هـ) حقّقه عارف تامر، ونشرته دار المشرق ببروت، وهذا الكتاب أسهل فهماً وأحسن تعبيراً في بيان عقائد الإسماعيلية.

---

١. راحة العقل: ٢٥، ولاحظ المقدمة: ١٠.

و نحن نعتمد على هذين الكتابين ـ مع البون الشاسع بينهما ـ في بيان الفوارق الموجودة بينهم وبين سائر الفرق، دون أن نذكر المشتركات، فانّ دراسة الجميع تؤدي إلى أن يطول بنا الكلام، والهدف تسليط الضوء على عقائدهم عن كثب، وربّما نعتمد على غير هذين الكتابين عند اقتضاء الحال.

١
عقيدتهم في التوحيد

١ . عقيدتهم في توحيده سبحانه، أنّه واحد لا مثل له ولا ضد:

يقول الكرماني في المشرع الخامس: إنّه تعالى لا ضد له ولا مثل [١]، ثمّ يستدل عليه.

ويقول علي بن محمد الوليد (الداعي الإسماعيلي اليمني): إنّه تعالى واحد لا من عدد، ولا يُعتقد فيه كثرة، أو إزدواج أشكال المخلوقات، واختلاف البسائط والمركبات [٢] ثمّ يستدل عليه.

و يقول أحد الدعاة الإسماعيلية في قصيدة له في العقائد:

الحمد لله القديم الأزلي ... المبدع العالي معلّ العلل
باري البرايا الدائم الفرد الصمد ... والجاعل الواحد أصلاً للعدد [٣]

---

١ . راحة العقل: ٤٧.

٢ . علي بن محمد الوليد: تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٢١.

٣ . القصيدة الشافية: ١.

٢. انه سبحانه ليس أيسا:

إنّ الأيس بمعنى الوجود، ولعلّ أوّل من استعمله هو الفيلسوف الكندي، وقد اشتهر في الفلسفة الإسلاميّة أنّ الممكن من ذاته أن يكون ليس، ومن علّته أن يكون أيس، وإن كانت هذه الكلمة في التعبير عن مكانة الممكن تعبيراً غير دقيق، لأنّ معناه، أنّ الممكن من ذاته يقتضي العدمَ، وهذه علامة الممتنع لا الممكن، فالممكن لا يقتضي من صميم ذاته أحدَ الشيئين، الأيس والليس.

وعلى كلّ تقدير فهؤلاء يستنكرون وصفه سبحانه بالأيس، المرادف للوجود.

وقد استدل عليه الداعي الكرماني بوجه مبسّط نأخذ منه ماله صلة بصميم الموضوع، وحاصل ما ذكره يرجع إلى أمرين:

الأوّل: لمّا كان الأيس ـ في كونه أيساً ـ محتاجاً إلى ما يستند إليه في الوجود، وكان هو ـ عزّ كبرياؤه ـ متعالياً عن الحاجة فيما هوهو إلى غير، به يتعلق، مابه هوهو، كان من ذلك الحكم، بأنّه تعالى خارج عن أن يكون أيساً، لتعلّق كون الأيس أيساً بالذي يتأوّل عليه الذي جعله أيساً، واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيساً، ولا هو يحتاج فيما هوهو إلى غير به هوهو، فيستند إليه، تكبّر عن ذلك وتعزّز وتعالى علوّاً كبيراً.

فإذا كان هو عزّ وعلا غير محتاج فيما هوهو إلى غير، به يتعلّق ، ما به هوهو، فمحال كونه أيسا.

وحاصل هذا الوجه مع تعقيده في التعبير، يرجع إلى أمر واضح، وهو أنّه لوكان موصوفاً بالوجود، فبما أنّ الصفة غير الموصوف، يحتاج في وصفه به إلى الغير، وهو تعالى غني عمّا سواه.

ولو كان ما جاء به الكرماني مذهباً للإسماعيليّة فهو يُعرب عن عدم نضوج الفلسفة اليونانية في أوساطهم، فهؤلاء يتصوّرون أنّ الوجود أمر عارض على

الواجب، فيبحثون عن مسبب العروض، مع أنّه إذا كان ماهيته انيّته، وكان تقدّست أسماؤه عين الوجود، فالاستدلال ساقط من رأسه، والمسألة مطروحة في الفلسفة الإسلامية على وجه مبسط، وفي ذلك الصدد يقول الحكيم السبزواري:

والحقّ ماهيّته إنيّته إذ مقتضى العروض معلوليّته

فمن أراد التفصيل فليرجع إلى المصدرين في الهامش.[1]

الثاني: أنّ الله تعالى إن كان أيساً، فلا يخلو أن يكون إمّا جوهراً، وإمّا عرضاً.

فإن كان جوهراً، فلا يخلو أن يكون إمّا جسماً أو لا جسماً (المجرد).

فإن كان جسماً، فانقسام ذاته إلى ما به وجودها، يقتضي وجود ما يتقدم عليه بكون كلّ متكثر مسبوقاً متأوّلاً عليه، وهو يتعالى بسبحانيّته عن أن يتأوّل عليه غيره.

وإن كان لا جسماً، فلا يخلو أن يكون إمّا قائماً بالقوة مثل الأنفس، أو قائماً بالفعل مثل العقول.

فإن كان قائماً بالقوّة، فحاجته إلى ما به يخرج إلى الفعل تقتضي ما يتقدّم عليه، وهو يتعالى عن ذلك.

وإن كان قائماً بالفعل، فلا يخلو من أن يكون إمّا فاعلاً في ذاته من غير حاجة إلى غيرٍ به يتم فعله، أو فاعلاً في غيرٍ به يتم فعله.

فإن كان فاعلاً في غير به يتم فعله، فلنقصانه في فعله وحاجته إلى ما يتم به فعله، تقتضي ما يتأوّل عليه، وهو يتعالى عن ذلك.

وإن كان فاعلاً في ذاته، من غير حاجة إلى غيرٍ به يتم فعله، فلاستيعاب ذاته النسب المختلفة بكثرة المعاني المتغايرة، بكونه في ذاته فاعلاً ومفعولاً بذاته،

---

١. راجع الأسفار لصدر المتألهين: ١/ ٩٦، باب في أنّ الحق تعالى إنيّة صرفة؛ وشرح المنظومة للحكيم السبزواري: ٢/ ٩٦.

يقتضي ما عنه وجوده الذي لا تكون فيه كثرة ولا قلّة بهذه النسب، وهو يتعالى عن ذلك.

وإن كان عَرَضاً، وكان وجودُ العرض مستنداً إلى وجود ما يتقدم عليه من الجوهر، الذي به وجوده، وهو يتعالى ويتكبر عن أن تتعلّق هويته بما يتأوّل عليه، بطل أن يكون عرضاً.[١]

وحاصل هذا الوجه أنّ كونه سبحانه موصوفاً بالأيس، لا يخلو من صور أربع:

أ: أن يكون جوهراً جسمانياً.

ب: أن يكون عرضاً.

ج: أن يكون جوهراً مجرداً، قائماً بالقوّة، مثل الأنفس.

د: أن يكون جوهراً مجرداً قائماً بالفعل، مثل العقول.

الصورة الأُولى: تستلزم أن يكون مؤلّفاً من أجزاء، والأجزاء متقدّمة على الكُلّ، فيكون محتاجاً إلى غيره.

و مثلها الصورة الثانية: لحاجة العرض إلى وجود موضوع متقدم عليه.

ومثلها الثالثة: لأنّه إذا كان قائماً بالقوّة، فيحتاج إلى من يخرجه إلى الفعل، وأن يكون المخرج متقدّماً عليه، وهو سبحانه غني.

وأمّا الصورة الرابعة: فقد فصّل فيها الكلام ولها شقان:

الأوّل: أن يكون فاعلاً في ذاته، من غير حاجة إلى غير به يتم فعله، فهذا يستلزم اجتماع النسب المختلفة في ذاته.

الثاني: أن يكون فاعلاً في غيرٍ به يتم فعله، فهو يستلزم حاجته إلى ما يتمُّ به فعله، وهو غني على الإطلاق.

---

١. راحة العقل: ٣٩ـ٤٠.

والاستدلال مبني على أنّه صوّر للواجب ماهيّـة بين كونها جوهراً أو عرضاً، والجوهر جسماني أو نفساني، أوعقلائي، والفروض كلّها بـاطلة، لأنّ القائل بكونه وجوداً، وأيسا، يقول: هو والوجود متساويان؛ الواجب = الوجود.

ولا يذهب عليك أنّ الفـرض الرابع، وهو كـونه موجوداً بـالفعل مردداً بين كونه فاعلاً في ذاته، أو فاعلاً في غير، لا يخلو عن تعقيد وغموض.

ثمّ إنّ الداعي ذكرَ وجهاً ثالثاً لعدم كونه سبحانه أيساً، ليس له قيمة تذكر، فمن أراد فليرجع إليه.[1]

٣. في نفي التسمية عنه:

يقول الداعي الإسماعيلي علي بن محمد الوليد: إنّ وضع التسمية عليه محال، إذ كانت التسمية إنّما جعلت وسماً يوسم بها المخلـوقات، ليكون الخلق بها فصولاً فصولاً، يتميّز بها كـلّ صورة عن الصورة الأُخرى، حتى ينحفـظ كلّ صنف منها، ويمكن للعقل الحكاية عنها إذا دعت الحاجة إليهـا، فيكون بذلك ظهور أشكال العالم في أيّ تسمية وسم بها، وهـو متعال، ليس له صورة نفسـانية،ولا عقلية،ولا طبيعيّة،ولا صناعيّة، بل يتعالى بعظيم شأنه، وقـوّة سلطانه عن أن يوسم بما يوسم به أسباب خلقته، وفنون بريته ،و قد اتفقت فحول العلماء على أنّه تعالى لم يزل ولا شيء معه، لا جوهراً ولا عرضاً.[2]

ولا يذهب عليك، أنّ عنوان البحث غير منطبق على مـا جاء فيه، فلوكان العنوان مـن جانب المؤلّـف، وإلاّ فـالعنوان يهدف إلى شيء، ومـا ورد فيه إلى شيء آخر، فإنّ تسميـة الله سبحانه أمـر اتّفق عليه كافّـة أهل التوحيد، ومـراده هو نفي

---

١. راحة العقل: ٤٠.

٢. علي بن محمد الوليد: تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٢٦.

الماهيّة، كالجوهرية والعرضية.

كما أنّ مراده في بحث آخر في الكتاب، تحت عنوان «في نفي الحدّ عنه» هو نفي كونه متناهياً.

٤ . نفي الصفات عنه:

إنّ نفي الصفات عنه سبحانه، مما اشتهر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه، وعنه أخذت المعتزلة، قال عليه السلام : «أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عده، ومن قال: «فيم» فقد ضمّنه، ومن قال: «عَلامَ؟» فقد أخلى منه». [1]

وقد ذهبت الإماميّة، وقسم من المعتزلة، تبعاً للأدلة العقليّة، التي أشار إليها الإمام في كلامه، بأنّ المرادَ نفي الصفات الزائدة عليه، لا نفي الصفات على الإطلاق، فالله سبحانه علمٌ كلّه، قدرة كلّه، حياة كلّه، وهكذا، لا أنّه شيء، وعلمه شيء آخر؛ خلافاً للأشاعرة، فقد ذهبوا إلى زيادة الصفات على الذات مع كونها قديمة، فأورد عليهم باستلزامه القول بالقدماء الثمانية.

ولكن الإسماعيليّة ذهبت إلى نفي الصفات عنه على الإطلاق، واكتفت في مقام معرفته سبحانه بالقول بهويته وذاته دون وصفه بصفات، حتى الصفات الجماليّة والكماليّة، ولهذا نرى أنّ الداعي الكرماني يعترض على المعتزلة الذين قالوا

---

١ . نهج البلاغة: الخطبة الأُولى.

بنفي الصفات قائلاً:

إنّ المتأمّل المنصف، إذا فحص عن ذلك بفكره، علم أنّ كلاً من المخالفين قد زيّن مذهبه، بأن عمد في توحيده لمعبوده ما عمدناه، وقصد ما قصدناه، في استعمال حرف (لا) في نفي[1] ما يستحق الغير عن الله تعالى، خاصّة المعتزلة الذين صدّروا كتبهم، وزيّنوها بقولهم في أُصول مذهبهم: بأنّ الله تعالى لا يوصف بصفات المخلوقين...و هذا من قولهم، هو أصل مذهبنا، وعليه قاعدة دعوتنا، بأنّنا لا نقول على الله تعالى، ما يقال على المخلوقين، وهو المعتمد في توحيد معبودنا، والمقصود في أنحاء كلامنا، لكن المعتزلة قالوا بأفواههم قول الموحدين، واعتقدوا بأفئدتهم اعتقاد الملحدين، بنقضهم قولهم أوّلاً بأنّ الله لا يوصف بصفات المخلوقين، بإطلاقهم على الله سبحانه وتعالى ما يستحقه غير الله تعالى، من الصفات من القول بأنّه حيٌّ قادرٌ عالمٌ وسائر الصفات، نعوذ بالله.[2]

ويقول علي بن محمد الوليد: إنّ نفي الصفات عنه معتقد صحيح، لا يسوغ تركه، لأنّ الصفات تلحق الجوهر، إمّا في الأجسام وإمّا في النفوس، ويكون في الأجسام كيفيات من خارجها، كالأقدار، والألوان، وما يجري مجراها، وفي النفوس كيفيات من داخلها، كالعلم، والجهل، ومايجري هذا المجرى، وهو يتعالى عن أن يكون له داخل أو خارج.

و ممّا تقرر عند كل ذي عقل أنّ الصفات تلحق الموصوف من غيره، لا من ذاته، ألا ترى أنّ صفات الأجسام التي هي لها، تأتي من خارجها كالأقدار والألوان، وما يجري مجراها، وفي النفوس كيفيات من داخلها، كالعلم، والجهل ومايجري هذا المجرى، وهو يتعالى أن يكون له داخلاً أو خارجاً، ومما تقرر عند كلّ ذي عقل أنّ الصفات تلحق الموصوف من غيره لا من ذاته.[3]

---

١. وفي المصدر (النفي)؛ راحة العقل:٥٢.

٢. راحة العقل:٥٢ـ٥٣.

٣. علي بن محمد الوليد: تاج العقائد و معدن الفوائد:٢٧.

٥. الصّادر الأوّل هو الموصوف بالصفات العليا:

لمّا ذهبت الإسماعيليّة إلى نفي الصفات عنه سبحانه، مع أنّ الكتاب والسنّة مليئان بها، لم يكن لهم بُد من إرجاع تلك الصفات إلى المبدع الأوّل، الذي هو الموجود الأوّل، وإليه تنتهي الموجودات، وهو الصادر عنه سبحانه بالإبداع، لا بالفيض والإشراق، كما عليه إخوان الصفا. [١]

قال الداعي علي بن محمد الوليد: إنّ الباري تعالى وتقدّس لمّا تعاظم عن أن يُنال بصفة توجد في الموجودات، لقصور الموجودات عن وصفه بما تستحقه الإلهيّة، جعل موجوداً أوّلاً تتعلّق الصفات به، عطفاً ورحمةً ومنّة على عقول عباده أن تهلك وتضل، إذا لم تستند إلى ما تقف عنده، فتوقع الصفات عليه، فجعل للعالم مبدأ مبدعاً، وهو الأوّل في الوجود من مراتب الموجودات، وكان المبدع حق لوجوده عن المتعالى سبحانه، غاية تنتهي إليها الموجودات.

ثمّ إنّه أفاض الكلام في صفاته، وعرّفه بكونه: موجوداً حقاً واحداً، تامّاً، باقياً، عاقلاً، عالماً، قادراً، حيّاً، فاعلاً.

ثمّ قال: الحياة ذات جامعة لهذه الأُمور وبها هي فاعلة. [٢]

وقال الداعي الكرماني في هذا الصدد:

«فالإبداع هو الحقّ والحقيقة، وهو الموجود الأوّل، وهو الموجود الأوّل، وهو الوحدة، وهو الواحد، وهو الأزل، وهو الأزلي، وهو العقل الأوّل، وهو المعقول الأوّل، وهو العلم، وهو العالم الأوّل، وهو القدرة، وهو القادر الأوّل، وهو الحياة، وهو الحيّ الأوّل، ذات واحدة، تلحقها هذه الصفات، يستحق بعضها لذاته، وبعضها بإضافةٍ إلى غيره، من غير أن تكون هناك كثرة بالذات.

---

١. رسائل اخوان الصفا: ٣/ ١٨٩، طبعة بيروت.

٢. علي بن محمد الوليد: تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٤٠ـ٤١.

إلى أن قال: وهذه الأُمور وجودها له ضروري، لكونه أوّلاً في الوجود الواجب، احتوائه على أشرف الكمالات وأشرف الموجودات.

إلى أن يقول: وجوهر هذا الإبداع جوهر الحياة، وعينه عين الحياة، والحياة متقدمة على سائر هذه الصفات، ولذلك قدَّم الله تعالى عند وصفه سمة الحياة في قوله تعالى: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[1] فهو متوحّد من جهة كونه إبداعاً وشيئاً واحداً، ومتكثّر من جهة الموجود فيه من الصفات، على ما بيّناه.[2]

أقول: إنّ المبدَع الأوّل حسب ما يذكرونه هو الإله الثاني، غير أنّه يفارقه بأنّه المبدَع بإبداعه سبحانه، وبذلك يفترق عن إله العالمين.

وأعجب منه أنّ الكرماني يصفه بأنّه أزليّ، ولعلَّ المراد أنّه قديم زماناً وحادثاً ذاتاً.

على أنّ هذا الكلام باطلٌ من أصله، وذلك: لإمكان وصفه سبحانه بالأوصاف الجماليّة، والكماليّة، من دون أن يطرأ على ذاته وصمة النقص، وذلك بحذف المبادئ، والأخذ بالغايات، فهو سبحانه علم، لا بما أنّه كيف، بل بما هو وجود بحت، وأنّ الوصف ربّما يكون له من الكمال على حدٍّ يكون قائماً بذاته لا طارئاً على الذات، وما يلاحظ من المباينة بين الوصف والموصوف، فإنّما هو من خصوصيات المورد أيْ الممكنات، ولا يجب أن يكون كلّ وصف كذلك.

---

١. البقرة: ٢٥٥.

٢. راحة العقل: ٨٣، طبعة القاهرة.

٢
عقيدتهم في العدل

قد تعرّفت في البحث السابق على أنّهم لا يصفونه سبحانه بوصف، ويعتقدون أنّه فوق الوصف، وأنّ غاية التوحيد نفي الوصف، وإثبات الهوية، ولهذا لا تجد عنواناً لهذا الفصل في كتبهم حسب ما وصل بأيدينا، ولكن يمكن استكشاف عقيدتهم في عدله سبحانه من خلال دراستهم لفعل الإنسان، وهل هو إنسان مسيّر أو مخيّر؟

١. الإنسان مخيّر لا مسيّر

يقول الداعي علي بن محمد الوليد: الإنسان مجبور في حال تركيبه، ورزقه، ومدّته، وحركات طبائعه، والكيان بنشوئه، ومايحدث عليه مقهور عليه مغيّب عن إدراكه وعيانه، ليكون مفتقراً بالدعاء والتضرّع إلى خالقه، إذ لو كشف له لفسد حاله.و مخيّر غير مجبور فيما يعتقد لنفسه، من علومه، وصناعته، ومذاهبه، و معتقداته.

إلى أن قال: ولولا ذلك لما كانت لها منفعة بإرسال الرسل، وقبول العلم، وتلقي الفوائد والانصياع لأوامر الله تعالى، إذ لو كانت مجبورة لاستغنت عن كلّ شيء تستفيده.

ثمّ استدلّ بآيات منها قوله تعالى: ﴿وَ أَنْ لَيْسَ لِلإِنْسانِ إِلاّ ما سَعىٰ* وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرىٰ﴾ [1] إلى غير ذلك من الآيات. [2]

---

١. النجم: ٣٩ـ٤٠.
٢. تاج العقائد: ١٦٦ـ١٦٨.

٢. القضاء والقدر لا يسلبان الاختيار

إنّ القضاء والقدر من العقائد الإسلاميّة التي لا محيص لمسلم عن الاعتقاد بهما، غير أنّ البحث فيهما ينصّب على نكتة مهمة وهي هل أنّهما يسلبان الاختيار أو لا؟

فالظاهر من أهل السنّة، إلاّ مَنْ شذَّ، تفسيرهما على وجه يسلبان الاختيار، على خلاف ما ذهبت إليه العدليّة.

والإسماعيليّة تُثبت القضاء والقدر حقيقةً لا مجازاً، ولكنها تُنفي كونهما سالبين للاختيار.

يقول الداعي علي بن محمد الوليد: القضاء والقدر حقيقة لا مجاز، ولهما في الخلق أحوال على ما رتب الفاعل سبحانه، من غير جبر يلزم النفوس الآدمية الدخول إلى النار أو الجنة.

إلى أن قال: إذ لو كان كذلك لذهبت النبوات والأوامر المسطورات في الكتب المنزّلة، في ذم قوم على ما اقترفوه، ومدح قوم على ما فعلوه.

ثمّ إنّه فسّر القضاء بمعنى الفراغ، والأمر، والخبر، والفعل، والوصيّة، وأرجع الجميع إلى معنى الفراغ.

وأمّا القدر: فقد فسّره بأنّه من المقدار، والتقدير، والترتيب، ثمّ جعل له تفاسير ثمانية، ومن أراد فليرجع إليه.[١]

وقد نقل في آخر الفصل رسالة الحسن البصري إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسأله عن القضاء والقدر، كما نقل جواب الإمام إليه، وقد جاءت هذه الرسالة أيضاً في كتاب «تحف العقول» للحلبي الحراني مع اختلاف يسير.

---

١. تاج العقائد: ١٧٩.

٣

عقيدتهم في النبوة

١ . النبوّة أعلى درجات البشر

النبوّة :عبارة عن ارتقاء النفس إلى مرتبة تصلح لأن يتحمل الوحي.

يقول الداعي علي بن محمد الوليد: إنّ الرسول الحائز لرتبة الرسالة، لا ينبغي أن يكون كمالاً يفوق كماله ولا علماً يخرج عن علمه، وأنّه الذي به تكون سعادة أهل الدور من أوّله إلى آخره، وأنّ السعادة الفلكيّة، والأشخاص العاليّة، والمؤثرات، خدم له في زمانه.

والوجود مكشوف له، وبين يديه، فنظره ثاقب، وإحاطته كلّية، وحدود أوضاعه مبرّأة من النقص، وجميع ما يأتي به محرر، لا يحتاج إلى زيادة، وأقواله لا تردّ، ولا يوجد فيما ينطق به خلل، وجوهره المقدّس نهاية في الشرف، وأنّ القوة الملكية عليه أغلب وحواسه خادمة لنفسه، وعقله لا ينظر إلاّ إلى أوامر الله تعالى خالقه، وأنّه في نهاية من المنازل من مولودات العالم في حسنه. [١]

٢ . الرسالة الخاصة والعامة

إنّ الرسالة على ضربين: خاصّة، وعامّة.

١ . تاج العقائد: ٥٧ـ ٥٨.

فالرسالة العامّة شاملة طبعاً، وعقلاً، ولولا الرسالة الأُولى العامّة، لن تُقبل الرسالة الخاصّة، وذلك لأنّه تعالى خلق الصورة الآدميّة، وأكمل منافعها، وسوّاها على أحسنِ هيئة، ووضع فيها العقل الغريزي، الذي إليه ترجع أحوال الصورة لنيل منافعها، فهو الرسول الأوّل المُعدُّ لقبول أمر الرسول الثاني، الخاص لمنافع النفس في الآخرة، مثلما كان الأوّل لمنافع الدنيا، وعلى الأوّل يعول في الاغتذاء، وطلب المصالح بغير ثواب ولا عقاب، إذ هو أمرٌ بديهي لمنافع الصورة، وعلى الثاني يكون الحساب والعقاب، إذ هو أمرٌ ربّانيّ، يدعو إلى دار غير دار الطبيعة.

إلى أن قال:

فإذا أظهر الرسول الرسالة، كانت الفضيلة على المستضيء المنتفع بها، وذلك القادح هو الرسول ﷺ إلى الخلق وحجّته على أهل زمانه، وهو لسانه فيهم، وترجمانه في العالم السفلي بأسره، والمتبحّر أبداً في الحكمة.[1]

أقول: إنّ تسمية العقل الإنسانيّ بالرسول لا يخلو من شيء، والأولى تسميته بالحُجّة الباطنة، في مقابل الحجّة الظاهرة، الذي هو النبي.

٣. الوحي

إنّ الوحي: إلهام خاص بالأنبياء والمرسلين ،إذا كانت لغاية التشريع، وتبيين الوظائف لمن بعثوا إليهم، وله طرق ثلاثة، جاء في الذكر الحكيم، قال سبحانه:

﴿وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.[2]

---

١. تاج العقائد: ٤٨ـ٥٠.

٢. الشورى: ٥١.

وأمّا الوحي عند الإسماعيليّة، فيقول الداعي علي بن محمد الوليد: إنّ الوحي: هو ما قبلته نفس الرسول من العقل، وقبله العقل من أمر باريه، ولم يخالفه علم تألفه النفس الناطقة، بقواها، ثمّ تتأمّل منه النفس ما ليس لها استنباطاً بذاتها، ولا تستخرجه بفكرها، وتكون فيه غاية لسداد قصدها، ومصلحة لجميع أمرها.

إلى أن قال: والفرق بين الوحي وغيره من سائر العلوم، أنّ الوحيَ يرد على من يوحىٰ إليه مفروغاً منه، قد استغنى عن الزيادة فيه والنقصان منه، كما يقع الصحيح للمستمع من المتكلم، وصفه ومعناه خارجين عن قدرة من جاء به، وليس كذلك العلوم، لأنّها تكون بالمقايسة، وكثرة الذّوبِ فيها، وإعمال الفكر والرّويّة والتأليف والتحرير. (١)

ثمّ للداعي الكرماني كلام مفصّلٌ في الوحي لا يخلو من تعقيد. أعرضنا عن نقله. (٢)

٤. في أنّ الأنبياء لا يولدون من سِفاح

يقول علي بن محمد الوليد: إنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام لا يلدهم الكفّار، ولا يولدون من سِفاح، ثمّ استدلّ ببعض الآيات، وما جاء في التاريخ في حقّ عبد المطلب وأبي طالب. (٣)

٥. في صفات الأنبياء

يقول الداعي الكرماني: المؤيد المبعوث مجمع الفضائل الطبيعيّة، التي هي

---

١. تاج العقائد: ٤٧ـ ٤٨.

٢. راجع راحة العقل: ٤٠٩ـ ٤١٠.

٣. تاج العقائد: ٥١.

أسبابٌ في نيل السعادة الأبديّة، وهو فيها على أمر يكون به على النهاية في جميعها، من جودة الفهم والتصوّر لما يشار إليه ويومأ، ومن جَودة الحفظ لما يراه الخاطر والعين على تباينه، ويدركه السمع من الصوت على اختلافه، ومن جودة الفِطنة والذكاء والتوقّد فيها، ومن جودة الذكر، ومن جودة الأعضاء وسلامتها، والقدرة على التأنّي بمعاناة أُمور الحرب ومباشرتها والصبر عليها، ومن جودة الفطرة والطبع، ومن جودة النحيزة (الخير) في السلامة والانقياد لكلّ خير، فيكون خالياً من الرذائل، التي هي الشره والطمع والرغبة في المأكول والمشروب والمنكوح زيادة على الحاجة، واللعب واللهو، وعاطلاً في الجملة، من الأُمور التي تعوق على النفس سعادتها.

ويكون عظيم النفس كريماً، محبّاً للعدل، مبغضاً للظلم والجور، مؤثراً لما يعود على النفس منفعته من العبادة، مقداماً في الأُمور، جسوراً عليها، لا يروعه أمر في جنب ما يراه صواباً بجوهره. (١)

٦. الرسول الناطق

الرسول الناطق، هو الأصل الذي يصدر عنه الدين بما فيه من علم وعمل، وبمن فيه من أئمة يدعون إلى التحقّق بكمال العلم عن طريق العبادة الظاهرة. (٢)

وفي الحقيقة، الرسولُ الناطق عندهم، عبارة عن أُولي العزم من الرُّسل، غير أنّهم يعدون آدم منهم، والمشهور عند سائر المسلمين أنّه ليس منهم، ويضيفون إليهم محمد بن إسماعيل باسم القائم؛ وإليك أسماءهم: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، القائم.

---

١. راحة العقل: ٤٢١ـ ٤٢٢.

٢. مصطفى غالب: في مقدمة كتاب الينابيع: ١٧.

وكلّ واحد منهم رسول ناطق، يتقدّمه إمام مقيم ويتلوه الأئمة الأساس ـ المتم ـ المستقر ـ المستودع ـ وهم يتعاملون مع القائم الذي يبتدأ به الدور، أعني: محمد بن إسماعيل، معاملة الرسول الناطق، ولا يشترط أن يكون في كلّ دور إمامٌ مستودعٌ، فإنّه إنّما يتسلّم شؤون الإمامة في الظروف الاستثنائية، وكأنّه ينوب عن الإمام المستقر كما سيتضح معنى ذلك.

ولا يخفى أنّ في صميم العقائد الإسماعيليّة تناقضاً وتعارضاً، فمن جانب نراهم يصرّحون بخاتميّة النبوة والرسالة، وأنّ القرآن حجّة خالدةً إلى يوم القيامة، وأنّه لا ينسخ القرآن إلاّ بالقرآن. [1]

ومع ذلك فمحمد بن إسماعيل، المعبّر عنه بالقائم عندهم من النطقاء [2]، ولأجل إيضاح ذلك سوف نبحث عن عقيدتهم في الإمامة إن شاء الله.

٧. في المعجزات التي يأتي بها الرسل

قال علي بن محمد الوليد: إنّ المعجزات التي ترد وقت إظهار الشرائع من الرسول حقيقية، وإنّها على ثلاثة أقسام:

الأوّل: خرق العادة في تكوين العالم بظهور ما يعجز العقل عن وجوده من الأمور الطبيعية، من ردّ ما في الطبيعة عن قانونه المعهود لقهر العقول، ودخولها تحت أمر المعقولات، ومن أجله يعلم أنّه متصل بالفاعل، الذي لا يتعذّر عليه متى أراد، إذ كلّما في العالم لا يتحرك إلاّ بمادته وتدبيره.

الثاني: ما يأتي به الشخص المبعوث من النطق المنسوب إلى من أظهر له المعجزات، وأعجز كافّة أهل الدور عن الإتيان بمثله.

---

١. تاج العقائد: ٩٨.

٢. وقد مرّ كلامهم في ذلك ص ٩٢. وما علقنا عليه فلاحظ.

الثالث: جميع الفضائل الموجودة في أشخاص العالم فيه حتى لا يوجد فوق كماله كمال في وقته.[١]

أقول: إنّ القسم الثاني الذي يريد به القرآن الكريم داخل تحت القسم الأوّل، فلا وجه لعدّه قسماً ثانياً.

والقسم الثالث: كمالات النبي، ولا تعدّ معجزة.

٨. في أنّ الرسول الخاتم أفضل الرّسل

يُفضَّلُ رسول الله على سائر الرسل والأنبياء من وجوه، أفضلها الوجوه التالية:

أ: هو أنّه سبحانه جعل شريعته مؤيّدة لا تُنسخ أبداً، وجعل الإمامة في ذريّته إلى قيام السّاعة، ولم يُقدَّر ذلك لغيره.

ب: انّ الله عزّوجلّ أعطاه الشفاعة في الخلق. ولم يعطها إلى نبي قبله.

ج: انّ الأنبياء قبله بطلت معجزاتهم من بعدهم، ومعجزة محمّد ﷺ وهي: «القرآن» ثابتة مؤيّدة لا تفنى أبداً إلى حين زوال أحكام الدنيا.[٢]

٩. في أنّ الشريعة موافقة للحكمة

إنّ الحكمة والفلسفة العقليّة، هي والحكمة الشرعيّة سواء، لأنّ الله سبحانه خلق في عباده حكماء، وعقلاء، ومحال أن يشرع لهم شرعاً غير محكم وغير معقول، ولا يبعث برسالته وشرعه إلّا حكيماً عاقلاً مدركاً مبيّناً لِما تحتاجه العقول، ويكلّف لها بما يسعدها ويقوّي نورها ويعظّم خطرها.[٣]

---

١. تاج العقائد: ٩٧.

٢. تاج العقائد: ٥٩ ـ ٦٠.

٣. المصدر نفسه: ١٠١.

١٠ . في أنّ الشريعة لها ظاهر وباطن

يقول علي بن محمد الوليد: إنّ الشارع قد وضع أحكام شريعته وعباداتها من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحجّ وغير ذلك، مضمنة للأُمور العقليّة والأحكام والمعاني الإلهيّة، وما يتخصص منها من الأُمور الظاهرة المشاكلة لظاهر الجسم، والأُمور الباطنة المشاكلة للعقل، والنفس، وكلّ من حقق ذلك كانت معتقداته سالمة. [١]

أقول: هذا المقام هو المزلقة الكبرى للإسماعيلية المؤوّلة ، إذ كلُّ إمام وداعٍ، يسرح بخياله فيضع لكل ظاهر باطناً ولكلّ واجب حقيقةً، يسمي أحدهما بالشريعة الظاهرية والآخر بالباطنية من دون أن يدلّ عليه بدليل من عقل أو نقل، فكلُّ ما يذكرونه من البواطن للشريعة ذوقيات، أشبه بذوقيات العرفاء في تأويل الأسماء والصفات وغير ذلك، وكأنّ الجميع فروع من شجرة واحدة. وستوافيك نظرية المثل والممثول في فصل خاص، وتقف على تأويلاتهم.

---

١. تاج العقائد: ١٠١.

٤

عقيدتهم في الإمامة

تحتل الإمامة عند الإسماعيلية مركزاً مرموقاً حيث جعلوها على درجات ومقامات وزودوا الأئمة بصلاحيات واختصاصات، ولتسليط الضوء على عقيدتهم فيها نبحث في مقامين:

المقام الأوّل: الإمامة المطلقة

إنّ درجات الأئمّة ورتبهم لا تتجاوز عن الخمسة من دون أن تختص بالشريعة الإسلامية، بل تعم الشرائع السماوية كلّها، وبما أنّ مذهب الإسماعيلية أُحيط بهالة من الغموض عبر القرون لم يكن من الممكن أن يقف أحداً عليها إلّا طبقة خاصة من علمائهم، وكانوا يبخلون بآرائهم وكتبهم على الغير، غير أنّ الأحوال الحاضرة رفعت الستر عن كتبهم ومنشوراتهم، فقام المستشرقون وفي مقدّمتهم «ايفانوف» الروسي وتبعه عدد آخر من المحقّقين بنشر آثارهم، وعند ذلك تجلّت الحقيقة بوجهها الناصع، كما قام الكاتبان الإسماعيليان عارف تامر ومصطفى غالب ببذل الجهود الحثيثة في نشر آثار تلك الطائفة، فكشفا النقاب عن وجه العقيدة الإسماعيلية وبيّناها بوجه واضح خالياً من الغموض والتعقيد الموجودين في عامة كتب الإسماعيلية وإن كان بين الكاتبين اختلاف في بعض

الموارد، ونحن نعتمـد في تفسير درجات الإمامـة على كتاب «الإمامـة في الإسلام» للكاتب عارف تامر، وإليك بيانه:

درجات الإمامة خمس وهي:

١. الإمام المقيم.

٢. الإمام الأساس.

٣. الإمام المتم.

٤. الإمام المستقر.

٥. الإمام المستودع.

و ربما يضاف إليها رتبتان الإمام القائم بالقوة، و الإمام القائم بالفعل.

فالمهم هو الوقوف على هذه الدرجات.

يعتقد عارف تـامر في كتابه «الإمـامة في الإسلام» انّ هذه الـدرجات ظلّت حقبة طويلـة من الزمن مجهولـة لدى البـاحثين إلاّ طبقة خـاصة من العلماء، أو لا أقلّ في التقية والاستتار و الكتمان.

١. الإمام المقيم

هوالـذي يقيم الرسول النـاطق ويعلّمه ويربّيه ويـدرجه في مراتب رسـالة النطق، وينعـم عليـه بـالإمـدادات وأحيـانـاً يطلقـون عليـه اسم «رب الـوقـت» و«صاحب العصر»، وتعتبر هـذه الرتبة أعلى مراتب الإمـامة وأرفعها وأكثرهـا دقة وسرية.

٢. الإمام الأساس

هو الـذي يرافق النـاطق في كافة مـراحل حياتـه، ويكون ساعـده الأيمن،

وأمين سره، والقائم بأعمال الرسالة الكبرى، والمنفذ للأوامر العليا، فمنه تتسلسل الأئمة المستقرون في الأدوار الزمنية، وهو المسؤول عن شؤون الدعوة الباطنية القائمة على الطبقة الخاصة ممن عرفوا «التأويل» ووصلوا إلى العلوم الإلهية العليا.

٣. الإمام المتم

هو الذي يتم أداء الرسالة في نهاية الدور، والدور كما هو معروف أصلاً يقوم به سبعة من الأئمة، فالإمام المتم يكون سابعاً ومتماً لرسالة الدور، وانّ قوته تكون معادلة لقوة الأئمّة الستة الذين سبقوه في الدور نفسه بمجموعهم. ومن جهة ثانية يطلق عليه اسم ناطق الدور أيضاً، أي انّ وجوده يشبه وجود الناطق بالنسبة للأدوار. أمّا الإمام الذي يأتي بعده فيكون قائماً بدور جديد، ومؤسساً لبنيان حديث.

٤. الإمام المستقر

هو الذي يملك صلاحية توريث الإمامة لولده، كما أنّه صاحب النص على الإمام الذي يأتي بعده، ويسمّونه أيضاً الإمام بجوهر والمتسلم شؤون الإمامة بعد الناطق مباشرة، والقائم بأعباء الإمامة أصالة.

٥. الإمام المستودع

هو الذي يتسلّم شؤون الإمامة في الظروف والأدوار الاستثنائية، وهو الذي يقوم بمهماتها نيابة عن الإمام المستقر بنفس الصلاحيات المستقرة للإمام المستقر، ومن الواضح أنّه لا يستطيع أن يورث الإمامة لأحد من ولده، كما أنّهم يطلقون عليه (نائب غيبة).[1]

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٤٣ـ١٤٤.

والعجب انّهم عندما بحثوا موضوع الإمامة لم يجعلوا تسلسلها من إسماعيل ابن جعفر الصادق فحسب، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وحجتهم انّ الإمامة إذا كانت قد بدأت من هذا العهد المبكر فتكون محدثة ولا يقوم وجودها على أساس[1]، فذهبوا إلى عهد بدء الخليقة المعروف بعهد آدم وسلسلة الإمامة من عصر آدم إلى يومنا هذا، ثمّ أضافوا إلى ذلك قولهم بالأدوار والأكوار، فقد جعلوا كل دور يتألف من إمام مقيم ورسول ناطق أو أساس له، ومن سبعة أئمة يكون سابعهم متم الدور، ويمكن أن يزيد عدد الأئمّة عن سبعة في ظروف أُخرى وفي فترات استثنائية، وهذه الزيادة تحصل في عداد الأئمّة المستودعين دون الأئمّة المستقرين، أمّا الدور فيكون عادة صغيراً وكبيراً، فالدور الصغير هو الفترة التي تقع بين كلّ ناطق وناطق يقوم فيها سبعة أئمّة. أمّا الدور الكبير فيبتدئ من عهد آدم إلى القائم المنتظر الذي يسمّى دوره الدور السابع، ويكون بالوقت ذاته متماً لعدد النطقاء الستة.

فلأجل عرض صورة عن عقائدهم في مجال تسلسل الإمامة من عصر أبينا آدم إلى يومنا هذا سوف نأتي بالجداول التي استخرجها، عارف تامر في كتاب «الإمامة» ومصطفى غالب في كتاب «تاريخ الدعوة الإسماعيلية».

يقول عارف تامر: إنّ هذا الموضوع من أدق المواضيع وأصعبها، بل هو بالحقيقة من الدعائم المتينة في عقائد الإسماعيلية، وقد يبدو لكل باحث فيها انّ دعاتها حافظوا على سريته التامة طيلة العصور الماضية وجعلوا معرفته مقتصرة على طبقة خاصة من العلماء والدعاة.[2]

و سوف توافيك تلك الجداول تحت عنوان «شجرة الإمامة الإسماعيلية» في الفصل الحادي عشر فانتظر.

---

١. ماذا يعنون من هذه الجملة، هل الإمامة أمر أزلي، أو الإمام موجود قديم مع تضافر البراهين على حدوث ما سوى الله سبحانه؟!

٢. الإمامة في الإسلام: ١٤١.

المقام الثاني: في الإمامة الخاصة

قد تعرفت على نظام الإمامة في مذهب الإسماعيلية ولكن المهم هو الوقوف على ملامح الإمامة عندهم بصورة عامة، وقد تصدّى لذكرها الداعي اليمني علي ابن محمد الوليد في كتابه «تاج العقائد» ونحن ننقل منه ما يبيّن عقيدتهم في ذلك:

١. صاحب الوصية أفضل العالم بعد النبي في الدور

إنّ صاحب الوصية هو الذي جوهره لاحق بجوهره، وكماله مشتق من كماله، وإنّ معاني أقواله ورموز شريعته وأسرار ملته وحقائق دينه توجد عنده، ولا تتعداه، ولا تؤخذ إلاّ منه، وانّه المبرهن عن أغراضه، والمفصح لأقواله، المبين لأفعاله، القائم بالهداية بعده لمن قصد المعرفة لما جاء به، والحافظ لشريعته من الآراء المختلفة، وبذلك كان وصياً، ولا يوجد في الأصحاب من يقوم مقامه، ولا يسد مسده في حفظ معاني تكليفه الذي أخذه عن باريه مع ما يوجد فيه من الطهارة، وصدق القول، وزكاة النفس، والاحتواء على العلوم، والقربة منه في الطبع، والجوهر، والسابقة، والصحبة، والأصل.[١]

٢. في أنّ الإمامة في آل بيت رسول الله ﷺ

يُعْتقد انّ الإمامة في آل بيت رسول الله ﷺ من نسل علي وفاطمة فرض من الله سبحانه أكمل به الدين فلا يتم الدين إلاّ به، ولا يصحّ الإيمان بالله والرسول إلاّ بالإيمان بالإمام وا لحجّة، ويدل على فرض الإمامة إجماع الأُمّة على أنّ الدين والشريعة لا يقومان ولا يصانان إلاّ بالإمام، وهذا حقّ لأنّه سبحانه لا يترك الخلق

---

١. تاج العقائد: ٦٥.

سدى. ولا يمنعهم هذه الفريضة التي لا تسوغ الهداية إلاّ بها.

وإنّ الرسول نص على ذلك نصاً تشهد به الأُمة كافة بقوله: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا، وأبوهما خير منهما»، ولم يحوج الأُمة إلى اختيارها في تنصيب الإمام، بل نص عليها بهذا لأنّ بالإمامة كمال الدين.

فلو أنّ الرسول تركها حتى تكون الأُمة هي التي تفعلها ويتم بها فعلوه (في) دين الله بقولهم انّ الرسول لم ينص على الوصية ولا استخلف أحداً لخرجت الإمامة عن أن تكون فرضاً على الأمة، وكان سبيلها سبيل الولاة في كلّ زمان، القائمين بأمور الناس.

إلى أن قال: وقد اعترف المخالفون انّ إمامة الثلاثة ليست بنص، لأنّهم قد جحدوا النص والوصية وفيما جرى في السقيفة من الأُصول ما يجب للعاقل أن يفكر فيه وغير معيوب على المتخلّف عن بيعتهم والخلاف لهم فيها إذ كان الحال فيما تقرّر مشهوراً غير مستور، والعودة إلى الحقائق أولى لمن يعتمد عليها إذا كان طالباً للهداية مع ترك التعصب. [1]

٣. في أنّ الإمامة وارثة النبوة والوصاية

الإمام يرث من النبوة الظواهر والأحكام وجري الأُمور على ما علمه من النظام.

ويرث من صاحب الوصاية المعاني التي ورثها عن النبوة، ليكون الكمال موجوداً لقاصده، ومسلماً في شريعته التي جعلها عصمة لمن التجأ إليها، وطهارة لمن التزم قوانينها وسار على محجّتها، فتسلم له دنياه ويفوز في عقباه بالتجائه إلى من عنده علم النجاة وحقيقة الشريعة السالمة من كلّ تغيير وتمويه مع سلامة

١. المصدر نفسه: ٦٥ـ٦٦.

توحيده لباريه.[1]

أقول: ولا يذهب عليك أنّ الإمام على هـذا أفضل من النبي كما هو أفضل من الوصي، لأنّ الإمام جامع للمنقبتين ظاهر الشريعة وباطنها، إلاّ إذا كان النبي رسولاً فهو جامع أيضاً للمنقبتين، ولا أدري من أين لهم هذه الضوابط والقواعد، وما هو الدليل على هذا التقسيم؟!

٤. في انقطاع الوصاية بعد ذهاب الوصي

يُعتقد أنّ الوصي إنّما يوصيه الرسول على معالم شريعته، وأسرار ملّته، وعيون هدايته، وحقيقة أقواله، وحفظ أسراره، فإذا قام بها ومضى إلى دار كرامته استحال قيام وصي ثان بعده، لأنّ الشريعة لم تتغير، ولا ذهبت فتأتي أوامر جديدة تحتاج إلى من يوصّى بحفظها والقيام بمعانيها وضبط أحوالها، فلهذا كان انقطاع الوصية بعد مضي الوصي الذي خلّفه الرسول في العالم.[2]

٥. في استمرار الإمامة في العالم دون النبوة والوصاية

يُعتقد: انّ الإمـامة مستمرة الـوجود في الأدوار جميعها، من أوّلها إلى آخـرها، لأنّ الإمام هو الـوارث لما جاء به النبي ﷺ من الشرع والوصي على البيـان، لكونه حافظاً في الأُمة على الهداية التي ورثها منهما، ولمّا كـان أمر الرسول والوصي جارياً على أهل الدور مـن أوّله إلى آخره، كان مـن ذلك حفظ درجة الإمامـة على الدور بالاستمرار، والتـوالي، إذ لم يبق زيادة تستجد فتحتاج إلى منزلـة مستجدة، فكانت هدايـة موروثـة منسوبة إلى أصل الـدور، ومعلم الشريعة والبيـان، فلا تـزال هذه

---

١. تاج العقائد: ٦٦.

٢. المصدر نفسه: ٦٨.

الحالة مستمرة إلى حين تأذن الحكمة الإلهية بتجديد شريعة ثانية، وأمر يحتاج العالم إليه لحفظ نظامه، ولمّا كانت هذه الشريعة، أي شريعة محمد، لا تنسخ، ولا يفقد حكمها حتى قيام الساعة، بقيت الإمامة فيها موجودة، ومحفوظة إلى حين قيام الأشهاد، ويوم التناد، فلهذا استمرت الإمامة في العالم دون النبوة، والوصاية.(١)

وعلى هذا فكلّ إمام غائب أو حاضر بعد الإمام الصادق يساوي في الفضل والعلم والكمال الإمام المنصوص في يوم الدار ويوم الغدير، فالإمام الحاضر، أعني به: كريم آغا خان، تساوي كفته في معالي الأمور كفّة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فيقوم بنفس ما يقوم به الإمام.

ياتُرى ما هذا الجور في القضاء والاعتساف في الحكم، فكيف يكون الإمام المذكور إماماً عالماً محيطاً بالشريعة وواقفاً على أسرارها مع أنّه تلقى علومه الأوّلية في مدارس سويسرا فأتقن الانكليزية والفرنسية والإسبانية كما درس اللغة العربية وبعد أن أكمل تحصيله في سويسرا انتسب إلى جامعة هارفرد الأمريكية؟!!(٢)

والإمام الذي يتلقّى العلوم الظاهرية في المدارس والجامعات كيف يكون واسطة في الفيض، واقفاً على الأسرار، وإماماً يعادل في التقى والعصمة والعلم والفضل الأئمّة المعصومين المنصوبين من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!

وكأنّي بابن المعرة يقول:

فيا موت زر إنّ الحياة ذميمة ... و يا جد جدي ان سعيك هازل

---

١. تاج العقائد: ٦٩.

٢. راجع تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٤٠٣.

٦. في أنّ الإمام لا تجوز غيبته من الأرض

إنّ الإمام لا تجوز غيبته عن الأُمة بوجه، ولا بسبب، وإن حدثت فترة فتكون خواص شيعته على اتصال به ويعرفون مقامه، ويدلّون من خلصت نيته إلى مقره.

والغيبة لا تخلو من ثلاث خصال:

١. أن تكون غيبته من قبل الله.

٢. أن تكون من قبل نفسه.

٣. أن تكون من قبل الناس وخيفة من أعدائه.

فباطل أن تكون الغيبة من قبل الله، لأنّ ذلك لا يليق بالحكيم العادل.

وإذا رجعنا إلى نفسه فلا نجدها من قبلها، لأنّه معصوم من الخطايا وفرض ولايته يوجب حضوره.

وإن كان من قبل الناس، فقد شكّ في دين الله، لأنّ الله نصبه وتكفل إيصال الهداية إلى الأُمة به، وعرّفه أنّه لا يخرج من العالم حتى يورث مقامه هادياً مثله.

إذن فليس لخوفه من الناس وجه.

إلى أن قال: والإمام هوالحاكم بين عباد الله، الموهوب له الحكم من الحكيم الخبير والنائب في خلافته على الخلق، الوارث الأرض، والمتصرف بأحكامها ولا يجب زواله ولا عدمه بوجه من الوجوه.[1]

أقول: إنّ المراد من الغيبة ليس هو الغيبة عن عالم الوجود كما تصوّره ذلك الكاتب، بل المراد من الغيبة هو الغيبة عن أعين الناس، فهو يبعث بين الناس فيعرفهم ولا يعرفونه، لا أنّه يخرج من الدنيا ويعيش في عالم آخر يباين ذلك العالم،

١. تاج العقائد: ٦٩ـ٧٠.

وهذا يعرب عن أنّ الداعي لم يرجع إلى كتب الإمامية الاثني عشرية، وهو مع ذلك يتصرف في الأُمور حسب مصالح الناس وإن كان الناس لا يعرفونه، ويتشرف بحضوره ويتمتع بلقائه من هو أهل لذلك وإن كان يكتمه ولا يظهره إلاّ للخاصة من الناس.

هذا هو القرآن الكريم يعرّف لنا ولياً من أوليائه سبحانه، كان يعيش بين الناس ويركب سفينتهم ويتصرف فيها أمام أعينهم وهم لا يعرفونه ويتصرف في أُمور أشد من ذلك يقتل غلاماً معصوماً بإذن من الله ولا يُلاحَق، ويبني جداراً في حال الانقضاض تحته كنز ليتيمين لغاية الستر عليه حتى يستخرجا كنزهما رحمة من ربه يقول سبحانه:

﴿أَمّا السَّفِينَةُ فَكانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها وَ كانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً* وَ أَمَّا الْغُلامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينا أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْياناً وَ كُفْراً* فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاةً وَ أَقْرَبَ رُحْماً* وَ أَمَّا الْجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَ كانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ يَسْتَخْرِجا كَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾. [١]

وقد غاب عن أعين الناس على وجه لم يكن الرسول موسى عليه السلام عارفاً به، وإنّما عرفه بتعريف من الله سبحانه.

فلماذا لا تكون غيبة الإمام بهذه الصورة، أي يكون غائباً عن أعين الناس ولكن متصرفاً في مصالحهم ويلتقي مع خيار أُمته؟

هذا وانّ لأصحابنا كتباً ورسالات حول غيبة الإمام الثاني عشر كشفوا فيها علل الغيبة ومصالحها وفوائدها، فمن أراد فليرجع إليها. [٢]

---

١. الكهف: ٧٩ـ٨٢.

٢. لاحظ، كمال الدين للشيخ الصدوق، الغيبة للشيخ الطوسي، ومنتخب الأثر للعلامة الصافي.

٧. في الوصية بعد الرسول ﷺ إلى الوصي

يعتقد بوصية الرسول إلى علي بن أبي طالب عليه السلام من اثني عشر وجهاً، منها:

١. قول النبي ﷺ: «لا يحل لامرئ مسلم أن يبيت ليلتين إلاّ و وصيته مكتوبة عند رأسه».

٢. إجماعنا على أنّ الرسول استخلف علي في المدينة في غزوة تبوك مقتدياً باستخلاف موسى لأخيه هارون عند مضيه لميقات ربه، وفي هذا الاستخلاف قال له: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي».

٣. حديث الدار والإنذار وقد ذكره المفسرون في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1]. [2]

أقول: والعجب انّه لم يذكر حديث الغدير الذي اتفقت الأُمّة على نقله!!

٨. في قعود علي عن الخلافة

ويعتقد انّ قعود الوصي بعد الوصية لم يكن عن عجز، ولا تفريط، و ذلك لأنّ الرسول ﷺ قد أعلمه عن دولة المتغلبين، وعقوبة الله عزّ وجلّ لهم في ذلك بقوله: «إنّ لك يا علي في أُمّتي من بعدي أمر، فإن ولّوك في عافية، وأجمعوا عليك في رضى، فقم بأُمورهم، وإن اختلفوا واتبعوا غيرك، فدعهم وماهم فيه، فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً».

فلمّا قام أمير المؤمنين في يوم الجمل وصفين والنهروان قام في الوصية أيضاً لقول الرسول ﷺ: «يا علي تقاتل بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين».

---

١. الشعراء: ٢١٤.

٢. تاج العقائد: ٦٠ـ٦٤.

فليت شعري من هؤلاء الذين نكثوا ومرقوا وقسطوا حتى قاتلهم، هل هم غير أمّة محمد الـذين نكثوا بيعة وصيّه ومـرقوا عن أمره، وقسطـوا وأظهروا الأحقاد الكامنة له ولأهل بيته بالرغم من أوامر الرسول إليهم. (١)

٩. في فساد إمامة المفضول

يعتقـد فسـاد إمـامـة المفضـول وإبطـال إمـامـة المشرك النـاقض لقـولـه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. (٢)

فجلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه بيّن أنّ عهد الإمامة وخلافة الله تعالى لا تلحق من أشرك بـالله طـرفة عين، وإنّما يكـون ميراثها في الطـاهـرين المصطفين العلماء، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾. (٣)

وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. (٤)

وقد ثبت أنّ كلّ من دخل في الإسلام من الجاهلية فقد عبد الأصنام وتدنس بالشرك مع ما كانوا يفعلون برسول الله أيام حياته ممّا هو مشهور غير خفي.

و تـوقـف كلّ واحـد منهـم بعـده وحـاجتهـم إلى علم علي مـع طهـارتـه واصطفائه عليهم في حالتي العلم والجسم، وكونه لم يسجد لصنم، ولا توقف عن أمر محمد ﷺ ولا كـانت له سـابقة في الجاهليـة، ولا أشرك في الله طرفـة عين، ولا

١. المصدر نفسه: ٧٢.

٢. البقرة: ١٢٤.

٣. فاطر: ٣٢.

٤. يونس: ٣٥.

تحمّل، ولا كذب، ولا داهن، ولا مال إلى مفضول، بالرغم من ميل الغير عنه إلى كل مفضول، مع إقرار المفضول على نفسه بقوله: «ولّيت عليكم ولست بخيركم» وغير ذلك من قوله: «فإن غلطت فردّوني، وإن اعوججت فقوّموني، فإنّ لي شيطاناً يغريني».

فليت شعري على أي شيء اعتمدوا بتقديم من قدّموه دون نص، أو وصية». [1]

١٠. في إبطال اختيار الأُمّة للإمام

ويعتقد انّ اختيار الأُمّة لنفسها الإمام غير جائز، لأنّ إقامة الحدود على الأُمّة هي للإمام، ففيها بعض رسوم الشريعة المبسوطة إلى الإمام، من دون الأُمّة، فإقامة الإمام الذي تتعلّق به كلّ أُمور الشريعة، لأنّه صاحب المقام العظيم، والمستخلف أولى أن يكون بأمر الله، وإذا كان إقامة الإمام بأمر الله كان من ذلك الإيجاب بأنّ الاختيار من الأُمّة باطل.

وانّ صحّة العلم انّ المختار للإمامة لا يكون إلاّ بعد الإحاطة بجميع ما يحتاج إليه في الإمامة من علم الشريعة والكتاب والأحكام، ثمّ العلم بأنّ ما عرف ممّا يحتاج إليه في الإمامة موجود فيمن يختاره هوكاف فيه. [2]

١١. في أنّ كلّ متوثب على مرتبة الإمام فهو طاغوت

ويعتقد انّ كلّ من دفع الإمام عن مقامه ومنزلته وعانده بعد وصية النبي له في كلّ عصر وزمان، إنّما هو المشار إليه باسم الطاغوت، وهو رئيس الجائرين

---

١. تاج العقائد: ٧٥ـ٧٦.

٢. تاج العقائد: ٧٦.

الحائدين عن أمر الرسول، المعنيّ بالظالم، الذي توجهت إليه الإشارة وإلى أمثاله في كلّ دور: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾. [١] إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾. [٢]

فالطاغوت هو رئيس الجائرين المعتدي على المنصوص عليه، والشيطان معاضده على الباطل القائم في نصرته المنمّق للأحاديث الكاذبة ليصرف وجوه الناس إليه، ويصدّهم عن أمر الله ورسوله بالكون معه، والطاعة له، وإذا نظروا إلى ما تضمّنته الشريعة، يتبين لهم الأمر على جليته، وتنفتح لهم طرق الهداية ويقع الانتباه ويزول الهوى ويشملهم التوفيق في قصدهم. [٣]

١٢ . في أنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله فيها

يعتقد انّ الأرض لا تخلو من حجّة لله فيها: من نبي، أو وصي، أو إمام يقوم المسائل، ويقيم الحدود، ويحفظ المراسيم، ويمنع الفساد في الشرع، ويقبل الأعمال، ويزكّي الأفعال، وتقام به الحجة على الطالب، ويزيل المشكلات إذا حلت على المتعلمين، ويركز الأمة بعد غيبة نبيها، إذا كان شخصه غير مستقر البقاء في العالم، محفوظ النسب، معروف الولادة، متبع دينَ آبائه، لا يرجع عن أقوالهم، ولا يقدم غيرهم، ولا يكون مأمون خلاف غيره، ولا مشير في الفضيلة إلى سواه، متبوع لا تابع، مقصود لا قاصد، مرغوب في حكمه، وصحّة أفعاله، وتعاليمه، وهدايته، لأنّ الرسول جعله دليلاً للمتعلم، ونجاة للحائر. [٤]

---

١. الفرقان:٢٧.

٢. الفرقان:٢٩.

٣. تاج العقائد: ٧٨ـ٧٩.

٤. تاج العقائد: ٧٠ـ٧١.

أقول: إنّ ما ذكره من أنّ الأرض لا تخلو من حجة لله حق، ولكن السبب ليس ما جاء في كلامه من إقامة الحدود، وحفظ المراسم، ومنع الفساد؛ فإنّ ذلك يقوم به سائر الولاة أيضاً، وإنّما الوجه انّه الإنسان الكامل وهو الغاية القصوىٰ في الخلقة ويترتب على وجود ذلك الإنسان الكامل بقاء العالم بإذن الله سبحانه وآخره لحصول الغاية وإلى ذلك يشير الحديث النبوي:

«أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض». (١)

وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: «إنّي وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي رزّ الأرض ـ أعني أوتادها وجبالها ـ بنا أوتد الله الأرض أن تُسيخ بأهلها فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا». (٢)

وقال ﷺ «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون». (٣)

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً». (٤)

١٣. منع المبتدي عن الكلام

ويُعتقد انّ منع المبتدي عن الكلام في الدين، صفات، واقتداء بأفعال الله، وذلك انّ الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الطفل يتكلم عند خروجه وولادته، وإنّما تأخر عن الكلام لحكمة أوجبها لتكون لأبويه عنده فضيلة التنطيق، والتلقين، والتعليم، وكذلك المبتدي يمنع من المجادلة، والنطق بما يشق على غيره،

١. الشريف الحضرمي: رشفة الصادي:٧٨، الصواعق المحرقة:٢٣٣ـ٢٣٤.

٢. الغيبة:٩٩، عنه البحار: ٣٦/ ٢٥٩ ح٧٩.

٣. الصواعق المحرقة:١٥٠.

٤. نهج البلاغه: ٤٩٧، قسم الحكم، الحكمة رقم ١٤٧.

ومتى تعلم من شيخه أو معلّمه القائم له مقام الصورة، فيعلمه الأُصول التي يجب الاحتياط بها نموذجاً يحتذى عليه في خطابه، وكلامه فيما يجب الاحتياط له. [١]

١٤. في أنّ القرآن لا ينسخه إلاّ قرآن مثله

ويعتقد انّ القرآن لا ينسخه إلاّ قرآن مثله، والدلالة على ذلك موافقة السنّة للكتاب، قال الله تعالى: ﴿وإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾. [٢] وقال النبي ﷺ في خطبة الوداع: «لا يقولنّ عليَّ أحد منكم مالم أقله، فإنّي لم أحلل إلاّ ما أحلّه الله في كتابه، وكيف أُخالف كتاب الله وبه هداني؟ وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني وعليّ أُنزل؟». [٣]

١٥. في تخطئة القياس والاستحسان

لا ترخّص الشيعة قاطبة القضاء والافتاء بالقياس والاستحسان، والرأي غير المستنبط من الكتاب والسنّة ويظهر من الداعي علي بن محمد الوليد، اتّفاق الإسماعيلية على منع العمل به قال:

إنّ الخطأ، القول بالرأي، والقياس، والاجتهاد والاستحسان، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هٰذَا حَلاَلٌ وَهٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾. [٤]

وقال الله عزّوجلّ: ﴿وَ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ

---

١. تاج العقائد: ١٨١.

٢. النحل: ١٠١.

٣. تاج العقائد: ٩٨.

٤. النحل: ١١٦.

اللهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.[١] فالقائل في الدين برأيه واجتهاده قائل عن الله مالا يعلم.

قال النبي: «اتبعوا ولا تبدعوا، فإنّ البدعة رأس كلّ ضلالة، وكلّ ضلالة في النار».

وقال عبد الله بن جعفر بن محمد: «إيّاك وخصلتان فيهما هلك من هلك، إيّاك أن تكتفي برأيك، أو تدين بما لا تعلم».

وقال ﷺ: «إيّاك والقياس، فإنّ أوّل من قاس إبليس فأخطأ في قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٢]».

فالدين لا يصح إلاّ بالاقتداء والاتباع للكتاب والسنّة، والرضا، والتسليم، إلى الهادي الذي عرفناه، ورضيناه من غير ابتداع، ولا قول برأي ولا قياس، ولا تقليد سلف.

قال رسول الله ﷺ: «الأمور ثلاثة: أمر قد بان لك رشده فاتبعه، وأمر بان لك غيّه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فرده إلى أهله».

وقال الإمام جعفر بن محمد لأبي حنيفة النعمان القائل بالرأي والقياس: «يا نعمان بلغني انّك تعمل بالقياس، فأخبرني إن كنت مصيباً: لم جعلت العين مالحة، والمنخران رطبان، والأذنان مرّتان، واللسان عذب؟» قال: لا أدري، فأخبرني جعلت فداك؟ فقال الصادق: «العين مالحة لأنّها شحمة، ولا تصلحها إلاّ الملوحة؛ والأنف رطب لأنّه مجرى الدماغ والنفس؛ والأذن مرّة لقتل الدواب، متى دخلتها؛ وجعل اللسان عذب ليعرف به طعوم الأشياء. يا نعمان إذا لم تعرف

---

١. البقرة: ٨٠.
٢. الأعراف: ١٢.

ما جعله الله في بنيتك، وأحكمه في صورتك لتمام منافعك، فكيف تقيس على دين الله عزّ وجلّ؟!» فقال: أخبرني جعلت فداك، لم تقضي الحائض الصيام دون الصلاة؟ فقال عليه السلام: «لأنّ الصلاة تكرر» قال: أخبرني لم وجب الغسل من الجنابة، و الوضوء من الغائط؟ قال: «لأنّ الجنابة تخرج من جميع الجسد، بينما الغائط من مكان واحد» قال: أخبرني لم فضّل الرجل في الفرائض على الامرأة مع ضعفها، وقوته؟ قال: «لأنّ الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء، ينفقون عليهن»، فقال أبو حنيفة: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾.(١)

فترك القياس سعادة للمكلّف، وضبط له عن الخوض في دين الله برأي النفس، والهوى الغالب، فإنّ أصل الشريعة ليس بقياس، لأنّه أخذ عن الله تعالى بتعليم الملك، وأخذ من الرسول بتعليم دون قياس، وأخذ من الوصي بتعليم النبي، وأخذ من الإمام بتعليم الوصي، وأخذ الرجال بتعليم الإمام دون رأي من يرى، وقياس من قاس، واجتهاد من اجتهد، بالظنون الكاذبة، والرأي، والآراء المتناقضة.(٢)

١. الأنعام: ١٢٤.

٢. تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٨٢ـ٨٤.

٥
عقيدتهم في المعاد وما يرتبط به

المعاد بمعنى عود الإنسان إلى الحياة الجديدة من أُسس الشرائع السماوية وهي حقيقة لا تنفك عن الإيمان بالله، لذا نرى أنّ أصحاب الشرائع اتّفقوا على وجود المعاد بعد الموت: ﴿وَ أَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.[1] ولولا القول بالمعاد لما قام للدين عمود، ولا اخضرّ له عود.

نعم، اختلفوا في كونه جسمانياً أو روحانياً وعلى فرض كونه جسمانياً فهل الجسم المعاد جسم لطيف برزخي أوجسم عنصري؟

والإمعان في الآيات الواردة حول المعاد يثبت الأخير بلا شك، فهلمّ معي ندرس عقيدة الإسماعيلية في المعاد وكيفيته.

١. في أنّ المعاد روحاني لا جسماني

قال الكرماني ـ بعد بيان النشأة الأُولى في الدنيا ـ: ثمّ الله ينشأ النشأة الآخرة، بقوله تعالى: ﴿وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولىٰ ـ التي هي خلق أجسامكم من قبيل جسمكم ـ فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[2] فهلا تتفكرون وتوازنون وتعلمون انّ النظام في الخلق والبعث واحد، وانّ النشأة الآخرة هي خلق الأرواح وإحياؤها بروح القدس

---

١. الحج: ٧.

٢. الواقعة: ٦٢.

على مثال النشأة الأُولى. ثمّ إنّه أفاض في الكلام ومحصّله: كما أنّ الإنسان في عالم الاحشاء يكتسب آلات ليحس بها الكمالات عند مصيره إلى عالم الدنيا، فهكذا هو في عالم الجسم والدنيا يكتسب آلات ليلتذ بها عند مسيره إلى عالم الآخرة، فكما أنّه يستغني عند مسيره من عالم الاحشاء إلى عالم الحس عمّا فيها، فهكذا عند مسيره من عالم الحس إلى عالم الآخرة وإليك عبارته:

ولما كان الأمر في وجود النفس وكمالها كالأمر في جسمها كما نطق به الكتاب الكريم، فالإنسان ينتقل من رتبة النطفية إلى رتبة العلقية، و من رتبة العلقية إلى رتبة المضغية ومن رتبة المضغية كذلك أن يحصل له الآلات من عين وأُذن ويد و رجل وأنف ولسان وغير ذلك من الأُمور ليقوم بالفعل بها عند مصيره إلى عالم الحس إذ كان وجودها له في تلك الظلمات وضيق الأحشاء لا لها، بل لفسحة الدنيا وما فيها فيكون ما يلتذ به أو يألم بحسب ما اكتسب في الأحشاء من الآلات، فهكذا وجودها في جسمها لا له بل لذاتها التي تليق بعالم آخر إليه مصيرها وعند مفارقة الجسم من جسمها مصيراً إلى الآخرة التي إليها إنهاؤها كمفارقة جسمها الأحشاء مصيراً إلى عالم الحس الذي إليه وروده وتكون ذاتها في آخرتها لذاتها آلة تجد بها الملاذ كالجسم الذي هو لها في دنياها آلة تجد بها الملاذ، وما يحصل لها من روح القدس في ذلك العالم كالروح الحسي الذي يحصل للجسم في هذا العالم. [1]

ومن تأمل فيما أفاض يذعن بأنّ المعاد عندهم روحاني لا جسماني، وقد صرح بذلك أيضاً الداعي علي بن محمد الوليد، وقال: ويعتقد انّ الله تعالى دعانا على ألسنة وسائطه بقبول أمره، إلى دار غير هذه الدار فهذه الدار صورية وتلك مادية ومابينهما صوري ومادي. [2]

---

١. راحة العقل: ٣٦١، المشرع ١٣.

٢. تاج العقائد: ١٦٥.

٢. في التناسخ

وهو عود الروح بعد مفارقة البدن إلى الدنيا عن طريق تعلقها ببدن آخر كتعلّقها بالجنين عند استعدادها لإفاضة الروح وله أقسام مذكورة في محلّها.[١]

وربما ينسب القول بالتناسخ إلى الإسماعيليّة، ولكن النسبة في غير محلّها.

يقول الداعي الكرماني: وأمّا من يرى الجزاء، مثل محمد بن زكريا والغلاة وأهل التناسخ، وانّه يكون في الدنيا، فمن اعتقادهم انّ هذه الأنفس لها وجود قبل أشخاصها بخلاف اعتقاد الدهرية وأمثالها ممّن ينحون نحوهم الذين يقولون انّ وجودها بوجود أشخاصها، ويقولون: إنّها جوهر تتردد في الهياكل بحسب اكتسابها إلى أن تصفو وتعود، فقد[٢] أوردنا في كتابنا المعروف بـ«الرياض» و«ميزان العقل» وغيرهما من رسائلنا في فساد قولهم ما يغني سيّما ما يختص بذلك في كتابنا المعروف بـ«المقاييس» رداً على الغلاة وأشباههم.[٣]

يقول الكاتب الإسماعيلي مصطفى غالب: ويذهب أكثر الذين كتبوا عن عقائد الإسماعيليّة من القدماء والمحدثين بأنّ الإسماعيليّة يقولون بتناسخ الأرواح، أي أنّ الروح بعد الموت تنتقل إلى إنسان آخر أو إلى حيوان أو نبات على نحو ما نراه في العقيدة البوذية أو النصيرية مثلاً، ويمكننا بعد أن درسنا كتب الإسماعيلية السرية والعلنية دراسة دقيقة، أن نقول بأنّهم لا يدينون مطلقاً بالتناسخ، بل ذهبوا إلى أنّ الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي (جسمه) إلى ما يجانسه من التراب، وينتقل عنصره الروحي (الروح) إلى الملأ الأعلى، فإن كان الإنسان في حياته مؤمناً بالإمام فهي تحشر في زمرة الصالحين وتصبح ملكاً مدبراً، وإن كان

---

١. لاحظ شرح المنظومة للحكيم السبزواري: ٣١٢.

٢. جواب لقوله: امّا.

٣. راحة العقل: ٣٦٤.

شريراً عاصياً لإمامه حشرت مع الأبالسة والشياطين وهم أعداء الإمام.

والإمام نفسه يجري على جسده مثلما يجري على سائر الأجساد بعد الموت، حيث يتحلّل كل قسم إلى ما يناسبه، فالجسم الترابي يعود إلى التراب، والنفس الشريفة تعود إلى ما يجانسها ويناسبها، فتصبح نفس الإمام عقلاً من العقول المدبرة للعالم، فلا تتناسخ ولا تتلاشى أي تتقمص. [١]

٣. في الحساب

والحساب تابع للبعث وهو فعل يحدث عنه من النفس للنفس الثواب الذي هو الملاذ والمسار، والعقاب الذي هو الألم والعذاب والغم، وينقسم هذا الفعل إلى ما يكون وجوده في الدنيا، وإلى ما يكون وجوده في الآخرة.

فأمّا ما يكون وجوده في الدنيا فينقسم قسمين. ثمّ أفاض الكلام في القسمين. [٢]

٤. في الجنة

يقول الكرماني: إنّها موصوفة بالسرمد والأبد ووجود الملاذ فيها أجمع، وأنّها لا تستحيل، ولا تتغير، ولا يطرأ عليها حال، ولا تتبدل، والذي بهذه الصفة هو النهاية الأولة من الموجودات عن المتعالى سبحانه عن الموصوفات والصفات إبداعاً خارج الصفحة العليا من السماوات المعرب عنها بسدرة المنتهى الذي هو المبدع الأوّل. [٣]

---

١. مصطفى غالب: في مقدمة كتاب الينابيع:١٦.

٢. راحة العقل: ٣٦٩.

٣. راحة العقل: ٣٧٩.

٥. في الملائكة

إنّ الملائكة على ضروب وكلّهم قد أهّلوا لمنافع الخليقة، فلا يتعدى أحد منهم بغير ما وكّل به، كما قال وأخبر عنهم: ﴿وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (١) والجوهر فيهم واحد، وإنّما اختلفت أسماؤهم لأجل ما وكلوا به فمنهم من هو في العالم العقلي، ومنهم من هو في العالم الفلكي، ومنهم من هو في العالم الطبيعي لحفظ ارجائه، ثمّ استدل بالآيات القرآنية.

منها قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ*وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢) يعني الملائكة الذين قد أخفى سبحانه ذواتهم عن النظر، وجعل المخلوق عن الطبائع محجوباً عنهم لا يراهم حتى يصير إمّا في منزلة النبي أو يخلص القبول من النبي بقرب الدرجة منه. (٣)

٦. في الجن

ويعتقد انّ في الجن ذوات أرواح نارية وهوائية ومائية وترابية، ويعتقد انّ الجن صحيح لا ريب فيه وهم على ضروب في البقاع والمصالح والمنافع والفساد والضرر، إلى أن قال: فمنهم من هو في ارجاء العالم ممنوع عن مخالطة بني آدم، ومنهم من هو مخالط لبني آدم في أماكنهم. (٤)

---

١. الصافات: ١٦٤.

٢. الحاقة: ٣٨ـ٣٩.

٣. تاج العقائد: ٤٥.

٤. تاج العقائد: ٤٦.



الفصل الحادي عشر



في

شجرة الإمامة الإسماعيلية



تدّعي الإسماعيليّة أنّ شجرة الإمامة تبتدأ من حين هبوط آدم إلى يومنا هذا، ولم يجعلوا تسلسلها من إسماعيل بن جعفر الصادق، بل ذهبوا إلى عهد بدء الخليقة، فطبّقوا قواعدهم الإماميّة، وسلسلوا الإمامة تسلسلاً مستمرّاً إلى العصر الحاضر.

ثمّ أضافوا إلى ذلك قولهم بالأدوار، والأكوار، وقد جعلو كلَّ دور يتألّف من إمام مقيم، ورسولٍ ناطق، أو أساس له ومن سبعة أئمّة يكون سابعهم متمَّ الدَّور، ويمكن أن يزيد عدد الأئمّة عن سبعة في ظروف أُخرى وفي فترات استثنائيّة، وهذه الزيادة تحصل في عداد الأئمّة المستودعين، وليس في الأئمّة المستقرين.

أمّا الدّور فيكون عبادة صغيراً أو كبيراً، فالدور الصغير هو الفترة التي تقع بين كلّ ناطق وناطق، ويقوم فيها سبعة أئمّة، أمّا الدّور الكبير فيبتدأ من عهد آدم إلى القائم المنتظر، الذي يُسمى دوره، الدور السابع، ويكون في الوقت ذاته متماً لعدد النطقاء الستة.

وفي الصفحات التالية تظهر الشجرة الإسماعيليّة، وتفرعاتها، وقد أخذناها من كتاب «الإمامة في الإسلام»، تأليف الكاتب الإسماعيليّ عارف تامر [1] الذي يقول: إنّ شجرةَ الإمامة عند الإسماعيليّة ظلّت حقبة طويلة مجهولة لدى الباحثين، ومقصورة على طبقة خاصّةٍ من العلماء، أو قُل في التقيّة والاستتار والكتمان.

وقد أفرده الأُستاذ أيضاً في كتاب خاص أسماه «فروع الشجرة الإسماعيليّة الإماميّة» نشرته المطبعة الكاثوليكية، في بيروت عام ١٩٥٧م.

---

١. الإمامة في الإسلام: ١٤٥ـ١٦١.

شجرة الإمامة الإسماعيلية

منذ أقدم العصور

الدور الأوّل:

(و يبتدئ من وقت هبوط آدم حتى ابتداء الطوفان، ومدته ألفان وثمانون عاماً وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً).

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	هُنيد	آدم	هابيل ١٣٠ـ		أنوش بن [1] شيث ٤٣٥ـ ١٣٨٥
٢			٢٢٥		قينان بن أنوش ٦٢٥ـ ١٥٣٥
٣			شيث		مهليئل بن قينان ٧٩٥ـ ١٦٩٠
٤			٢٣٠ـ١١٤٤		يارد بن مهليئل ٩٦٠ـ ١٩٢٢
٥					أخنوخ بن يارد ١١٢٢ـ١٤٨٧
٦					متوشالح بن اخنوخ ١٢٨٧ـ٢٢٤٢.
٧				لامك بن متوشالح	لامك بن متوشالح ١٤٥٤ـ٢٣٤٦

١. وفي المصدر بنت، وما أثبتناه هو الصحيح.

التعليقات:

في هذا الدور يظهر لنا أنّ هُنيد[١] هو الإمام المقيم، الذي ربّى وتعهّد، وأقام الرسول الناطق آدم، وفي هذا الدور أيضاً يظهر لآدم أساسان هما: هابيل وشيث، الأوّل قتل بيد أخيه «قابيل» فاستلم منصبه بعد وفاته «شيث». ويظهر أنّ متمّ الدّور هو الإمام السابع لامك بن متوشالح.

المعروف تاريخيّاً أنّ هبوط آدم كان في عدن، وأنّ وفاته كانت في موقع غار أبي قبيس في أرض الكعبة، ويُقال: أنّ نوحاً بعد الطوفان استخرج جثته، ودفنها في النجف الأشرف، إنّ الأرقام التاريخيّة المذكورة أعلاه اعتبرناها في بدء ظهور آدم صفراًحتى طوفان نوح. ولهذا يكون آدم قد عمَّر ٩٣٠ عاماً، وشيث تسعمائة واثني عشر ٩١٢، وأنوش هو أوّل من غرس النخل ٩٥٠ عاماً، وقينان ٩١٠ أعوام، ومهليئل ٨٩٥عاماً، ويارد ٩٦٢ عاماً واخنوخ ٣٦٥ عاماً، ومتوشالح ٩٥٥ عاماً، ولامك ٨٩١ عاماً.

في المصادر التاريخيّة أنّ الإمام الخامس أخنوخ هو إدريس أو هرمس المثلث، وهو أوّل من خط بالقلم، وكان مسكنه في الكوفة، وقد ولد قبل الطوفان بمدّة يسيرة، أمّا ابتداء الطوفان فكان سنة ٢٢٤٢. انّ الكتاب السماويّ المتداول في الدّور الأوّل هو «الصحف» وتنسب إلى آدم.

---

١. قال العلامة الروحاني: و لم يعلم انّ هُنَيد مربي آدم وهو الإمام المقيم هل هو من جنس آدم أو ملك أو جنّ أو غيرها.

أقول: من العجب أنّه لم يأت اسمه في الذكر الحكيم،ولو كان له ذلك المقام الشامخ، فأولى أن يكون معلّم الملائكة، لا آدم ثمّ إنّ المذهب المبنيّ على هذه الحدسيات التي لا تقوم على أساس قطعي لا يكتسب صبغة علميّة قطعيّة.

الدور الثاني:

«و يبتدئ من وقت الطوفان سنة ٢٢٤٢، حتى ولادة إبراهيم الخليل، ومدّته تسعمائة واثنتان وسبعون سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً.

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	اساس الدور	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	هود	نوح	سام		أرفكشاد بن سام «٢» بعد الطوفان ـ٤٦٧
٢		١٦٤٢ـ	٢١٤٢ـ		شالخ بن قينان بن أرفشكاد [١] ٢٧٦ـ٥٦٧
٣		٣٥٠	٥٠٠٠		عابر بن شالخ ٤٦٦ـ٩٣٠
٤					فالج بن عابر ٥٤٠ـ٨٧٩
٥					رعوا بن فالج ٦٧٠ـ١٠٠٩
٦					سروج بن رعوا ٨٠٢ـ١١٣٢
٧				ناحور بن سروج	ناحور بن سروج ٩٣٢ـ١١٤٠

التعليقات:

في هذا الدّور يظهر أنّ هوداً [٢] هوالإمام الذي أقام و أنعم و ربّى الرسول

---

١. كذا في المصدر.

٢. قال العلاّمة الروحاني: إنّ ظاهر الكتاب العزيز، أنّ نوحاً عليه السلام أقدم من هود عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وقومَ نُوحٍ مِنْ قَبلُ إنّهم كانوا همُ أظلم وأطغىٰ﴾ (النجم/ ٥٢) فكيف يمكن للمتأخر زماناً أن يربّي المتقدم؟!

الناطق نوح، وأنّ نوحاً هو صاحب رسالة النطق، وأنّ ساماً هو أساس الدّور،ويظهر أنّه سقط من الشجرة اسم «قينان بن أرفكشاد» والد شالخ. وقينان هذا أُبعد عن الإمامة وأسقط اسمُه من الشجرة الإماميّة لأنّه كان يتعاطى السّحر، فوصيّة ارفكشاد تجاوزته إلى ولده شالخ. ويلاحظ أنّ هناك أكثر من مصدر تاريخي يؤكّد أنّ عابر بن شالخ هو «هود»، وبعض المصادر تؤكّد أنّ فالج هو ذو القرنين، أو هود، على اختلاف الروايات. و يلاحظ أنّ ناحور هو الإمام المتمّ للدّور الثاني.

إنّ نوحاً ولد سنة ١٦٤٢ من ولادة آدم، و عندما بلغ من العمر ٦٠٠ عاماً جرى الطوفان الذي ابتدأ في العاشر من شهر رجب سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم، وقد دام الطوفان ستة أشهر، و انتهى في العاشر من شهر محرم سنة ٢٢٤٣.توفي نوح سنة ٣٥٠ بعد الطوفان و عاش ٩٥٠ عاماً، ودفن على جبل الجودي، من أعمال الموصل.وقد استوطن في مدّة حياته الكوفة.

أمّا أساس الدّور سام، فقد عاش ٦٠٠ عاماً. من الواضح أنّ أرفكشاد عاش ٤٦٥ عاماً، و شالخ ٤٦٤ عاماً، و عابر ٤٦٠ عاماً، و فالج ٣٣٩ عاماً، وسروج ٣٣٠ عاماً، وناحور ٢٠٥ أعوام.

الدور الثالث:

«و يبتدئ من وقت ولادة إبراهيم حتى ظهور موسى، و مدّته ألف و مائة و خمسون عاماً وسبعة أشهر و ثمانية أيّام».

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	اساس الدور المستقر	اساس الدور المستودع	الإمام المتم	الإمام المستودع	الإمام المستقر
١	تارح	إبراهيم	إسماعيل	إسحاق		يعقوب بن إسحاق ١٦٠ـ٣٠٧	قيذار بن إسماعيل
٢	١٠١١ـ١٣١٦	١٠٨١ـ١٢٥٦	٨٦ـ٢٢٧	١٠٠ـ٢٨٠		يوسف بن يعقوب ٢٥٠ـ٣٦١	سلامان بن قيذار
٣						افرايم بن يوسف ٢٨٠	بنت بن سلامان
٤						رازح بن عيص	الهميسع بن بنت
٥						أيوب بن موص	يقدم بن الهميسع
٦						يرنان بن أيوب	يقداد بن يقدم
٧					شعيب	شعيب بن صيفون	أود بن يقداد

التعليقات:

في هذا الدّور يبدو أنّه ظهر تطور جديد على قصة الإمامة، فالأئمّة المستقرّون من ولد إسماعيل بن إبراهيم، يدخلون كهف التقية والاستتار ويحل محلّهم الأئمة المستودعون، الذين هم من ولد إسحاق بن إبراهيم، و قد ظل هذا الوضع قائماً حتى ظهور الناطق السادس محمد، الذي ينحدر من أُسرة الإمام المستقر إسماعيل، بينما الرسولان الناطقان، موسى وعيسى، ينحدران من أُسرة إسحاق بن إبراهيم الخليل، و من الواضح أنّه في عهد محمد ينتهي دور الاستيداع، وتعود الإمامة إلى الأئمّة المستقرين.

مما يجدر ذكره أنّ الرسول الناطق إبراهيم، ولد في ا لأهواز، و منها جاء إلى حوران، حيث اتخذها دار هجرة، و دفن في بيت المقدس، و قد عاش ١١٣ عاماً، أمّا ولده الأكبر إسماعيل، فوالدته هـا جر و قد عاش ١٣٧ عاماً، و دفن في بيت الله الحرام، وأما إسحاق الابن الثا ي ، فوالدته سارة، وكان يقيم بين الشام والقدس، وقد عاش ٢٨٠ عاماً و دفن في بيت المقدس، و يأتي بعده ولده الذي عاش ٣٠٧ أعوام، و قد دفن في القدس. و بعده يأتي أيضاً يوسف فقد عاش ١١٠ أعوام ، و دفن في مصر. أمّا أيّوب، وهو الإمام الخامس فقد توفي في (مسكنه) و عاش ٩٣ عاماً، و يأتي بعده ابنه يونان، و هو يونس أو ذو النون، كما هو معروف، و مقامه في نينوى، قرب الموصل، على هذه الصفحة نلاحظ أنّ شعيب هو الإمام المستودع المتمّ للدور الثالث، و كان يقيم في مديَن.

الدور الرابع:

العدد	الإمام القيم	الرسول الناطق	أساس الدور المستقر	أساس الدور المستودع	الإمام المتم	الإمام المستودع	الإمام المستقر
١	أد	موسى ٤٢٥_٥٤٥	هارون ٤٤٢			إليا بن يسياس	عدنان بن أد
٢						اليسع بن أخطف	معد بن عدنان
٣			يوشع بن النون ٤٣٦_٢٨			صموئيل الرائي ٤٤٢_٢٤٩٤	نزار بن معد
٤						داود بن يحي ٤١٩_٥٣٥	مضر بن نزار
٥						سليمان بن داود ٥٢٣_٥٧٥	الياس بن مضر
٦						عمران بن ماثان	مدركة بن الياس
٧					زكريا	زكريا بن برخيا ١١٢٦_١٢١٦	خزيمة بن مدركة

التعليقات:

يلاحظ أنّه في هذا الدور لا يوجد أساس مستودع،وأنّ الأساس المستقر هو هارون أخو موسى. و يبدو أنّه بعد وفاتـه تسلّم يوشع بن نون رتبته الأساسيّة. من الواضح أنّ إيليا بن بسباس هو «إيليا النبي» ، و أنّ عمران بن ماثان هو «روبيل» وأنّ زكريا هو الإمـام السابع المستودع المتمّ للدّور الرابـع. في المصادر التاريخيّة أنّ موسـى عاش ١٢٠ عـاماً و نقل جثمانـه من صحـراء سيناء إلى القـدس، وولادته كانت في السابـع من آذار سنة ٤٢٥، وأنّ صموئيل الرائي عـاش ٥٣ عاماً، وأنّ داؤد بن بسي عاش ١١٦ عـاماً، وأنّ سليمان بن داؤد عـاش ٥٢ عاماً، وأنّ زكـرياء عاش ١٠٠ عام.

الدور الخامس:

«ويبتدئ من وقت ولادة عيسى حتى ظهور محمّد، و مدّته ستمائة و سبعون سنة و ستة عشر يوماً».

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور المستقر	أساس الدور المستودع	الإمام المتم	الإمام المستودع	الإمام المستقر
١	خزيمة	عيسى	يحيى ١٧١٥_٣٠				كنانة بن خزيمة
٢			شمعون الصفا ١٧١٦_٣٣			مرقص أو عبد المسيح	النضر بن كنانة
٣							مالك بن النضر
٤						فيلبس	فهر بن مالك
٥							غالب بن فهر
٦						اسطفانس	لؤي بن غالب
٧							كعب بن لؤي
٨						هرقل	مرة بن كعب
٩							كلاب بن مرة
١٠						أرميا	قصي بن كلاب
١١							عبد مناف بن قصي
١٢						مروة الراهب	هاشم بن عبد مناف
١٣							عبد المطلب بن هاشم
١٤					جرس بحيرا	جرجس ـ بحيرا	عبد الله بن عبد الله

التعليقات:

في هذا الدّور يظهر على المسرح أربعة عشر إماماً مستقراً، يقابلهم سبعة أئمّة مستودعين، أيْ أنّ كلّ إمام مستودع كان معاصراً لإمامين مستقرين، ولم يجر مثل هذا في الأدوار السابقة. ويلاحظ أنّ ولادة عيسى كانت سنة ١٧١٦ موسوية، أي بعد وفاة موسى، وقد قتل صلباً[١] سنة ١٧٤٩، و عمّر ثلاثة وثلاثين عاماً، أمّا أساس الدّور المستقر فكان يحيى، و هو الذي ولد قبل ولادة عيسى بستة أشهر، و هو يوحنا المعمدان نفسه، و من المعروف انّ هيرودس الروماني قتله سنة ١٧٤٦، وأنّ الأساس الثاني المستقر للدور الخامس الذي سلم إليه هو «شمعون الصفا» أو سمعان بن يونان، أو بطرس الراهب ، و يعتبر مربي عيسى وحجّة عمران بن ماتان الذي ورد ترتيبه، الإمام السادس المستودع في الدور الرابع.

ويلاحظ أنّ جرجس أو بحيرا الراهب هو الإمام السابع المستودع المتم للدور الخامس، وكان دعاته في الجزيرة العربية هم: عمرو بن نفيل، و ورقة بن نوفل، و زيد بن عمران، و هو الذي سلّم وراثة الأنبياء المستودعين، للإمام المستقر المقيم أبو طالب، يوم جاء إليه من الجزيرة العربية إلى دير بصرى الشام مع النبي محمد. ويلاحظ أنّ الإمام المستقر النضر بن كنانة، وكان يسمّى قيس، ولُقّب النضر لنضارته، وأنّ الإمام المستقر هو فهر بن مالك، كان لقبه مجمع قريش، وأنّ كلاّب بن مرة كان يلقب بالحكيم، أو عروة، وأنّ قصي بن كلاب هو زيد، و سمّي قصي لأنّه أُقصي عن عشيرته، وأنّ عبد مناف بن قصي اسمه المغيرة، وأنّ هاشم بن عبد المناف اسمه عمران، وأنّ عبد المطلب بن هاشم اسمه «شيبة الحمد».

١ . هذا الكلام تفنده الآية الشريفة: ﴿وما قَتَلُوهُ ومَا صَلَبُوهُ ولكِن شُبِّهَ لَهم ...﴾ (النساء/ ١٥٧).

الدور السادس:

« يبتدئ مـن تاريخ الهجـرة المحمديـة و ينتهي بظهور القـائم المنتظر، ولا يمكن تحديد مدّته. إنّ الدور الكبير قد أصبح مقسماً إلى أدوار صغيرة».

العدد	الإمام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	عمران	محمد	علي بن أبي طالب		علي بن أبي طالب
٢	أبو طالب	٥٧١م-٦٣٤			الحسين بن علي
٣					علي بن الحسين «زين العابدين»
٤					محمد بن علي «الباقر»
٥					جعفر بن محمد «الصادق»
٦					إسماعيل بن جعفر
٧				محمد بن إسماعيل	محمد بن إسماعيل

التعليقات:

في هذا الدور يظهر أنّ عمـران أبا طالـب، هو الإمام المقيم في عهـد الرسول الناطق محمد، و أنّ الإمام محمد بن إسماعيل هـو الإمام السابع المتم.و يلاحظ أنّ الإمام الحسـن بن علي لم يذكر في شجـرة النسب لأنّه يعتبر إمـاماً مستودعـاً لدى الإسماعيليين، و هكذا محمد بن الحنفية، و موسى بن جعفر (الكاظم).

تتمة الدور السادس:

«ويبتدئ من عهد معد بن إسماعيل «المعز لدين الله»، ولا يمكن بعد الآن الحكم على الأئمة المتمّين بعد أن ظهر الاختلاف و تشعبت الشجرات».

العدد	العدد المتسلسل	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	١٥		نزار بن معد «العزيز بالله»
٢	١٦		الحسين بن نزار «الحاكم بأمر الله»
٣	١٧		علي بن الحسن «الظاهر لإعزاز دين الله»
٤	١٨		معد بن علي «المستنصر بالله»
			الإسماعيلية، الإسماعيلية، الإسماعيلية المستعلية المؤمنية القاسمية ـ الأغاخانية
٥	١٩		أحمد المستعلي نزار بن معد نزار بن معد
٦	٢٠		الآمر بأحكام الله حسن بن نزار هادي
٧	٢١		الطيب بن الآمر محمد بن الحسن مهتدي

التعليقات:

من الملاحظ هنا أنّ الإسماعيليين قد افترقوا بعد الإمام الثامن عشر المستنصر بالله، إلى ثلاث فرق هي: النزاريّة «القاسميّة» الأغاخانية، و النزاريّة الإسماعيلية المؤمنيّة، والإسماعيلية المستعلية، و يلاحظ أنّ الفرقة المستعلية قد توقفت عند الطيّب بن الآمر الإمام الحادي و العشرين، الذي دخل كهف التقيّة و الاستتار، كما يلاحظ أنّ الفرقة الدرزية قد توقفت عند الإمام السادس عشر الحاكم بأمر الله،و من الواضح أنّ النزاريّة نفسها قد انقسمت إلى فرقتين هما: المؤمنيّة، والقاسميّة (الأغا خانية)، كما سيظهر في الصفحات التالية.

تتمة الدور السادس

«و يبتدئ من الإمام النزاري المؤمني حسن بن محمد، و ينتهي برضي الدين ابن محمد، وبقاهـر النزاري القاسمي، و ينتهي بشمس الدين محمـد و هو الإمام المتم السابع».

العدد	العدد المتسلسل	أئمة النزارية المؤمنية	أئمة النزارية القاسمية ـ الآغا خانية
١	٢٢	حسن بن محمد «جلال الدين»	قاهر
٢	٢٣	محمد بن الحسن «علاء الدين»	حسن على ذكره السلام
٣	٢٤	محمود بن محمد «ركن الدين»	أعلى محمد
٤	٢٥	محمد بن محمود «شمس الدين»	جلال الدين حسن
٥	٢٦	مؤمن شاه بن محمد «علاء الدين»	علاء الدين محمد
٦	٢٧	محمد بن مؤمن «خداوند»	ركن الدين خير شاه
٧	٢٨	رضي الدين بن محمد «ضياء الدين»	شمس الدين محمد

التعليقات:

يظهر أنّ الاختـلاف لدى النزاريّة قـد بدأ منذ عهد نـزار بن المستنصر بالله الفاطمي، ثـمّ يظهر أنّ الفرقتين عادتـا إلى الالتقاء مع أربعة أئمـة هم: حسن بن محمد و «جلال الدين» ومحمد بن الحسن و «عـلاء الدين» ومحمود بن محمد «ركن الدين» ومحمـد بن محمود «شمس الـدين» و هؤلاء يشكّلـون الأرقام: ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥. أمّا لدى النزارية القاسمية الآغاخانية فيشكّلون الأرقام ٢٥ و٢٦ و٢٧ و ٢٨. وبعد الإمام محمد شمس الدين انقسمت النزارية انقساماً فعلياً إلى فرقتين:

فالمؤمنية ساقت الإمامة بمؤمـن «الابن الأكبر» ، و القاسمية ساقتها بقاسم «الابن الأصغر»، و كلّ هذا جاء مفصّلاً في الصفحات التالية:

تتمة الدور السادس

«و يبتدئ من طاهر بن رضي الدين ، و ينتهي بعطية الله، و هو الخامس و الثلاثون في شجرة المؤمنية، أمّا لدى القاسمية فيبتدئ بقاسم شاه و رقمه ٢٩، وينتهي بالإمام أبي الذر علي، و هو الإمام الخامس والثلاثون من شجرة قاسم».

العدد	العدد المتسلسل	أئمة النزارية المؤمنية	أئمة النزارية القاسمية ـ الآغا خانية
١	٢٩	طاهر بن رضي الدين «العزيز»	قاسم شاه
٢	٣٠	رضي الدين الثاني بن طاهر «شمس الدين»	إسلام شاه
٣	٣١	طاهر شاه بن رضي الدين الثاني «حجة الله»	محمد بن إسلام
٤	٣٢	حيدر بن طاهر «خداوند»	المستنصر بالله الثاني
٥	٣٣	صدر الدين بن حيدر «معز الدين»	عبد السلام
٦	٣٤	معين الدين بن صدر الدين «قاهر»	غريب ميرزا
٧	٣٥	عطية الله بن معين الدين «خداي بخش»	أبو الذر علي

التعليقات:

ماتزال الشجرتان النزاريتان قائمتين هنا، و هما الوحيدتان بين فرق الشيعة الإماميّة اللتان ظلتا سائرتين على النهج الإمامي.

تتمة الدور السادس:

«و يبتدئ من عزيز بن عطية الله و رقمه ٣٦، و ينتهي بالإمام محمد بن حيدر «الأمير الباقر» و هو الإمام الخامس لدى الفرقة المؤمنية، و بعهده انقطعت الفرقة المؤمنيّة عن الاتصال، أمّا لدى القاسميّة فيبتدئ من الإمام مراد ميرزا، و ينتهي بحسن علي و هو متمٌّ و سابع.

العدد	العدد المسلسل	أئمة النزارية المؤمنية	أئمة النزارية القاسمية ـ الآغا خانية
١	٣٦	عزيز بن عطية الله «الشاه»	مراد ميرزا
٢	٣٧	معين الدين الثاني بن عزيز «خليل الله»	ذو الفقار علي
٣	٣٨	محمد بن معين الدين «الأمير المشرف»	نور الدين علي
٤	٣٩	حيدر بن محمد «المطهّر»	خليل الله علي
٥	٤٠	محمد بن حيدر «الأمير محمد الباقر»	نزار علي
٦	٤١	؟	السيد علي
٧	٤٢	؟	حسن علي

التعليقات:

يظهر أنّ الفرقة المؤمنية النزارية توقفت عن السير الإمامي في عهد الإمام محمد بن حيدر الأمير الباقر، رقم ٤٠، وذلك سنة ١٢١٠هـ. أمّا شقيقتها القاسميّة. فظلت سائرة على المنهج الإمامي حتى عهدنا الحاضر.

تتمة الدور السادس:

و يبتدئ من الإمام قاسم علي، و ينتهي بالإمام «كريم علي خان» ، و ترتيبه التاسع والأربعون، و هو متمم للدّور و سابع.

العدد	العدد المتسلسل	ائمة النزارية القاسمية ـ الآغا خانية
١	٤٣	قاسم علي
٢	٤٤	أبو الحسن علي
٣	٤٥	خليل الله علي
٤	٤٦	حسن علي «آغا خان الأوّل»
٥	٤٧	علي شاه « » » » » »
٦	٤٨	سلطان محمد شاه « » » » » »
٧	٤٩	كريم علي خان « » » » » »

التعليقات:

يظهر أنّ الفرقة المؤمنيّة النزارية، قد اختفت عن المسرح الإمامي، وأنّ النزاربة القاسميّة الآغاخانية ظلّت وحدها سائرة دون انقطاع عن الركب الإمامي حتى يومنا هذا، و هي الوحيدة بين الفرق الإمامية التي لم تتوقف.

ويلاحظ أنّ الإمام الأخير التاسع والأربعين «كريم خان» ليس هو ابن سلطان محمد شاه، بل حفيده، و يظهر أنّ اسم علي خان و هو النجل الأكبر لسلطان محمد شاه، قد أسقط من الشجرة بموجب وصيّة عامّة من والده. إنّ الأمير علي خان توفي في باريس بحادث سيارة بتاريخ ١٢ أيار سنة ١٩٦٠، وكان يمثل باكستان في الأمم المتحدة.

تتمة الدور السادس:

«هذا الدّور الصغير يبتدئ من الإمام محمد إسماعيل حتى عهد الإمام معد ابن إسماعيل «المعز لدين الله» و يعتبر جزءاً من الدّور الكبير الذي يبتدئ من عهد محمد حتى القائم المنتظر».

العدد	العدد المتسلسل	الإمام المتم	الإمام المستقر
١	٨		عبد الله بن محمد «الرضي»
٢	٩		أحمد بن عبد الله «الوفي»
٣	١٠		الحسين بن أحمد «التقي»
٤	١١		عبيد الله المهدي
٥	١٢		محمد بن علي «القائم»
٦	١٣		إسماعيل بن محمد «المنصور بالله»
٧	١٤	معد بن إسماعيل المعز لدين الله	معد بن إسماعيل «المعز لدين الله»

التعليقات:

يلاحظ هنا أنـه لم يعد هناك أيُّ وجود للناطق أو لـلأساس، وأصبح الإمام هو الذي يحمل مهمات الناطقية، كما أنّ مهمات الأساسيّة يحملها الحجّة أو الباب. في شجرات الـدروز و المستعلية لا يرد اسم «عبيد الله المهـدي» بين أسماء الأئمة المستقرين ويرد مكانه اسم «علي بن الحسين» و هذا لم تحقّقه المصادر ولا الوقائع حتى الآن. ومهما يكـن من أمـر فنحن مـا نزال نعتبر «عبيـد الله المهـدي» إماماً مستقراً منتظرين المزيد من المعلومات والمصادر والاكتشافات التاريخية.[1]

١ ـ عارف تامر، الإمامة في الإسلام: ١٤٥ ـ ١٦١، و التعليقات كلها له.

تأملات في أدوار الإمامة

إنّ ما ذكره الكاتب الإسماعيلي، لا يخلو من تأمّلات، وإشكالات، نشير إليها:

الأوّل: انّ ما ذكره من الأدوار الستة للإمامة و انّ كلَّ رسول ناطق تتلوه أئمّة سبعة، على النحو السابق، أمر مبنيٌّ على الظن و التخمين، لا على القطع واليقين، فإنّ التحدُّثَ عن الأئمّة الذين قاموا بالأمر، بعد الرسول الناطق، آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى، فعيسى، فمحمد ـ صلّى الله عليه و آله و عليهم السّلام ـ يبتني على أساطير، لا يمكن الإذعان بها، ولا أدري أنّ الكاتب إلى أيّ كتاب، و سند قطعيّ اعتمد عليه في استخراج هذه القوائم، مع أنّه ــ حسب اعتراف الكاتب ــ يعترف بأنّ هذه الدرجات بالتفصيل ظلّت مجهولة لدى الباحثين، ومقصورة على طبقة خاصة من العلماء.[١]

الثاني: أن تفسير الإمام المقيم، بأنّه هو الذي يقيم الرسول الناطق، ويعلمه و يربيه، ويدرجه في مراتب رسالة النطق، و ينعم عليه بالإمدادات، وأحياناً يطلقون عليه اسم «ربّ الوقت» و «صاحب العصر» و تعتبر هذه الرتبة أعلى مراتب الإمامة و أرفعها، وأكثرها دقّة و سرّية[٢]، وعلى ما ذكره فـ«هُنيد» إمام مقيم لآدم، وهود لنوح، وتارح لإبراهيم، و «أد» لموسى و خزيمة لعيسى، وأبو طالب لمحمد ﷺ و معنى ذلك أنّ هؤلاء أفضل من النطقاء الستة، الذين هم أُولو العزم من الرسل.

وهل «هُنيد» أفضل من آدم الذي اختاره الله سبحانه بتعليم الأسماء؟! أو أنّ هود أفضل من شيخ الأنبياء نوح، وهو الذي بُدئت به الشرائع؟! وهل تارح

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٤٢.

٢. المصدر السابق: ١٤٣.

أفضل من إبراهيم، الذي وصفه الله سبحانه بصفات عظيمة في القرآن الكريم ولم يصف بها غيره؟! وبالتالي يلزم أن يكون أبوطالب ﷺ أفضل من محمد ﷺ!!

الثالث: انّ الإمام المتمّ هو الإمام السابع، المتم لرسالة الدور، وأنّ قوته تكون معادلة لقوّة الأئمّة الستة الذين سبقوه في الدور نفسه بمجموعهم،و من جهة ثالثة يطلق عليه اسم ناطق الدور أيْ أنّ وجوده يشبه وجود الناطق بالنسبة للأدوار.

ومعنى ذلك أن يكون إسماعيل بن جعفر ﷺ أو محمد بن إسماعيل ـ على القول بأنّه متمّ الدّور ـ أفضلُ من خاتم النبيين الذي هوأفضل الخليقة باعتراف الفريقين.

الرابع: أنّ الكاتب أخرج الحسن بن علي ﷺ عن قائمة الإمامة، بحجّة أنّه لم يكن إماماً مستقراً، بل إماماً مستودعاً، ومعنى ذلك أنّ كلّ الأئمّة الذين جاءوا بعد كلّ رسول ناطق من زمان آدم إلى زمان الخاتم، كانوا أئمّة مستقرين، وليس للكاتب دليل على ذلك، مع أنّ إخراجه ينافي قول الرسول الذي نقلته الإسماعيلية في كتبهم من قوله ﷺ «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، و معنى كلامه أنهما صنوان لا يتفاوتان.

الخامس: أنّ الكاتب بإخراجه الحسن بن علي ﷺ عن قائمة الإمامة، جعل محمداً بن إسماعيل هو الإمام السابع الذي به يتم الدّور مع أنّ الإسماعيليّة يعتبرونه رسولاً ناطقاً، و المتم في الأدوار السابقة من زمان آدم إلى زمان نبي الإسلام، لم يكن رسولاً ناطقاً.

والكاتب في الوقت نفسه جعله بادئاً للدور حيث قال في ص ١٥٦: هذا الدّور الصغير يبتدئ من الإمام محمد بن إسماعيل، حتى عهد الإمام معد بن إسماعيل «المعز لدين الله»، ولو كان الميزان هو الأدوار السابقة، لا يكون متمّ الدّور، بادئ الدور باسم الرسول الناطق.

وبالجملة أنّ جعل محمد بن إسماعيل متماً للدّور من جانب، وناطقاً سابعاً، ناسخاً للشريعة، التي سبقته من جانب آخر، أمران متناقضان، إذا كان الميزان هو الأدوار السابقة.

لكن الظاهر من كلام مصطفى غالب، في كتابه «تاريخ الدعوة الإسماعيليّة» غير ذلك، وأنّ متمّ الدّور في الأدوار السابقة أيضاً، هو الرسول الناطق، وأنّ نوحاً كان متمّ الدّور، وفي الوقت نفسه رسولاً ناطقاً، وأنّ محمّداً ﷺ كان متمّ الدَّور و في الوقت نفسه رسولاً ناطقاً. وقد استشهد على ما ذكره بكلام الداعي إدريس في كتابه «زهر المعاني» و إليك نصها:

ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أوّل الأئمّة المستورين، والناطق السابع، ومتمّ الدّور، فقام بنسخ الشريعة التي سبقته، وبذلك جمع بين النطق و الإمامة، ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة، ونادىٰ بالتأويل، واهتمّ بالباطن.

و لذلك قال فيه الداعي إدريس في كتابه «زهر المعاني» ص ٥٦: «إنّما خُصَّ محمد بن إسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر، لأنّك إذا عددت آدم و وصيّه و أئمّة دوره، كان خاتمهم الناطق و هو نوح عليه السلام ... و إذا عددت عيسى و وصيّه وأئمّة دوره، كان محمد ﷺ متسلّماً لمراتبهم، و هو الناطق خاتم للنطقاء، وكان وصيُّه عليه السلام بالفضل منفرداً به، و إذا عددت الأئمّة في دوره كان محمد بن إسماعيل سابعهم، و للسابع قوّةٌ على من تقدَّمهُ، فلذلك صار ناطقاً و خاتماً للاسبوع، و قائماً، وهو ناسخ شريعة صاحب الدّور السادس، ببيان معانيها، وإظهار باطنها المبطن فيها.[1]

فهذان الكاتبان اللّذان قاما في عصرنا هذا بنشر آثار الإسماعيليّة، وتبيين عقائدها، قد صوّرا الأدوار السابقة بصورتين متناقضتين.

فعارف تامر يصوّر الأئمّة سبعة سابعهم متمّمهم، ويتلوه الرسول الناطق

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:١٤٨.

باديءُ الـدّور الجديد؛ و مصطفى غالـب يصوّرهم سبعة، سـابعهم متمّمهم، وفي الوقت نفسه الرسول الناطق.

وهناك وجه آخر، و هو أن يختلف حكم الأدوار الستة، مع الـدَّور السابع، فيكون الإمام المتمُّ في الدّور الأخير متماً و رسـولاً ناطقاً على خلاف الأدوار الستة، و وجه ذلك أنّ هذا الـدّور ليس دوراً مستقلاّ، بل تتمّة للدور السـادس، ولذلك يقول عارف تامر في التعريف بهذا الدور بالشكل التالي:

تتمة الدور السادس

وهذا الدور الصغير يبتـدئ من الإمام محمد بن إسماعيل حتـى عهد الإمام «معد بن إسماعيل» المعز لدين الله، ويعتبر جزءاً من الدّور الكبير الذي يبتدئ من عهد «محمد» حتى القائم المنتظر.[1]

ومـا ذكرنـا من الـوجه هـو الظاهـر من الحامدي في كتـابه «كنـز الولـد» وسيوافيك نصّه في الفصل الخاص بترجمة أعلام الإسماعيليّة.

السادس: أنّ المعـروف بين الإسماعليّــة في العصـور الأُولى، أنّ محمـد بـن إسماعيل هو الرسول الناطق، وهو ناسـخ للشريعة، وقد نسبه النوبختي إلى طائفة من الإسماعيليّة باسـم القرامطة وقال: وزعموا أنّ محمـد بن إسماعيل حيٌّ لم يمت وأنّه في بلاد الروم، وأنّـه القائم المهدي؛ ومعنى القائم عندهم أنّه يبعث بـالرسالة وبشريعة جـديدة، ينسخ بها شريعـة محمد ﷺ وأنّ محمـد بن إسماعيل من أُولـو العـزم، وأُولو العـزم عندهم سبعـة: نـوح، وإبراهيم، ومـوسى، وعيسى، ومحمـد، وعلي، ومحمد بن إسماعيل.[2]

ولما كان القول بذلك يصادم إتفاق جمهور المسلمين على أنّ شريعة الإسلام هي الشريعـة الخاتمة، و نبيّهـا هو النبي الخاتم ، وكتـابـه خاتـم الكتب، تجد أنّ

---

١. الإمامة في الإسلام:١٥٦.

٢. النوبختي: الفرق بين الفرق:٧٣.

مصطفى غالب، ينقل عن الداعي إدريس «عماد الدين» في كتابه «زهر المعاني» أنّ المراد أنّه يبيّن معاني الشريعة، ويظهر باطنها المبطن فيها.[1]

ولكنّه تصرّف في العقيدة، فإنّ الظاهر من عطف محمد بن إسماعيل على سائر النطقاء، كنوح، و إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، أنّه ناسخ بالحقيقة، وإلاّ يلزم الاختلاف في معنى النسخ.

السابع: قد عرفت أنّ لازم القاعدة التي استنبطها الكاتب من بطون التاريخ، في أدوار الإمامة أن تكون شريعة كلّ رسول منتهية بظهور الإمام السابع، ويكون الإمام اللاحق بادئاً للدّور الجديد، مع أنّه يُرى انتقاض القاعدة في ظهور محمد بن إسماعيل، حيث جعل الكاتب عارف تامر دوره متماً للدّور السادس لا بادئاً للدّور الجديد، وأضاف بأنّه ينتهي بظهور الإمام القائم المنتظر، ولا يمكن تحديدُ مدّته.

يلاحظ عليه: أنّ إدراج القائم المنتظر، الذي هو من صميم عقائد الإماميّة الاثني عشريّة في عقائد الإسماعيليّة غريب جداً من وجهين:

١. إخراج محمد بن إسماعيل عن مقامه العظيم في العقيدة الإسماعيليّة، وجعل الأدوار التالية حتى دور محمد بن إسماعيل من توابع دور محمد ﷺ.

٢. إنتظار الإسماعيليّة للقائم المنتظر، فإنّ القائم المنتظر في عقيدة الشيعة الإماميّة أقلّ بكثير من صاحب الدور عند الإسماعيليّة.

وأظن أن جعل الدور الذي بدأ به محمد بن إسماعيل جزءاً من الدّور السادس، لا دوراً مستقلاً لأجل استقطاب نظر جمهور المسلمين إلى أنفسهم حتى ينسلكوا في عداد المسلمين.[2]

كلّ ذلك يُعرب عن عدم وجود نظام عقائدي منسق عندهم.

---

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية:١٤٨، نقلاً عن زهر المعاني:٥٦.

٢. الإشكال السابع من إفادات العلاّمة الروحاني ـ دام ظلّه ـ.



الفصل الثاني عشر

في

نظرية المثل والممثول

أو

تأويلات الإسماعيلية



إنّ نظرية المثل والممثول تُعدُّ الحجر الأساس لِعامّة عقائد الإسماعيليّة، التي جعلت لكلّ ظاهر باطناً، وسمّوا الأوّل مثلاً، والثاني ممثولاً.وعليه تبتني نظرية التأويل الدينيّة الفلسفية، فتذهب إلى أنّ الله تعالى جعل كلَّ معاني الدّين في الموجودات، لذا يجب أن يُستدل بها في الطبيعة على إدراك حقيقةَ الدين، فما ظهر من أُمور الدين من العبادة العمليّة، التي بيّنها القرآن معاني يفهمها العامّة، ولكن لكلّ فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطناً، لا يعلمه إلاّ الأئمّة، وكبار حججهم وأبوابهم ودعاتهم. (١)

يقول الداعي المؤيد في الدين الشيرازي: خلق الله أمثالاً وممثولات، فجسم الإنسان مثل، ونفسه ممثول، والدنيا مثَل والآخرة ممثول، وانَّ هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى، وجعل قُوام الحياة بها، من الشمس والقمر،و النجوم، لها ذوات قائمة، يحل منها محل المثل وانّ قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات، هي ممثول تلك الأمثال.

وقال صاحب المجالس المستنصرية: معشر المؤمنين انّ الله تعالى ضرب لكم الأمثال جملاً وتفصيلاً، ولم يستح من صغر المثال إذا بيّن به ممثولاً، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلاً، ومن قصيدة المؤيد للدين يقول فيها:

أقصد حمى ممثوله دون المثَل ... ذا أبرُ النحل (٢) وهذا كالعسل

---

١. مصطفى غالب: في مقدمة الينابيع :١٣.

٢. ابر النحل: لذعته.

واستناداً إلى نظرية المثل والممثول يجب أن يكون في العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحانيّ الباطن. [١]

١. العقول العشرة

إنّ الإسماعيليّة استخدمت في تطبيق تلك النظرية، على ما تتبناه من تطبيق الدعوة الدينيّة على عالم التكوين نظرية الفلسفة اليونانية في كيفيّة حصول الكثرة في العالم، ولم يكن الهدف في استخدام نظريتهم، في بيان صدور الكثرات من الواحد البسيط، إلاّ تطبيقها على الدعوة الدينيّة، حتى يكون لكلّ ظاهر باطن.

توضيحه: أثبتت البراهين الفلسفيّة أنّه سبحانه واحد، بسيط من جميع الجهات، لا كثرةَ فيه، لا خارجاً ولا عقلاً، ولا وهماً

ثمّ إنّهم بعد البرهنة على تلك القاعدة، وقعوا في مأزق وهو أنّه كيف صدرت من الواحد البسيط ـ الذي لا يصدر عنه إلاّ الواحد ـ هذه الكثرات في عالم العقول، والأفلاك، والأجسام؟

ذهب أرسطو وتلاميذه، ومن تبعهم من المسلمين كالفارابي والشيخ الرئيس، إلى أنّ الصادر منه سبحانه واحد، وهو: العقل الأوّل، وهو مشتمل على جهتين:

جهة لعقله لمبدئه، وجهة إضافته إلى ماهيته.

فبالنظر إلى الجهة الأُولى صدر العقل الثاني، وبالنظر إلى الجهة الثانية صدر الفلك الأوّل ونفسه، الذي هو الفلك الأقصى.

وصدر من العقل الثاني لهاتين الجهتين، العقل الثالث، والفلك الثاني مع نفسه، الذي هو فلك الثوابت.

---

١. مصطفى غالب: في مقدمة الينابيع :١٣.

ثمّ صدر من العقل الثالث لهاتين الجهتين، العقل الرابع، والفلك الثالث مع نفسه، الذي هو فلك زحل.

وبهذا الترتيب، صدر العقل الخامس والفلك الرابع، الذي هو فلك المشتري، إلى أن وصل عدد العقول إلى عشرة، وعدد الأفلاك مع نفوسها تسعة.

و تبنّى المذهب الإسماعيلي، الذي هو مذهب ذو صبغة فلسفيّة يونانيّة هذه النظرية مع اختلاف يسير في التعبير لا غير، والفكرة الرئيسيّة عندهم واحدة.

فمثلاً يعبّر الداعي الكرماني عن العقل الأوّل بالمبدع، كما يعبّر عن العقل الثاني بالمنبعث الأوّل، وكلا المسلكين يشتركان في أنّه يبتدئ الصدور بالعقل الأوّل، الذي تسمّيه فلسفةُ المشاء بالعقل الأوّل، والمذهب الإسماعيليّ بالمبدع الأوّل، وتنتهي بالعقل الفعّال، ويتوسط بين العقل الأوّل والعقل الفعّال سلسلة العقول، والأفلاك الأُخرى.

يقول الداعي الكرماني:

والعقل الأوّل مركز لعالم العقول إلى العقل الفعّال، والعقل الفعّال عاقل للكل، وهو مركز لعالم الجسم، من الأجسام العالية الثابتة (الأفلاك) إلى الأجسام المستحيلة المسمّاة عالم الكون والفساد (العناصر الأربعة).[1]

يقول الحكيم السبزواري في بيان تلك النظرية:

فالعقل الأوّل لدى المشاء ... وجوبه مبدأ ثان جاء
وعقله لذاته للفلك ... دان لدان سامك لسامك
وهكذا حتى لعاشرٍ وصل ... والفيض منه في العناصر حصل
بالفقر معط هيولى العنصر ... و بالوجوب لنفوس صور
فللهيولى كثرة استعداد ... بحركات السبعة الشداد[2]

---

١. راحة العقل: ١٢٧ـ١٢٩.

٢. السبزواري: شرح المنظومة: ١٨٥.

ثمّ إنّ المهم تطبيق هذه الدرجات الكونية على درجات الدعوة الدينيّة عند الإسماعيليّة، فقد جعلوا لكل ظاهر باطناً، ولكلّ درجة كونيّة درجة دينيّة ،و إليك جدولاً يوضح ذلك:

١. العقل الأوّل = الناطق.

٢. العقل الثاني= الفلك الأقصى = الأساس.

٣. العقل الثالث= فلك الثوابت = الإمام.

٤. العقل الرابع = فلك زحل = الباب.

٥. العقل الخامس= فلك المشتري= الحجّة.

٦. العقل السادس=فلك المريخ= داعي البلاغ.

٧. العقل السابع= فلك الشمس= الداعي المطلق.

٨. العقل الثامن= فلك زهرة = الداعي المحدود.

٩. العقل التاسع= فلك عطارد = المأذون المطلق.

١٠. العقل العاشر= فلك القمر = المأذون المحدود، وربّما يُطلق عليه المكاسر والمكالب. [١]

هذا عرض موجز عن الدرجات الدينيّة للدعوة، وأمّا تفسيرها فإليك بيانها إجمالاً:

١. الناطق: وله رتبة التنزيل.

٢. الأساس: وله رتبة التأويل.

٣. الإمام: وله رتبة الأمر.

٤. الباب: وله رتبة فصل الخطاب.

---

١. إنّ محقّقي كتاب راحة العقل لم يذكروا فلك الثوابت، ولهذا صار العقل ممثولاً لما دون القمر، وجعلوا فلك الأفلاك والمحيط. فلكين مستقلين، مع أنّهما في هيئة بطليموس، فلك واحد، إلاّ أن يختلف ترتيب العوالم العلوية عند الإسماعيليّة مع ما هو الثابت في علم الهيئة (لاحظ راحة العقل، ص ٢٥).

٥. الحجّة: وله رتبة الحكم فيما كان حقّاً أو باطلاً.

٦. داعي البلاغ: و له رتبة الاحتجاج، وتعريف المعاد.

٧. الداعي المطلق: وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية.

٨. الداعي المحصور، أو المحدود: وله رتبة تعريف الحدود السفليّة والعبادة الظاهرة.

٩. المأذون المطلق: وله رتبة أخذ العهد والميثاق.

١٠. المأذون المحدود: وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة، وهو المكاسر. [١]

٢. النطقاء السبعة وأمثالها:

وربّما يعبّرون عنها بالحروف السبعة (آ، ن، إ، م، ع، م، ق) وهي الحروف الأُولى من أسماء النطقاء السبعة، وهم: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، قائم[٢] مع أُسسهم ممثولين للأفلاك السبعة بالشكل التالي:

المثل	الممثول	أساسه
١. زحل	آدم	شيث
٢. المشتري	نوح	سام
٣. المريخ	إبراهيم	إسماعيل
٤. الشمس	موسىٰ	يوشع
٥. الزهرة	عيسىٰ	شمعون
٦. عطارد	محمد	علي
٧. القمر	القائم	مهدي[٣]

١. مصطفى غالب: في مقدمة كتاب الينابيع ٢٣.

٢. يريدون به محمد بن إسماعيل، لأنّ والده توفي في حياة أبيه، فانتقلت الإمامة إليه، وهو القائم والإمام المستقر، وأمّا الإمام الكاظم عليه السلام فقد كان إماماً مستودعاً.

٣. القصيدة الشافية: ٣٨، قسم التعليقة.

٣. الأنوار الخمسة وأمثالها:

الأنوار الخمسة، عبارة عن أولى الموجودات في العالم، وهي: السابق،والتالي، والجد، والفتح، والخيال، وكلّها ممثولات، ولها أمثلة في الحدود العلويّة، وفي عالم الدين،وعالم المادة بالشكل التالي:

الممثول	المثل في العالم العلوي	الممثول في عالم الدين	المثل في عالم الجسم
١. السابق	العقل الكلّي	النبي	السماء
٢. التالي	النفس الكلّي	الإمام	الأرض
٣. الجد	إسرافيل	الوصي	المعدن
٤. الفتح	ميكائيل	الحجّة	النبات
٥. الخيال	جبرائيل	الداعي	الحيوان

وكلٌّ يأخذ الفيض من السابق، ويفيضه إلى التالي. [١]

وإلى هذه الأنوار الخمسة يشير الداعي في قصيدته الشافيّة عند ذكر توبة آدم وتوسله بها قائلاً:

وعاد لله بحسن التوبة ... آدم كي يغفر تلك الحوبة
وقال يا ربي إنّي أسأل ... وإنّني عن زلّتي منفصل
مُبتهلاً بالخمسة الأنوار ... أوّل ما أبدعته في الدّار
من سابق كان بلا مثال ... ولاحق يتلوه بالكمال
والجد ثم الفتح والخيال ... وبالحروف السبعة الأشكال [٢]

---

١. القصيدة الشافية: ٣٧، قسم التعليقة؛ ناصر خسرو: خوان الإخوان:١٩٩.

٢. القصيدة الشافية:٣٧.

نماذج من تأويلاتهم الفقهية

لما كان القول بالمَثَل والممثول أساساً للتأويل، نذكر في المقام بعض تأويلاتهم في الشريعة.

قالت الإسماعيليّة: إنّ لكلّ ظاهر في الشريعة، كالوضوء، والصلاة، والزكاة، والجهاد، والحج، والولاية، وغيرها باطناً، يجب الإيمان به.

وقد كتب كثير من الفاطميين كُتباً في التأويل، غير أنّ قاضي القضاة، النعمان بن محمد، قام بأمرين:

الأوّل: ألّف كتاباً باسم «دعائم الإسلام» وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، وطبع الكتاب في جزءين وهو يشتمل على الكتب التالية:

١. كتاب الولاية.
٢. كتاب الطهارة.
٣. كتاب الصلاة.
٤. كتاب الزكاة.
٥. كتاب الصوم والاعتكاف.
٦. كتاب الحج.
٧. كتاب الجهاد.
٨. كتاب البيوع والأحكام.
٩. كتاب الأيمان والنذور.
١٠. كتاب الأشربة.
١١. كتاب الأطعمة
١٢. كتاب الطب.
١٣. كتاب اللباس والطيب.
١٤. كتاب الصيد.
١٥. كتاب الذبائح.
١٦. كتاب الضحايا والعقائق.
١٧. كتاب النكاح.
١٨. كتاب الطلاق.
١٩. كتاب العتق.
٢٠. كتاب العطايا.
٢١. كتاب الوصايا.
٢٢. كتاب الفرائض.
٢٣. كتاب الدّيات.
٢٤. كتاب الحدود.
٢٥. كتاب السُّرّاق والمحاربين.
٢٦. كتاب الرّدة والبدعة
٢٧. كتاب الغصب والتعدّي.
٢٨. كتاب العارية والوديعة.
٢٩. كتاب اللقطة واللقيطة والآبق.
٣٠. كتاب القسمة والبنيان.
٣١. كتاب الشهادات.
٣٢. كتاب الدعوى والبينات.
٣٣. كتاب آداب القضاة.

وهو في الحقيقة يحتوي على ظواهر الشريعة.

الثاني: ألَّف كتاباً، حاولَ فيه أن يبيّن التأويل الباطني لجميع الأحكام، أسماه بـ«تأويل الدعائم» واستطاع أن يُنهي تأليف الجزء الأوّل منه، والذي حمل على كتاب الولاية، والطهارة، والصلاة، ولكنَّ المنيّة حالت دون إتمامه لتأويل بقيّة الأبواب الفقهية.

ولذا نقتصر في المقام على ما جاء في هذا الكتاب، بوجه مُوجز، وهدفنا ذكر نماذج، منها فقط، لأنّنا لا نروم التفصيل والاستقصاء في هذا البحث.

وليعلم أنّ للفاطميين كتباً كثيرةً في التأويل،وقد وَعَدَ محقّق كتاب «تأويل الدعائم» محمد حسن الأعظمي أن ينشر بعضها في المستقبل. [١]

لمّا كان التأويل أمراً شخصياً، يختلف باختلاف الدّاعي،واختلاف ذوقه، اختلفت كلمة الدعاة أشدَّ الاختلاف، في مسائل كثيرة، يقول محقّق كتاب راحة العقل، ما هذا لفظه:

الداعي النخشبي وضع كتابه المحصول في فلسفة المذهب. وجاء بعده أبو حاتم الرازي، فوضع كتابه الإصلاح، وخالف فيه أقوال من سبقه، ثمّ جاء أبو يعقوب السجستاني، أستاذ الكرماني، فانتصر للنخشبي، وخالف أبا حاتم، ثمّ جاء الكرماني الذي استطاع أن يوفّق بين آراء شيخه وآراء أبي حاتم. [٢]

إنّ المواضع المقتطفة من كتاب «تأويل الدعائم» يعرب عن أمرين:

الأوّل: أنّ جميع التأويلات مبنيّة على: أُسس فلسفيّة ذوقيّة، لا تتمتع بالبرهان كأكثر تأويلات الصوفيّة.

الثاني: أنّ غالب التأويلات مبنيّة على ثبوت مقامات غيبيّة لأئمّتهم. ومن أجل أن يقف القارئ بنفسه، ويتيقن من صحة الدعوى التي ذكرناها هنا، سوف نستعرض مجموعة من النماذج لآرائهم،وهي:

---

١. تأويل الدعائم: ٣٥، قسم المقدمة.

٢. راحة العقل: ١٧، مقدمة المحققين.

كتاب الولاية (الدعامة الأولى)

جاء في كتاب تأويل الدعائم: عن الباقر ﷺ: «بني الإسلام على سبع دعائم:[١] الولاية: وهي أفضل وبها وبالولي يُنتهى إلى معرفتها، والطهارة، والصلاة،والزكاة،والصوم، والحج والجهاد»، فهذه كما قال ﷺ: دعائم الإسلام قواعده، وأُصوله التي افترضها الله على عباده.

ولها في التأويل الباطني أمثال، فالولاية مَثَلُها مَثَلُ آدم(ص) لأنّه أوّل من افترض اللهُ عزّوجلّ ولايته، وأمر الملائكة بالسجود له، والسجود: الطاعة، وهي الولاية، ولم يكلفهم غير ذلك فسجدوا إلاّ إبليس، كما أخبر تعالى، فكانت المحنةُ بآدم (ص) الولاية، وكان آدمُ مثلَها، ولابدَّ لجميع الخلق من اعتقاد ولايته، ومن لم يتولّه، لم تنفعْهُ ولاية من تولاّه من بَعده، إذا لم يدُن بولايته ويعترف بحقّه، وبأنّه أصل مَنْ أوجب اللهُ ولايتَه من رسله وأنبيائه وأئمّة دينه، وهو أوّلهم وأبوهم.

والطهارة: مَثَلُها مَثَلُ نوح ﷺ، وهو أوّل مبعوث ومرسل من قبل الله، لتطهير العباد من المعاصي والذنوب التي اقترفوها، ووقعوا فيها من بعد آدم (ص)، وهو أوّل ناطق من بعده، وأوّلُ أُولي العزم من الرسل، أصحاب الشرائع،وجعلَ الله آيته التي جاء بها، الماء، الذي جعله للطهارة وسمّاه طهوراً.

والصلاة: مَثَلُها مَثَلُ إبراهيم (ص) وهو الذي بَنى البيتَ الحرام، ونصبَ المقام، فجعل الله البيت قبلة، والمقامَ مصلّىً.

والزكاة: مثلها مثل موسى،وهو أوّل من دعا إليها ، وأُرسل بها، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ .[٢]

١. المرويّ عن طرقنا: بني الإسلام على خمس.

٢. النازعات:١٥ـ١٨.

والصوم: مَثَلُه مثل عيسى عليه السلام وهو[١] أوّل ما خاطب بـه أُمّه، أن تقولَ لِمَنْ رأته من البشر، وهـو قوله الذي حكـاه تعالىٰ عنه لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾.[٢] وكان هـو كذلك يصـوم دهـره، ولم يكن يـأتي النسـاء، كما لا يجوز للصـائم أن يـأتيهـنّ في حـال صومه.

والحج: مَثَلُه مَثَلُ محمّد صلى الله عليه وآله، وهو أوّل مـن أقام مناسك الحج، وسـنَّ سننه، وكـانت العـرب وغيرهـا مـن الأُمم، تحجّ البيـت في الجاهليّـة ولا تقيم شيئـاً مـن مناسكه، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾.[٣]

وكانـوا يطوفون به عُـراة، فكان أوّلُ شيء نهاهم عنه ذلك فقـال، في العُمرة التي اعتمرها، قبـل فتح مكة، بعد أن وادعَ أهلَها، وهـم مشركـون: «لا يطوفنّ بعد هـذا بالبيت عـريـان، ولا عريـانة»، وكـانـوا قدنصبـوا حول البيـت أصنامـاً لهم يعبدونها، فلمّا فتح اللهُ مكّة كسّرها، وأزالها، وسـنَّ لهم سُنن الحجّ، ومناسكه، وأقام لهم بأمر اللهِ معـالمه. وافترض فرائضه. وكان الحجّ خاتمة الأعمال المفـروضة، وكان هو صلى الله عليه وآله خـاتم النبيين، فلم يبـق بعدَ الحجّ من دعـائم الإسـلام غير الجهاد، وهـو مثل سـابع الأئمّـة ، الـذي يكون سـابـع اسبوعهـم الأخير، الذي هـو صـاحب القيامة.[٤]

---

١ . الظاهر أنّ ضمير الفاعل يرجع إلى روح الأمين.

٢ . مريم:٢٦.

٣ . الأنفال:٣٥.

٤ . النعمان: تأويل الدعائم:١/ ٥١ـ٥٢.

كتاب الطهارة (الدعامة الثانية)

قال صاحب تأويل الدعائم: لا يجزي في الظاهر صلاة بغير طهارة، ومن صلىّ بغير طهارة لم تجزِه صلاتُه، وعليه أن يتطهّر، وكذلك (في الباطن) لا تجزي ولا تنفع دعوة مستجيبٍ يدعى، ويؤخذ عليه عهد أولياء اللهِ حتى يتطهّر من الذنوب، ويتبرأ من الباطل كلِّه، ومن جميع أهله، وإن تبرأ من الباطل بلسانه، مقيم على ذلك، لم تنفعه الدعوة، ولم يكن من أهلها، حتى يتوبَ ويتبرأ عمّا تجب البراءة منه، فيكون طاهراً من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ﴾[١]. [٢]

و يقول: إنّ الأحداث التي توجب الطهارة لها في الباطن أمثال، يجب التطهّر منه بالعلم، كما وجب التطهّر في الظاهر من هذه بالماء، فمثل الغائط مَثَل الكفر، والذي يطهّر منه من العلم الإيمان بالله، ومثَل البول مثل الشرك وهو درجات ومنازل، و الذي يطهر منه من العلم توحيد الله، ونفي الأضداد والأشباه، والشركاء عنه، ومثَل الريح تخرج من الدُبر، مثل النفاق، والذي يطهّر منه من العلم التوبةُ والإقلاع عنه، واليقين والإخلاص والتصديق بالله، وأنبيائه وأوليائه، وأئمّة دينه. [٣]

أمّا غسل الوجه ففيه سبعة منافذ: العينان، والأُذنان، و المنخران، والفم.

وأنّ أمثالَهم في الباطن، أمثال السبعة النطقاء الذين هم: آدم، ونوح، و إبراهيم، وموسى، وعيسى ﷺ و محمد ﷺ وخاتم الأئمّة من ذريته صاحب القيامة(ص)، ولابدّ للمستجيب بعد البراءة، من الكفر والشرك والنفاق، من

---

١. الأنعام: ١٢٠.

٢. تأويل الدعائم: ١/ ٧٦.

٣. تأويل الدعائم: ١/ ٧٩.

العلم والإيمان والتصديق بمحمدﷺ ووصيّه علي ومن الإيمان والتصديق بالنطقاء الستة، وهم: آدم، ونوح،و إبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمدﷺ وبخاتم الأئمّة صاحب القيامة (ص) وهو اليوم الآخر الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه، وجعل الأيام السبعة أمثالاً لهم، فالأحد مَثَل آدم ﷺ و الإثنين مَثَل نوح ﷺ ، والثُلاثاء مَثَل إبراهيم، والأربعاء مثل موسى ﷺ ، والخميس مَثَل عيسى ﷺ ، والجمعة مَثَل محمد ﷺ جمع الله له علم النبيين،و فضلهم وأكملهم به، وجعله خاتمهم، وفضّله بأن جعل السابع من ذريته، ومن أهل دعوته. فكانَ غُسل الوجه مَثلاً على الإقرار بهذه الأسابيع وطاعتهم.[1]

في التيمم:

يقول: التيمّم وضوء الضرورة، هذا من ظاهر الدّين، وأمّا باطن التيمّم لِمَن عُدِم الماءَ وأنّه في التأويل طهارة من أحدث حدثاً في الدّين من المستضعفين، مِنَ المؤمنين الّذين لا يجدون مفيداً للعلم ، ممّا يحدثونه عند ذوي العدالة من المؤمنين من ظاهر علم الأئمّة الصادقين إلى أن يجد مفيداً من المطلقين.

إلى أن قال: ولا ينبغي أن يتيمّم من لم يجد الماء إلاّ في آخر الوقت، بعد أن يطلب الماء.

وذلك في الباطن من اقترف ما يوجب عليه الطهارة بالعلم الحقيقي، فعليه أن يطلبه، ولا يُعجّل بالقصد إلى غير مطلق، فيأخذ عنه ما يطهّره من العلم الظاهر، حتى يجتهد في طلب مفيد مطلق، فإذا بلغ في الطلب استطاعته وانتهى إلى آخر وقت، يعلم أنّه لا يجد ذلك، فحينئذٍ يَقصد إلى من يفيده من المؤمنين، أهل الطهارة من ظاهر علم أولياء الله، ما يزيل عنه شكَ ما اقترفه وباطله.

إلى أن قال: قال الصادق (ص) في ذلك: إنّه إن وجد الماء وقد تيمّم وصلّى

---

١. تأويل الدعائم:١/ ١٠١ـ١٠٢.

بتيمّمه ذلك، أجزأه وعليه أن يتطهّر با لماء أو يتيمّم، إن لم يجد الماء، لما يستقبله من الصلاة.

باطن ذلك أنّه إن فعلَ ما ذكرناه في دعوة إمام أو حدّ من حدوده، ثمّ دخلت على تلك الدعوة دعوة أُخرى، ولم يجد مفيداً، فهو على ما كان عليه، وإن وجده كان على ما وصفنا، وليس عليه شيء لما مضى. (١)

في ذكر التنظّف

يقول: الحيض علّة تُصيب النساء في الظاهر، وأمثال النساء ـ كما ذكرنا في الباطن ـ أمثال المستجيبين.

فتأويل جملة القول في الحيض في الباطن، أنّه علّة وفساد، يدخل على المستجيب في دينه، يحرم عليه من أجلها سماع الحكمة، والكون في جماعة أهل الدعوة، كما لا يحلّ في الظاهر للمرأة إذا حاضت أن تصلّي،ولا تدخل المسجد، وكذلك لا يحل لمفيد ذلك المستجيب، أن يفيده شيئاً من العلم إذا أحدث ذلك الحدث، حتى يتطهّر منه، بالتوبة والنزوع عنه، والإقلاع، وينقطع عنه ما عرض من ذلك الفساد في دينه. (٢)

ويقول أيضاً: قال الصادق ﷺ: إذا طهرت المرأة من حيضها في وقت صلاة، فضيّعت الغسل، كان عليها قضاء تلك الصلاة.

تأويله: أنّ المقترِف إذا تابَ وانتصل ممّا اقترفه، ولم يتطهّر في ذلك بالعلم، كما وصفنا، كان عليه أن يتطهّر، وأن يسعى في إفادة ما فاته من الحكمة، بعد إقلاعه عمّا اقترفه.

فافهموا معشر المؤمنين ما تعبدكم الله به ظاهراً وباطناً ،فإنّ ذلك مرتبط

---

١. تأويل الدعائم:١/ ١٢٣ ـ ١٢٤.
٢. تأويل الدعائم:١/ ١٦١.

بعضه ببعض، يشهد كلّ شيء منه لصاحبه، ويطابقه ويوافقه فما وجب في الظاهر، وجب كذلك مثله ونظيره في الباطن، لا يجزي إقامة أحدهما دون الآخر، ولا يحلّ في الظاهر ما حُرّم في الباطن، ولا في الباطن ما حُرم في الظاهر، وإيّاكم أن يستميلكم عن ذلك، تحريف المحرّفين، ولا شبهات الشياطين، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَ ذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ﴾ [١] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ﴾ [٢] وقال: ﴿وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً﴾ [٣]. [٤]

كتاب الصلاة (الدعامة الثالثة)

يقول: الصلاة في الظاهر ما تعبّد الله عباده المؤمنين به، ليُثيبهم عليه، وذلك مما أنعم اللهُ عزّ وجلّ به عليهم، وقد أخبر تعالى أنّه ﴿أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ فظاهر النّعمة في الصلاة إقامتها في الظاهر، بتمام ركوعها وسجودها وفروضها ومسنونها، وباطن النّعمة كذلك في إقامة دعوة الحقّ في كلّ عصرٍ كما هو في ظاهر الصلاة. [٥]

و يقول أيضاً: افترض اللهُ خمسَ صلوات في الليل والنهار سمّاها في كتابه.

وتأويل ذلك أنّ الخمس الصلوات في الليل والنهار في كلّ يوم وليلة مثلها في الباطن مثلُ الخمس الدعوات لأُولي العزم من الرسل الذين صبَروا على ما أُمروا به، ودَعوا إليه.

فصلاة الظهر وهي الصلاة الأُولى مَثَلٌ لدعوة نوح (ص)، وهي الدعوة

١. الأنعام: ١٢٠.
٢. الأعراف: ٣٣.
٣. لقمان: ٢٠.
٤. تأويل الدعائم: ١/ ١٦٧.
٥. تأويل الدعائم: ١/ ١٧٧.

الأُولى، وهوأوّل أُولي العزم من الرّسل.

والعصر مَثَلٌ لدعوة إبراهيم (ص) وهو ثاني أُولي العزم، وهي الصلاة الثانية.

والمغرب وهي الصلاة الثالثة مَثَلٌ لدعوة موسى (ص) وهي الدعوة الثالثة، وهو ثالث أُولي العزم.

والعشاء الآخرة مَثَلٌ لدعوة عيسى (ص) وهي الدّعوة الرابعة، وهو الرابع من أُولي العزم، وهي الصلاة الرابعة.

والفجر وهي الصلاة الخامسة مَثَلٌ لدعوة محمد ﷺ، وهي الدعوة الخامسة، وهو خامس أُولي العزم، فأمره الله بأن يُقيم الصلاة ظاهراًو باطناً... وأن يدعو فيها إلى مِثْل ما دعا أُولوا العزم من قبله.[1]

في عدد الصّلاة

يقول: ويتلو ذلك ذكر عددُ ما في كلّ صلاةٍ، من الركوع، وما يُجهر فيه منها بالقراءة،و ما يُخافت فيه منها.

تأويل ذلك: أنّ جملة عدد الركعات للخمس الصلوات في اليوم والليلة، الفرض من ذلك سبعَ عشرة ركعة والسُّنّة مِثلا الفريضة (أربع وثلاثون ركعة) والصلاة على سبعة أضرب، هذا ضرب منها.

والثاني: صلاة الكسوف، على خلاف صفة هذه ،لأنّها ركعتان، في كلّ ركعة خمس ركوع.

والثالث: صلاة العليل، والعريان، يصلّيان جالسين، وإذا لم يستطع العليل الصلاة، جالساً، صلّ مستلقياً أو مضطجعاً، وإذا لم يستطع الركوع والسجود،

---

١. تأويل الدعائم: ١/ ١٧٨ـ١٨٠.

يومئ أي إيماء برأسه أو ببصره، إذا لم يستطع أن يومئ برأسه.

والرابع: صـلاة الخوف، تصلىٰ على معنى غير معنى الصـلاة في الأمـن، وتجزى على ركعة منها تكبيرة عند المواقفة والمسائفة.

والخامس: صلاة الاستسقاء،والأعياد، والجُمَـع، لها حدّ غير حدّ الصلاة في غير ذلك.

والسادس: صلاة الجنائز، ليس فيها ركوع ولا سجود.

والسابع: الصلاة على النبي ﷺ وهي لفظ باللسان بلا عمل بالأركان.

فأمثـال الستـة الأضرب من الصـلاة أمثال الـدعوة الستـة النطقـاء، وهم: آدم،و نوح، و إبراهيـم، وموسى، وعيسى ﷺ و محمـد ﷺ... والصلاة السابعة التي هـي الصـلاة على النبي ﷺ وهي قـول بلا عمـل، مثل لدعـوة آخر الأئمّـة وخـاتمهـم، وهـو صـاحب عصر القيـامـة، لأنّـه إذا قـام رفـع العمل، وقـامـت القيامة.[1]

في وقت الصّلاة

يقول: أوّل وقت الظهر زوال الشمس.

وتأويل ذلك: أنّ الشمس في الباطن مَثَلُها مثلُ وليّ الـزمان من كان نبيّ أو إمـام، ومثل طلـوعِها مَثَـلُ قيام ذلـك الوليّ و ظهـوره، ومَثَلُ غـروبها مَثَلُ نقلتـه وانقضاء أمره، وكان رسول الله ﷺ في وقته مَثَلُـه مثل الشمس، من وقـت بعثه الله تعالى فيه إلى أن أكمل دينه الذي ابتعثه لإقامته، وإكماله بإقامة وصيّه، وذلك قول الله تعـالىٰ الـذي أنزل عليـه في اليـوم الـذي قـام فيـه بولايـة علي (ص) بغـديـر خم:﴿اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ

---

١. تأويل الدعائم:١/ ١٨٢.

دِيناً﴾[١] فلما فعل ذلك (ص) مال إلى النقلة عن دار الدنيا إلى معاده، فكان بينَ ذلك وبين وفاته سبعون ليلة.

وكان ذلك في التأويل مثل الزوال على رأس سبع ساعات، كما ذكرنا من النهار، التي جاء أنّ مَثَل عددها مثلُ عدد حروف اسمه واسم وصيّه (ص)، وذلك سبعةأحرف، محمدٌ أربعةُ أحرف، وعليٌّ ثلاثة أحرف، فذلك سبعة، مثل للسبع ساعات، التي تزول الشمس عندها التي مثلُها مثلُه (ص)، ومثل زوالها زواله، وانتقاله إلى معاده، الذي أعدّ اللهُ له فيه الكرامة لديه.[٢]

في الأذان والإقامة

يقول: إنّ الأذان مَثَلُهُ مَثَلُ الدعاء إلى ولاية الناطق، وهو النبي ﷺ في وقته، والإمام في عصره.

والإقامة مثلُها مثل الدعاء إلى حجّته، وهو وليّ أمر الأُمّة من بعده، الذي يُقيمه لذلك في حياته، ويصير مقامه له بعد وفاته، فالأذان ثماني عشرة كلمة... ومثل الأذان، مثلُ الدعاء إلى دعوة الحقّ، وذلك مثلُ الدعاء إلى الستة النطقاء، وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ﷺ ومحمد ﷺ، والدعاء إلى دعوة الحجج الاثني عشر وهم أكابر الدعاة أصحاب الجزائر، التي هي جزائر الأرض الاثنتي عشرة جزيرة، بكلِّ جزيرةٍ منها داعٍ، يدعو إلى دعوة الحق، فدعوة الحق تشتمل على هذه الدعوات، وتؤكّد أمرها، وتُوجبُ الإقرار بأصحابها، وكان ذلك مثل عدد كلمات الأذان لكلّ دعوة منها كلمة؛ والإقامة تسعَ عشرة كلمة... والإقامة ـ كما ذكرنا ـ مثل النداء إلى الحُجّة فمثلُ الكلمة الزائدة فيها، مثل الدعوة إلى الحجّة، الذي هو أساس الناطق، فأمّا الدعاء إلى الأئمّة وحججهم، فيدخل ذلك في دعوة أصحاب الجزائر، لأنّ دعوتهم إلى كلّ إمامٍ في وقته وحجّته.[٣]

---

١. المائدة:٣.　　　　٢. تأويل الدعائم:١/ ١٩٩.

٣. تأويل الدعائم:١/ ٢١٤.

في ذكر المساجد

يقول: فالمساجد في الظاهر البيوت التي يجتمع الناس إليها، للصلاة فيها، وهي على طبقات، ودرجات فأعلاها المسجد الحرام.

ومثله مثلُ صاحب الزمان مَنْ كان من نبي أو إمام.

ومثل الأمر بالحج والسعي إليه من أقطار الأرض، مَثلُ واجبِ ذلك على الناس، لولي زمانهم أن يأتوه من كلّ أُفق من الآفاق.

ومثل مسجد الرسول ﷺ مثلُ الحجّة وكذلك، على الناس أن يأتوه كما يأتون المسجدَ الحرام.

ومثلُ مسجد بيت المقدس مثلُ بابه، أكبر الدعاة وبابهم، ويسمّىٰ باب الأبواب.

وجوامع الأمصار أمثالها أمثال النقباء وهم أكابر الدعاة أصحاب الجزائر.

ومساجد القبائل أمثالها أمثال دعاة القبائل على مقاديرهم، كمثل المساجد في فضلها، وفضل بعضها على بعض، وسعتِها، وضيقها، كذلك الدعاة منهم مشهورون بالفضل، وبعضهم أفضل من بعض وأوسع علماً.[1]

في تكبيرة الإفتتاح

يقول: إذا افتتحت الصلاة فارفع يديك، ولا تجاوز بهما أُذنيك، وأبسطهما بسطاً، ثمّ كبّر، فهذه التكبيرة التي تكون في أوّل الصلاة، هي تكبيرة الإفتتاح، ورفع اليدين فيهما واجب عند أكثر الناس، إلاّ أنّهم يختلفون في منتهى حدّ ذلك، والثابت عن أهل البيت ﷺ ما جاء في هذه الرواية عن الصادق ﷺ أنّه لا يجاوز

١. تأويل الدعائم:١/ ٢٢٥.

بهما الأُذنين، والذي يؤمر به في ذلك أن يحاذي بأطراف الأصابع من اليدين أعلى الأُذنين، ويحاذي بأسفل الكفين أسفلَ الذقن، فتكونُ اليدان قد حاذتا ما في الوجه من المنافذ السبعة، وهي: الفم، والمنخران، والعينان، والأُذنان.

وتأويل ذلك أنّ مثل اليدين مثل الإمام والحجّة، ومثل هذه المنافذ السبعة، مثل النطقاء السبعة، فمثل رفع اليدين إلى أن يحاذيهما، مثلُ الإقرار في أوّل دعوة الحقّ بالإمام والحجّة والنطقاء السبعة أعني: إمام الزمان وحجّته، وأن لا يفرّق بين أحدٍ منهم، ومثل قوله:«الله أكبر» انّه شهادة و إقرار واعتقاد بأنّ الله أكبر وأجل وأعظم من كلّ شيء وأنّ النطقاء والأئمّة والحجج ـ وإن قرن الله طاعتهم بطاعته ـ عباد من عباده مربوبون.[1]

في القراءة

يقول: يقرأ في الصلاة في كلّ ركعة بعد بسم الله الرّحمن الرّحيم، بفاتحة الكتاب، وفي الركعتين الأوليين، بعد فاتحة الكتاب بسورة، ونُهي عن أن يُقال«آمين» بعد فراغ فاتحة الكتاب، كما تقول ذلك العامّة.

تأويل ذلك أنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم تسعةَ عشر حرفاً، بسم الله سبعة أحرف، وهي مثل النطقاء السبعة، والسبعة الأئمّة الذين يتعاقبون الإمامة بين كل ناطقين، الرّحمن الرّحيم اثني عشر حرفاً مثل النقباء الاثني عشر.

وتأويل قراءته في كلّ ركعة بفاتحة الكتاب، من أنها سبع آيات وأنّه جاء في التفسير أنّها السبع المثاني، لأنّها تثنى في كلّ ركعة، وانّ مَثَلَها ومثل قراءتها في الصلاة مثل الإقرار بالسبعة الأئمّة الذين يتعاقبون الإمامة بين كلّ ناطقين، وانّ ذلك هو قول الله تعالى لمحمد نبيه ﷺ:﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾[2]

---

١. تأويل الدعائم:١/ ٢٥٩.

٢. الحجر:٨٧.

وتأويله أنّه جعل في ذريته سبعة أئمّـة يثنّى منهم اسبوع بعد اسبوع، كما يثنّى أيّام الجُمعـة إلى أن تقوم السـاعة وانّـه جمع له علـم النطقاء والأئمّـة من قبله والقـرآن العظيم،و مثله في التأويل مثل أساس دعوته وأئمّته وهو وصيّه علي(ص).

وأمّـا قراءة فـاتحة الكتاب وسـورة في كلّ ركعـة تقرنـان فيها فمَثَل ذلك في التأويل، مثل الإقـرار في دعوة الحقّ بإمـام الزمان وحجّته وقـول العامّة بعـد فراغ سورة الحمد آمين زيادة فيها فنهى عن ذلك كما يُنهى عن إدخال غير أولياء الله في جملتهم،وعن زيادة غيرهم فيهم.[١]

في صلاة العيدين

يقول: ليس في العيدين أذان ولا إقامة، ولا نـافلة، ويُبدأ فيهما بالصلاة قبل الخطبة، خلاف الجُمعة؛و صلاةَ العيدين ركعتان يُجهر فيهما بالقراءة.

تأويل ذلك: أنّ مثـل الخروج إلى العيـدين مَثَـلُ الخروج إلى جهـاد الأعداء،وأنّ مثل الأذان مثل الـدعوة والخروج إلى العدو،وليست تقـام له دعوة، إذ تقدم في دعوة الحقّ الأمـر به، و إنّما يُلزِم الناس أن ينفروا ويخرجـوا إليه، كما أوجب اللهُ ذلك عليهم في كتابه.

ومعنـى البدء في الصـلاة يـوم العيـدين قبـل الخطبـة، خـلاف الجمعـة، أنّ الخروج إلى العيدين مَثَـلُ الخروج إلى جهاد العدو، واستقبال القبلـة في الصلاة مَثَلُ استقبال الإمام بـالطاعة والسمع له وذكرنا أنّ مثـل الخطبة من الخطيب مثلُ التوقيف مـن الداعي مَنْ يدعـوه على ما يأمره بـه، فكان مَثَلُ الإبداء بـالصلاة في العيديـن مَثَلُ إقبال الخارجين إلى جهاد الأعـداء في حين خروجهم على إمـامهم، والسّمع منهم والطـاعة لما به يأمـرهم، وما عليـه يرتّبهم ويقيمهم وفي مقـاماتهم، فـذلك مَثَلُ الصـلاة وبـه يبتدئ، ومثـل الخطبـة بعد ذلـك مثل تحريض الإمام

---

١. المصدر نفسه:٢٦٩.

المؤمنين على الجهاد، وأمره ونهيه إيّاهم في ذلك، بما يأمرهم به، وينهاهم عنه، ولذلك كان في خطبة العيدين الأمر بالجهاد وبطاعة الإمام، والتوبيخ على التقصير في العمل.[1]

هذه نماذج من تأويلات الإسماعيليّة، في مجال الأحكام الشرعيّة، ومن أراد الاستقصاء فعليه الرجوع ــ مضافاً إلى كتاب تأويل الدعائم ـ إلى كتاب «وجه دين» للرحالة ناصر خسرو (٣٩٤ـ٤٧١ أو ٤٨١هـ)، فقد قام بتأويل ما جاء من الأحكام في غير واحد من الأبواب، حتى الحدود والدّيات، والنكاح، والسفاح،و لكنّه ألّفه بلغة فارسية قديمة، فعلى من يريد المزيد من الاطلاع فليرجع إلى ذلك الكتاب، وقد طبع عام ١٣٩٧هـ طبعة أنيقة.

١. تأويل الدعائم: ١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤.



الفصل الثالث عشر



في

أعلام الفكر الإسماعيلي



ظهر المذهب الإسماعيلي على الساحة الإسلاميّة بطابَع دينيّ بحت، مدّعياً استمرار الإمامة، المتجسّدة في إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسماعيل، ولمّا اشتدَّ سلطانهم بقيام دولة لهم في شمال إفريقية، في بلاد المغرب، ومصر، ظهرت بينهم شخصيات بارزة في حقول السياسة والفلسفة والفقه والحديث والأدب وغيرها، وبما أنّ دراسة سيرتهم وما قدموه من تراث للمجتمع الإسلامي خارج عن موضوع كتابنا، لأنه رهن دراسة تاريخ الدولة الفاطميّة؛ فلنقتصر على ترجمة لفيف من أعلامهم ومفكّريهم، مِمّن كان لهم دور في نضج المذهب وتكامله وانتشاره.

١

أحمد بن حمدان بن أحمد الورثنياني

(أبوحاتم الرازي)

(٢٦٠ـ٣٢٢هـ)

أحمد بن حمدان بن أحمد الورثنياني الليثي (أبوحاتم الرازي) من زعماء الإسماعيليّة وكُتّابهم، أوّل من ترجمه هو الصدوق في «تاريخ الري» حسب ما نقله ابن حجر في «لسان الميزان»، قال:

ذكره أبو الحسن ابن بابويه في «تاريخ الري»، وقال: كان من أهل الفضل والأدب، والمعرفة باللغة، وسمع الحديث كثيراً، وله تصانيف؛ ثمّ أظهر القول بالإلحاد وصار من دعاة الإسماعيليّة، وأضلّ جماعة من الأكابر ومات في سنة

٣٢٢هـ.[١]

و نقل صاحب الأعيان عن الرياض ما هذا لفظه: كان من القدماء المعاصرين للصدوق، له كتاب الرد على محمد بن زكريا الطبيب الرازي في الإلحاد وإنكار النبوة.[٢]

وقال مصطفى غالب: كان داعياً كبيراً لبلاد الري وطبرستان وآذربيجان، وقد استطاع أن يُدخل أمير الري في المذهب الإسماعيلي وكان من كبار دعاة القائم بأمر الله، ونؤكّد أنّه لعِب دوراً عظيماً في شؤون طهران والديلم والري، السياسيّة، فاستجاب لدعوته أعظم رجالات تلك البلاد، وله مؤلفات عظيمة منها:

١. كتاب «الزينة»: كتاب في الفقه والفلسفة الإسماعيليّة.

٢. «أعلام النبوة»: كتاب يبحث في الفلسفة الإسماعيليّة.

٣. «الإصلاح»: كتاب يبحث في التأويل.

٤. «الجامع» كتاب في الفقه الإسماعيلي.[٣]

والحقيقة فإنّ أبا حاتم الرازي كان علماً من أعلام النهضة العلميّة عند الإسماعيليّة،وقد ساهم بنشر التعاليم الفلسفيّة في كافّة الأقطار الشرقيّة، وخاصّة في محيط الثقافة الإسلاميّة العامّة، وبالرغم من كلّ هذا فإنّه لم يَسلم من اضطهاد الأعداء في الديلم، وقد اضطر إلى الاختفاء في أواخر سني حياته، ومات سنة ٣٢٢هـ بعد تولية القائم الفاطمي شؤون الإمامة الإسماعيليّة، في بلاد المغرب، وقد عمّر اثنين وستين عاماً، كما قال بعض المؤرخين.

كان معاصراً لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور، وصاحب

---

١. لسان الميزان:١/ ١٦٤.

٢. الأمين العاملي: أعيان الشيعة:٢/ ٥٨٣، ولم نعثر على النص في رياض العلماء المطبوع.

٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية :١٨٦.

الآراء الفلسفيّة المعروفة، التي خرج فيها على كثير من نظريات أرسطو الطبيعية والميتا فيزيائية، منكراً التوفيق بين الفلسفة والدين، معتقداً بأنّ الفلسفة هي الطريق الوحيد لإصلاح الفرد والمجتمع.

وقد دارت بينهما (أي بين الرازيين) مناقشات عنيفة ومتعددة، حضرها بعض العلماء والرؤساء السياسيين، وقد دوّن أبو حاتم هذه المناقشات في كتابه «أعلام النبوة». [١]

وإليك كلاماً حول كتابه «أعلام النبوة»، فالكتاب يصوّر لنا معركة فكريّة عقائديّة بين رازيين، هما: أبو حاتم الداعي المتكلم الإسماعيلي، ومحمد بن زكريا الطبيب المتفلسف حيث تعددت اللقاءات بينهما، ودار النقاش حول مواضيع شتى في جوانب الثقافة الإسلاميّة، من عقائد فلسفيّة وكلام وطب وصيدلة وهيئة، وما إلى ذلك.

إنّ اختلاف الرأي بين الرجلين في هذه الجوانب لم يكن إلاّ مظاهر متعددة لاختلاف أساسي واحد بينهما في الرأي حول العقل الإنساني، وتكليفه وحدود إمكانه من جانب،والنبوّة والضرورة إليها من جانب آخر. [٢]

والكتاب جدير بالمطالعة وقد بدأ المؤلف كتابه بقوله:

ناظرني «الملحد» في أمر النبوّة وأورد كلاماً نحو ما رسمه في كتابه الذي قد ذكرناه فقال:

«من أين أوجبتم أنّ الله اختصَّ قوماً بالنبوّة دون قوم، وفضلهم على الناس،وجعلهم أدلّة لهم، وأحوج الناس إليهم؟ ومن أين أجزتم في حكمة الحكيم أن يختار لهم ذلك ويشلي بعضهم على بعض، ويؤكد بينهم العداوات

---

١. كتاب الرياض: ٨ـ٩ المقدمة بقلم عارف تامر.

٢. أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة: ٤، المقدمة بقلم صلاح الصاوي.

ويكسر المحاربات ويهلك بذلك الناس؟!». [١]

ثمّ ذكر المناظرة.

وترجمه ابنُ النديم في «الفهرست»، وقال: وله من الكتب «كتاب الزينة» نحو ٤٠٠ ورقة وكتاب «الجامع» وفيه فقه. [٢]

٢

محمد بن أحمد النسفي البردغي (النخشبي)

(... ـ ٣٣١هـ)

كان كبير دُعاة خراسان وتركستان، استطاع أن يدخل في المذهب الإسماعيلي الكثيرين، من أهل تلك البلاد، اشتهر في تعمّقه بدراسة فلسفة المذهب الإسماعيلي؛ ومن أشهر مؤلفاته:

١. كتاب «المحصول» يتألّف من ٤٠٠ صفحة جلّها في الفلسفة الإسماعيليّة.

٢. «كون العالم».

٣. كتاب «الدعوة الناجية».

٤. كتاب «أُصول الشرع» يبحث في الفقه الإسماعيلي، وفلسفة ما وراء الطبيعة.

توفي هذا الداعي سنة ٣٣١هـ. [٣]

---

١. أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة:١، وطبع الكتاب في طهران عام ١٣٩٧هـ وترجمه خير الدين الزركلي و لم يأتِ بشيء يذكر لاحظ الأعلام:١/ ١١٩.

٢. ابن النديم: الفهرست:٢٨٢.

٣. تاريخ الدعوة الإسماعيليّة:١٨٦ـ١٨٧، وقد ذكره باسم عبد الله بن أحمد النسفي البردغي، وجاء في مقدمة كتاب الرياض، للكرماني، باسم محمد بن أحمد النسفي، والمقدمة لعارف تامر.

يقول عارف تامر: إنّ أوّل جَدَل فَتح للإسماعيليّة الآفاق الجديدة، ظهورُ كتاب «المحصول»، وهذا الكتاب وضع موضع التداول في بداية القرن الرابع الهجري، وينسب إلى الداعي السوري الأكبر «محمد بن أحمد النسفي» الذي كان له الفضل بتحويل مذهب الدولة السامانية في آذربيجان إلى الإسماعيليّة، وقد أُعدم سنة ٣٣١ هـ كما جاء في كتاب «الفرق بين الفرق» لمؤلفه عبد القاهر البغدادي. (١)

وقد ذكر ابن النديم في الفهرست أنّ النسفي خلف، الحسين بن علي المروزي في خراسان، الذي مات في حبس نصر بن أحمد،و استغوى نصر بن أحمد وأدخله في الدعوة الإسماعيليّة، وأغرمه دية المروزي، وزعم أنّه ينفذها إلى صاحب المغرب القيّم بالأمر. فلحق نصر سقمٌ طرحه على فراشه، وندم على إجابته للنسفي، فأظهر ذلك ومات.

فجمع ابنه نوح بن نصر الفقهاء وأحضر النسفي، فناظروه وهتكوه وفضحوه، فقتل النسفي، ورؤساء الدعاة ووجوهها من قواد نصر، ممن دخل في الدعوة ومزقهم كل ممزق. (٢)

٣

أبو يعقوب السجستاني

(٢٧١ـ وكان حيّاً عام ٣٦٠هـ)

أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني، ولد عام ٢٧١ هـ في سجستان، وهي مقاطعة في جنوب خراسان يمتُّ بصِلة النسب إلى أُسرة فارسيّة،

---

١. عارف تامر: كتاب الرياض:٦، قسم المقدمة.

٢. ابن النديم: الفهرست :٢٣٩.

وقيل أنّه من أصل عربي، جاء جدُّه من الكوفة، وقطن في سجستان.

نشأ السجستاني في مدارس الدعوة الإسماعيليّة في اليمن، وأسهم مساهمة فعّالة في المناظرات العلميّة التي كانت تجري في ذلك العصر.[١]

يقول عنه الكاتب الإسماعيلي عارف تامر: يعتبر أبو يعقوب إسحاق السجستاني (السجزي) في طليعة العلماء الذين كرّسوا أنفسهم لوضع قواعد فلسفيّة كونيّة قائمة على دعائم فكريّة عقائديّة إسماعيليّة، ونشرها وتعميمها في الأقطار الأُخرىٰ، حتى اتّهم في أواخر حياته، بالكفر والإلحاد، من الجمهور، ثمّ قتل أخيراً.

وقد لعب السجستاني دوراً هامّاً في مجال الفلسفة في القرن الثالث للهجرة، وقد ظهر أثره الفكري في تلميذه حميد الدين الكرماني (حجة العراقين) الذي سار على منهاجه، ودعا إلى تعاليمه.

عاصر الدعوة الإسماعيليّة الباطنيّة في عصر الظهور أي ابان ازدهار الدولة الفاطميّة وظهورها كدولة إسلاميّة ذات كيان حضاري، وعلمي، واجتماعي، وسياسي.[٢]

كتب كتاب «النصرة» الذي عارض فيه كتاب «الإصلاح» الذي وضعه أبو حاتم الرازي في الرد على آراء النسفي التي وردت في كتابه«المحصول» وبذلك انتصر للنسفي على الرازي.

وقام الكرماني إلى تأليف كتابه «الرياض» بتقريب وجهات النظر بين الدعاة المتجادلين (النسفي، الرازي، السجستاني).

ترك السجستاني بعده مؤلفات علميّة فلسفيّة عددها ينوف على الثلاثين

١. مصطفى غالب: مقدمة الينابيع: ٤٦.
٢. عارف تامر: مقدمة كتاب الرياض: ١٠، نقل بتصرف.

ولعل أشهر كتبه:

١. كتاب النصرة، ٢. كتاب الافتخار، ٣. كتاب المقاليد، ٤. كتاب مسيلة الأحزان، ٥. كتاب سلم النجاة، ٦. كتاب سرائر المعاد والمعاش، ٧. كتاب كشف المحجوب، ٨. كتاب الوعظ، ٩. كتاب أُسس البقاء، ١٠، كتاب خزانة الأدلة، ١١. كتاب تآلف الأرواح، ١٢. كتاب تأويل الشريعة، ١٣. كتاب أساس الدعوة، ١٤. رسالة تحفة المستجيبين، ١٥. كتاب الينابيع [1].

وقد وقفنا من كتبه على كتاب ورسالة فالكتاب تحت عنوان «الينابيع» بتقديم وتحقيق مصطفى غالب، نشره المكتب التجاري للطباعة في لبنان ـ بيروت عام ١٩٦٥ م.

و قد قسم السجستاني ينابيعه إلى أربعين يُنبوعاً، جعل كلَّ ينبوع مشابهاً لحدٍّ من الحدود الدينيّة، المعروفة بالنظام الإسماعيلي. ويظهر أنّه قد وضعه لطبقة خاصّة من الدعاة، وأصحاب المراتب العليا في الدعوة، وإلى الذين وصلوا في دراساتهم الفلسفيّة إلى الذروة.

و أمّا الرسالة فهي رسالة «تحفة المستجيبين» طبعت ضمن خمس رسائل إسماعيليّة بتحقيق وتقديم عارف تامر عام ١٣٧٥هـ. كتبها لطبقة المستجيبين والطلاب الذين يرغبون في الاطلاع على الفلسفة الإسماعيليّة، أو الدخول في الدعوة الهادية.

وقد ترجم له مصطفى غالب أيضاً في تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ١٨٧.

ولادته ووفاته

ذكر مصطفى غالب أنّه ولد سنة ٢٧١هـ في سجستان، ثمّ قال: وبعد اضطهاد مرير، قُتل في تركستان عام ٣٣١هـ.

---

١. مقدمة الينابيع: ٤٧.

غير أنّ الكاتب الإسماعيلي عارف تامر يذكر خلاف ذلك ويقول: يذهب «ماسينيون» و«و.ايفانوف» إلى القول أنّه مات سنة ٣٣١هـ ولكنّي أخالفهما في ذلك فالمعروف عن السجستاني أنّه كان أُستاذاً للكرماني، والكرماني ظل عائشاً حتى سنة ٤١١هـ إذن متى أخذ الكرماني عنه علوم الدعوة؟ وهناك نص صريح في كتاب «الافتخار» للسجستاني يذكر فيه أنّه وضعه سنة ٣٦٠هـ وقد ورد ذكر كتاب «الافتخار» في كتاب «الرياض» للسجستاني نفسه، أي أنّ السجستاني وضع كتاب «الرياض» بعدكتاب «الافتخار» أي سنة ٣٦٠هـ.

وهذا يجعلنا نقول بل نؤكد: إنّ السجستاني كان داعياً في منطقة بخارى أيّام إمامة المعز لدين الله الفاطمي، أي انّه كان معاصراً لجعفر بن منصور اليمني، وللقاضي النعمان وغيرهما، من كبار المؤلفين وعلماء الدعوة في ذلك العصر العلمي الزاهر.[1]

وقال البغدادي عند البحث عن الباطنيّة: وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعراني، وقتل بها في ولاية أبي بكر بن الحجاج عليها، وكان الشعراني قد دعا الحسين بن علي المروزي، وقام بدعوته بعده محمد بن أحمد النسفي داعية أهل ماوراء النهر، وأبو يعقوب السجزي المعروف بـ«بندانه» وصنف النسفي لهم كتاب «المحصول» وصنف لهم أبو يعقوب كتاب «أساس الدعوة» وكتاب «تأويل الشرائع» و«كشف الأسرار» وقتل النسفي والمعروف بـ «بندانه» على ضلالتهما.[2]

وقال خير الدين الزركلي: إسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني أبو يعقوب، من علماء الإسماعيليّة ودعاتهم يماني، اشتهر في سجستان، وقتل في تركستان، له تصانيف منها «الينابيع» قالوا: إنّه أهمُّ كتبهم.[3]

---

١. عارف تامر: مقدمة خمس رسائل إسماعيلية: ١٥ـ١٦.

٢. البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٨٣.

٣. خير الدين الزركلي: الأعلام: ١/ ٢٩٣.

٤

أبوحنيفة النعمان

(...ـ٣٦٣هـ)

قاضي القضاة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمي، واختلف في تاريخ ولادته، فقال بعضهم: إنّها سنة ٢٥٩هـ وقال آخرون: إنّه ولد في العشر الأخيرة من القرن الثالث.

إتّصل في أوّل عهده بمؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي، ورافق الدولة الجديدة خطوةً فخطوة، وبعد وفاة المهدي ولاّه «القائم بأمر الله» قضاء طرابلس الغرب، وفي عهد المنصور تولّى قضاء المنصورية، وكان قضاؤه يشمل سائر المدن الإفريقيّة، مرجعاً لجميع القضاة حتى عهد المعز لدين الله الذي قرّبه إليه، وأدناه من مجلسه، فوضع فيه كتاب «المجالس والمسامرات».

ولما دخل المعز مصر، كان معه «النعمان» وكان قاضياً للجيش، فأصبح في مصر قاضياً للقضاة. [1]

وكان محط ثقة المعز لدين الله، جعله مستشاراً قضائياً له، وساعد المعز في المسائل الخاصّة بالدعوة، فقد وضع أُسس القانون الفاطمي، وينظر إليه على أنّه المشرع الأكبر للفاطميين. يقول رواة الفاطميين: إنّه لم يؤلف شيئاً دون الرجوع إلى المعز لدين الله، ويعتبر أقوم كتبه كتاب «دعائم الإسلام» أنّه من عمل المعز نفسه، وليس من عمل قاضيه الأكبر، ولهذا كان هذا الكتاب هوالقانون الرسمي منذ عهد المعز حتى نهاية الدولة الفاطمية، كما يتضح ذلك من رسالة كتبها الحاكم بأمر الله

١ . أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٢٣.

إلى داعيه باليمن، بل لا يزال هذا الكتاب هوالوحيد الذي يسيطر على حياة طائفة البهرة في الهند، وعليه المعول في أحوالهم الشخصيّة. [١]

توفي النعمان أوّل رجب سنة ٣٦٣هـ فخرج المعز يبين الحزن عليه، وصلّى عليه، وأضجعه في التابوت، ودفن في داره بالقاهرة [٢] وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني في «سيرة القائد جوهر» أنّه توفي في ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة. [٣]

بلغت مؤلّفاته نحواً من سبعة وأربعين كتاباً، جمعت ألواناً شتى من العلوم في فقه، وتأويل وتفسير، وأخبار، وفيها نقل ابن خلكان عن ابن زولاق: «انّه ألّف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف».

وهذه المؤلفات بعضها محفوظ، وبعضها لا يوجد إلاّ بعض أجزائه وبعضها فُقد فلا يعرف إلاّ اسمه، وإليك أسماء بعض تلك المؤلفات:

١. جزء من كتاب شرح الأخبار، في مكتبة برلين.

٢. دعائم الإسلام، وهذا الكتاب من أهم كتبه، مطبوع.

٣. تأويل دعائم الإسلام، مطبوع.

٤. أساس التأويل، مطبوع.

٥. جزء من كتاب المجالس والمسافرات.

٦. كتاب الهمة في اتّباع الأئمّة.

٧. إفتتاح الدعوة، مطبوع.

٨. الارجوزة المختارة، مطبوع.

٩. الطهارة.

---

١. دعائم الإسلام: ١/ ١٢، قسم المقدمة.

٢. اتعاظ الحنفاء: ١/ ١٤٩.

٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/ ٤١٦.

١٠. التوحيد والإمامة.[1]

١١. كتاب «الاقتصار» في الفقه، مطبوع.

١٢. كتاب «الأخبار» في الفقه أيضاً.

١٣. ابتداء الدعوة للعبيديين، مطبوع في جزء.

وقال عنه ابن زولاق في كتاب «أخبار قضاة مصر» :إنّه كان عالماً بوجوه الفقه، وعلم اختلاف الفقهاء، واللغة والشعر، والمعرفة بأيّام الناس.

إلى أن قال: وله ردود على المخالفين: له رد على أبي حنيفة، وعلى مالك، والشافعي، وعلى ابن سريج، وكتاب «اختلاف الفقهاء» ينتصر فيه لأهل البيت، وله العقيدة الفقهية لقبها بـ«المنتخبة».[2]

النعمان إسماعيلي لا اثني عشري

وقعت الشكوك حول مذهب النعمان وهل هو إسماعيليّ أو اثنا عشري؟ وبعد التتبع والإمعان في الكتب التي تحت متناول أيدينا من آثار المؤلف، وهي:

١. الدعائم.

٢. تأويل الدعائم.

٣. الأُرجوزة المختارة.

٤. أساس التأويل.

٥. كتاب الاقتصار في الفقه.

---

١. أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٢٣.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان:٥/ ٤١٦. ومن أراد المزيد فليراجع المصادر التالية: معالم العلماء:١٢٦؛ العبر:٢/ ١١٧؛ دول الإسلام: ١/ ٢٢٤؛ سير اعلام النبلاء:١٦/ ١٥٠؛ اتعاظ الحنفاء:١٤٩؛ لسان الميزان:٦/ ١٦٧؛ شذرات الذهب:٣/ ٤٧؛ رياض العلماء:٤/ ٣٧٥؛ ريحانة الأدب: ٧/ ٧٣؛ روضات الجنات: ٨/ ١٤٧.

٦. رسالة افتتاح الدعوة.

٧. الرسالة المذهبة.

اتضح أنّ الرجل إسماعيلي لا اثنا عشري، وإن كان محباً لأهل البيت كثيراً، ويتنزّه عن بعض العقائد المنحرفة عند الإسماعيليّة. وقد ذكر في باب «ذكر منازل الأئمّة» شيئاً عن أحوال الغلاة كما وذكرمعاملة علي معهم بالإحراق، إلى أن يقول: وكان في أعصار الأئمّة من ولد علي مثل ذلك ما يطول الخبر بذكرهم، كالمغيرة بن سعيد (لعنه الله) وكان من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي ودعاته.

إلى أن قال: ولعن أبو جعفر، المغيرة وأصحابه، ثمّ ذكر «أبا الخطاب» وعقيدتهم الإباحيّة، وأنّ أبا جعفر لعنه كل ذلك يدل على سلامة عقيدته في حقّ الأئمّة [1].

ومع ذلك كلّه فهو فقيه إسماعيلي اعتنق ذلك المذهب بعدما كان سنيّاً، ولم يكن إمامياً اثني عشرياً.

نعم ذكر المحدّث النوري، أنّ الرجل كان إمامياً اثني عشريّاً، وأنّ اقتصاره على الحديث عن الأئمّة الست، لأجل ستر الأمر وكتمان السر، واستشهد على ذلك بوجوه غير مجدية نشير إلى بعضها:

الأوّل: قال ابن خلكان: كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل، على مالا مزيد عليه، وله عدّة تصانيف ـ إلى أن قال ـ: وكان مالكي المذهب ثمّ انتقل إلى مذهب الإماميّة وصنف كتاب «ابتداء الدعوة للعبيدين». [2]

أقول: إنّ المراد من الإماميّة من يعتقد بإمامة علي وأولاده، سواء كان زيدياً أو إسماعيلياً أو اثني عشرياً، والإسماعيليّة يصفون أنفسهم بالإماميّة لقولهم بإمامة

---

١. لاحظ دعائم الإسلام: ١/ ٤٥، باب ذكر منازل الأئمة.

٢. وفيات الأعيان: ٥/ ٤١٥ برقم ٧٦٦.

المنصوص عليهم؛ والذي يدل على ذلك أنّ ابن خلكان يذكر بعد قوله: «ثمّ انتقل إلى مذهب الإماميّة» وصنف كتاب «ابتداء الدعوة للعبيديين» والمراد منه الدعوة «لعبيدالله المهدي» مؤسس الدولة الفاطميّة في المغرب ومصر.

وأمّا ما نقله ابن خلكان عن ابن زولاق، انّه قال: وللقاضي كتاب: «اختلاف الفقهاء» ينتصر فيه لأهل البيت فليس دليلاً على ما يتبنّاه لأنّ الفرق الثلاث كلّهم ينتمون إلى أهل البيت ﷺ.

الثاني:

١. روايته عن أبي جعفر الثاني «الإمام الجواد» ﷺ، والرضا ﷺ ففي كتاب الوصايا عن ابن أبي عمير أنّه قال: كنت جالساً على باب أبي جعفر ﷺ إذ أقبلت امرأة، فقالت: استأذن لي على أبي جعفر ﷺ ،فقيل لها: وما تريدين منه؟قالت: أردت أن أسأله عن مسألة ، قيل لها: هذا الحكم، فقيه أهل العراق فاسأليه.

قالت: إنّ زوجي هلك وترك ألف درهم،و كان لي عليه من صداق خمسمائة درهم، فأخذت صداقي،و أخذت ميراثي، ثمّ جاء رجل فقال لي: عليه ألف درهم وكنت أعرف له ذلك، فشهدت بها.

فقال الحكم: اصبري حتى أتدبر في مسألتك وأحسبها وجعل يحسب، فخرج إليه أبو جعفر ﷺ وهو على ذلك، فقال: ما هذاالذي تحرك أصابعك يا حكم؟ فأخبره فما أتم الكلام حتى قال أبوجعفر ﷺ : أقرت له بثلثي ما بيديها، ولا ميراث له حتى تقضي.

ثمّ ذكر المحدّث النوري: أنّ المراد من أبي جعفر هو الإمام الجواد، لأنّ ابن أبي عمير لم يدرك الصادق فضلاً عن الباقر ﷺ. [1]

---

١. النوري: المستدرك:٣/ ٣١٤، الفائدة الثانية.

أقول: إنّ النسخة الموجودة عند المحدّث النوري كانت مغلوطة محرّفة، وقد جاءت الرواية في كتاب دعائم الإسلام في مصر بتحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، بالنحو التالي: عن الحكم بن عيينة [١]، قال: كنت جالساً على باب أبي جعفر وذكر الحديث [٢].

والشاهد على أنّ الجالس كان هو الحكم بن عتيبة لا ابن أبي عمير ما في متن الرواية حيث قيل لها: هذا الحكم فقيه أهل العراق.

٢. انّه روى في كتاب الميراث عن حذيفة بن منصور قال: مات أخ لي وترك ابنته فأمرت إسماعيل بن جابر أن يسأل أبا الحسن علياً ـ صلوات الله عليه ـ عن ذلك فسأله فقال: المال كلّه للابنة. [٣] وقد تصفحنا كتاب الفرائض من الدعائم المطبوع بمصر فلم نعثر على الحديث. [٤]

٣. روى في كتاب الوقوف عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أنّ بعض أصحابه كتب إليه أنّ فلاناً ابتاع ضيعة وجعل لك في الوقف الخمس الخ.

وهذا الخبر مروي في الكافي و التهذيب والفقيه مسنداً عن علي بن مهزيار قال: كتبت إلى أبي جعفر الخ، وعلي بن مهزيار من أصحاب الجواد والرضا عليهما السلام لم يدرك قبلهما من الأئمة أحداً. [٥]

ما نقله عن علي بن مهزيار، و رواه الكليني في كتاب الوصايا [٦]، ورواه

---

١. الصحيح، الحكم بن عتيبة، (٤٧ ـ ١١٥ هـ) وهو من مشاهير فقهاء عصر أبي جعفر الباقر عليه السلام. راجع رجال الكشي: ١٧٧، ورجال الطوسي: ٨٦ برقم ٦.

٢. دعائم الإسلام: ٢/ ٣٦٠ برقم ١٣٠٩.

٣. المستدرك: ٣/ ٣١٤.

٤. لاحظ الدعائم: ٢/ ٣٦٥ـ ٤٠٠.

٥. المستدرك: ٣/ ٣١٤.

٦. الكافي: ٧/ ٣٦ برقم ٣٠.

الشيخ في التهذيب[١] ورواه الصدوق في الفقيه.[٢]

هذا في كتبنا وأمّا الدعائم، فقد رواه في كتاب الصدقة، بالنحو التالي:

عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ، أنّه قال: تصدّق الحسين بن علي بدار، فقال له الحسن بن علي: تحوّل عنها.

وعنه أنّ بعض أصحابه كتب إليه: أنّ فلاناً إبتاع ضَيعةً فأوقفها، وجعل لك في الوقف الخمس .... .[٣]

غير أنّ المتبادر من أبي جعفر بقرينة مضمون الحديث حيث يحكي فعل الحسن بن علي هو الإمام الباقر ﷺ، وهو في كتابه يكرر النقل عن أبي جعفر ويذكر اسمه بعده، ويقول: محمد بن علي، ومراده الإمام الباقر ﷺ.

وعلى ذلك فالضمير في الحديث الثاني يرجع إلى الإمام الباقر.

نعم بقي هنا شيء وهو تقارب ما روي في الدعائم مع ما روي في جوامعنا في مضمون الخبر،و هو قابل للتأمّل.

٤. ذكر في الدعاء بعد الصلاة:و روينا عن الأئمّة، أنّهم أمروا بالتقرّب بعد كلّ صلاة فريضة، إذا سلّم المصلي بسط يديه ورفع باطنهما، ثم قال: اللّهمّ إنّي أتقرب إليك بمحمد رسولك ونبيك، وبوصيّه علي وليّك، وبالأئمّة من ولده الطاهرين، الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد ويُسمّي الأئمة إماماً إماماً إلى أن ينتهي لإمام عصره.

ثمّ يقول: اللّهمّ إنّي أتقرّب إليك بهم.[٤]

---

١. التهذيب:٩/ ١٣٠ برقم ٤.

٢. الفقيه: ٤/ ١٧٨ برقم ٦٢٨.

٣. دعائم الإسلام:٢/ ٣٤٤.

٤. دعائم الإسلام: ١/ ١٧١.

قال النوري: غير خفي على المنصف أنّه لو كان إسماعيلياً، لذكر بعده إسماعيل بن جعفر بن محمد بن إسماعيل إلىٰ إمام عصره المنصور بالله والمهدي بالله.[1]

أقول: إنّه لم يذكر أسماءهم إمّا لكثرتهم، أو لإخفاء سرّهم كما ذكره في منظومته، فيقول:

ولم يكن يمنعني من ذكرهم — إلاّ احتفاظي بمصون سرّهم
وليس لي بأن أقول جهراً — ما كان قد أُدّي إليّ سِرّا
وهم على الجملة كانوا استتروا — و لم يكونوا إذ تولوا ظهروا
بل دخلوا في جملة السواد — لخوفهم من سطوة الأعادي
حتى إذا انتهى الكتاب أجله — وصار أمر الله فيمن جعله
بمنه مفتاح قفل الدين — أيّده بالنصر والتمكين
فقام عبد الله وهو الصادق — مهدينا صلىٰ عليه الخالق[2]

إلى آخر ما ذكره، ومراده من المهدي، هو عبيد الله المهدي.

إلى هنا تبيّن أنّه لا دليل علىٰ كون الرجل اثني عشرياً إلى آخر عمره، أو كان اثني عشرياً، وعدل عنها إلى الإسماعيليّة.

نعم بقي هنا شيء وهو أنّه ذكر في كتاب «الارجوزة المختارة» فرق الشيعة، وردّ على الرونديّة، والزيديّة، والجاروديّة، والبتريّة، والمغيريّة، والكيسانيّة، والكربيّة، والبيانيّة، والمختارية والحارثيّة، والعباسيّة، والرزاميّة، ولم يذكر شيئاً ما عن الإماميّة الاثني عشريّة.

---

١. المستدرك: ٣/ ٣١٧.

٢. الارجوزة المختارة: ١٩٢.

ويقول:

وهــذه أُصــول قــول الشيعــة ولــو حكيــت معهــا فــروعــه
لاتّسـع القــول بغير فــائدة وكــانـت الحجـة فيـه واحــدة[١]

وهذا من العجب، مع أنّ الاثني عشرية، من أشهر الفرق، وهذا يدفعنا إلى القول، بأنّه كان يميل إليها بعض الميل، والله العالم.

نظرة في كتاب الدعائم

نرىٰ في كتـاب الدعـائم أنّ قاضي القضاة حفظ السنـة المرويّة عن طـريق أئمّة أهل البيـت، وأنّه أكثر الرواية عن الصادقين ﷺ، غير أنّه لم تكن لـه صلة بعلماء المذهب الاثنـي عشري، ولذلـك خالفهم في نفـس كتاب الإرث في مـوارد عديدة:

١ . ممّا روي عـن علي أنّه قضىٰ في رجل هلـك، ولم يخلّف وارثاً غير امـرأته، فقضىٰ لها بـالميراث كلّه. وفي امرأة هلكـت ولم تدع وارثاً غير زوج لها، فقضـىٰ له بالميراث كلّه.

فزعم أنّه يخالف ظاهر نص الكتاب، وثابت السنة.[٢]

٢ . ما روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله، أنّهما قالا: لا يرث النساء من الأرض شيئاً، وإنّما تعطى المرأة قيمة النقض.

قال: فهـذا أيضـاً لوحمل على ظـاهره وعلى العموم، لكـان يخالف كتاب الله

١ . الارجوزة المختارة: ٢٣٦.

٢ . دعائم الإسلام: ٢/ ٣٩٣.

جلّ ذكره، والسنّة وإجماع الأئمّة والأُمة.[١]

وما روي عن أئمّة أهل البيت، في عدم إرث النساء من الأرض، مُخصص للقرآن والسنّة، وليس مخالفاً، والمخالف هو المتباين.

كما أنّ الردّ مازاد على الثمن والربع، في الفرع الأوّل إلى الزوج والزوجة، لا يُعدّ مخالفاً للكتاب، لأنّ الكتاب ساكت عن حكم مازاد على الفريضة.

نعم نسب إليه المحدّث النوري، أنّه ممّن يُحرّم المتعة ولكنّ الوارد في النسخة المطبوعة خلافه، قال القاضي: عن جعفر بن محمد، أنّه قال: إذا تزوّج الرجل المرأة بصداق إلى أجل، فالنكاح جائز، ولكن لابدّ أن يعطيها شيئاً قبل أن يدخل بها، فيحل له نكاحها، ولو أن يعطيها ثوباً أو شيئاً يسيراً، فإن لم يجد شيئاً، فلا شيء عليه، وله أن يدخل بها، ويبقى الصداق ديناً عليه.[٢]

و في خاتمة المطاف: من طالع كتبه التي أومأنا إليها، يقف على أنّ الرجل فقيه إسماعيليّ، يدافع عن المذهب، وخلافة الخلفاء الفاطميين بحماس، خصوصاً في كتابه «افتتاح الدعوة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية».

٥

أحمد بن حميد الدّين بن عبد الله الكرماني

(٣٥٢ـ كان حيّاً سنة ٤١١هـ)

حميد الدّين، أحمد بن عبد الله الكرماني الداعي في عهد الحاكم بالله (٣٧٥ـ ٤١١هـ) والملقّب بحُجّة العراقين، وكبير دعاة الإسماعيليّة في جزيرة العراق،

١. دعائم الإسلام: ٢/ ٣٩٦.

٢. دعائم الإسلام: ٢/ ٢٢٥ برقم ٨٤٤.

وصاحب التآليف العديدة في المذهب الإسماعيلي وإثبات الإمامة للفاطميين، والردّ على مخالفيهم.

«ظهر أثره وعظم شأنه في عهد الخليفة الفاطمي «الحاكم بأمر الله» وكان لقبه المشهور «حجّة العراقين» أي أنّه كان مسؤولاً عن شؤون الدعوة الثقافيّة في فارس والعراق، وفي القاهرة كان مركزه كمقام (حجّة جزيرة) فهو أحد الحجج الاثني عشر، المكلّفين بإدارة شؤون الدعوة الإسماعيليّة في العالم، ثمّ استخدم بعد ذلك كرئيس لدار الحكمة في القاهرة، وهي المؤسسة الثقافيّة التي نستطيع أن نقول عنها: إنّها أوّل جامعة انشئت في العالم.

وفد على القاهرة سنة ٤٠٨هـ بناءً على طلب المأمون افتكين الضيف داعي دعاة الدولة الفاطميّة في عهد الحاكم بأمر الله، عندما حَمي وطيس المعارك الدينيّة، وقامت الدعوات الجديدة وراج سوق البدع التي كانت تهدف إلى الغلو والانحراف عن واقع وأُسس الدعوة.

ألّف كثيراً من الكتب أشهرها: «الرسالة الواعظة» في الردّ على الحسن الفرغاني، القائل بالوهيّة الحاكم بأمر الله، و«البشارات» و«المصابيح» و«الرسالة المضيئة» و«المصابيح في إثبات الإمامة» و«تنبيه الهادي والمستهدي»و «راحة العقل» و«الرسالة الدرّية» و«رسالة التوحيد في المعاد» و«الأقوال الذهبية» و«تاج العقول» و«ميزان العقل» و«رسالة المعاد». [1] وكتاب «الرياض في الحكم بين (الصادين) صاحبي الإصلاح والنصرة» مطبوع، إلى غيرها من المؤلفات.

و قد ظلت سنة وفاته مجهولة بالرغم من وصول أكثر مؤلفاته وآثاره إلينا.

يقول الكرماني عن نفسه في مقدمة كتابه «راحة العقل»: ومؤلفه حميد الدين، أحمد بن عبد الله الداعي في جزيرة العراق وما وليها، من جهة الإمام

---

١. عارف تامر: مقدمة كتاب الرياض: ١٦ـ٢١.

الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، المنصوص عليه من جهة القائمين مقام الرسول ﷺ على ما بيّناه في كتبنا المعـروفة بكتاب «المصابيح في الإمامـة» و«مباسم البشارات» و«الرسالـة الكافية» وكتاب «تنبيه الهادي والمستهدي». ألّفـه في سنة إحدى عشرة وأربعمائة (٤١١) في ديار العراق. (١)

وهذا النصّ يدل على أنّه كان حيّاً في تلك السنة.

فما ذكره ايفانوف، من أنّه توفي بعد سنة ٤٠٨ بقليل ليس تامّاً.

وكتابـه «راحة العقـل»، من أشهر مـؤلفاتـه، وقد حـاول فيه أن يـوفّق بين الفلسفة اليونانيّة وما دانت به الإسماعيليّة. وقـد ذكرنا شيئاً من خصوصيات كتابه عند البحث عن عقائد الإسماعيليّة.

يقول محقق الكتاب: يُعـد الكرماني بحق شيخ فلاسفـة الإسماعيليّة فنحن نعلم أنّ الـدعاة قبلـه كانـوا مختلفين أشـدَّ الاختلاف في مسـائل كثيرة، فالـداعي النخشبي وضع كتابه «المحصول» في فلسفة المذهـب، وجاء بعده أبو حاتم الرازي فـوضع كتاب «الإصـلاح» وخـالف فيه أقـوال من سبقـه، ثمّ جـاء أبو يعقـوب السجستـاني أُستاذ الكـرمـاني فـانتصر للنخشبي، وخـالف أبـا حـاتم، ثمّ جـاء الكرمـاني الذي استطـاع أن يوفّق بين آراء شيخـه، وبين آراء أبي حاتـم، ولا نكاد نجد خـلافاً يُـذكر بين علماء الـدعوة الإسماعيليّة في فلسفـة المذهب، بعـد أقوال الكرماني، وإن كنّـا نجد خلافاً شـديداً بينهم في المسائل التأويليّـة، لأنّ التأويل شخصي يختلف باختـلاف الداعي، وكل كتب الدعـاة بعد الكرماني تتفـق مع ما ورد في كتاب «راحة العقل». (٢)

وقد تـرجمه مصطفى غـالب في كتابـه «تاريخ الـدعوة الإسماعيليّـة» ضمن ترجمة سيرة الحاكم بـالله، وأنهى كتبه إلى ٣٣ كتابـاً، وذكر منها كتاب «الإصـابة في

---

١. راحة العقل: ٢٠، مقدمة التحقيق للدكتور كامل حسين، ومحمد مصطفى حلمي.

٢. المصدر السابق: ١٧.

تفضيل علي على الصحابة». [١]

كما وترجمه خير الدّين الزركلي، ولم يأت بشيء جديد. [٢]

٦

المؤيّد في الدين

(حدود ٣٩٠ـ٤٧٠هـ)

هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، المؤيّد في الدّين، داعي الدعاة من زعماء الإسماعيليّة. ولد بشيراز سنة ٣٩٠هـ ونشأ وتعلّم فيها، وكان له و لأبيه دورٌ هامٌ في بث الدّعوة الفاطميّة.

وغادر مدينته خوفاً من السلطان أبي كاليجار فخرج متنكراً إلى الأهواز سنة (٣٢٩هـ) ثمّ توجّه إلى حلّة منصور بن الحسين الأسدي. وتوجه إلى مصر، فخدم المستنصر الفاطمي، في ديوان الإنشاء وتقدّم إلى أن صار إليه أمر الدّعوة الفاطميّة (سنة ٤٥٠هـ)و لقب بداعي الدعاة، وباب الأبواب. ثمّ نُحّي وأُبعد إلى الشام، وعاد إلى مصر فتوفي بها، عن نحو ثمانين عاماً، وصلّى عليه المستنصر.

و قيل: إنّه استطاع أن يدخل الملك أبي كاليجار في المذهب الإسماعيليّ، كما أدخل غيره من الوزراء و الأُمراء، وكان يفحمهم ويقنعهم بغزارة علمه، وشدّة معرفته، في أُصول العقائد الإسماعيليّة، وخاصّة نبوغه في علم التأويل الذي ترتكز عليه العقائد الفلسفيّة الإسماعيليّة.

عظم أمر المؤيد، في تلك البلاد فسارت سيرته في الآفاق، ولقد استدعي إلى بيت الدعوة في مصر، نحو عام ٤٣٨، ليلقي بعض المجالس التأويليّة،

---

١. تاريخ الدعوة الإسماعيلية:١ ٢٤١ـ٢٤٣.

٢. خير الدين الزركلي: الأعلام:١/ ١٥٦.

وليتدرب التدريب النهائي على يدي الإمام، فوصل القاهرة ودخل القصر معززاً مكرماً.[١]

و له تصانيف عديدة منها:

١. المرشد إلى أدب الإسماعيليّة.

٢. المجالس المؤيديّة.

٣. السيرة المؤيديّة.

٤. ديوان المؤيد في الدّين.

٥. أساس التأويل، كتبه بالفارسيّة ترجمه عن العربيّة، وأصل الكتاب للقاضي النعمان.[٢]

٦. شرح العماد.

٧. جامع الحقائق في تحريم اللحوم والألبان.

٨. القصيدة الاسكندريّة.

٩. تأويل الأرواح.

١٠. نهج العبادة.

وله قصيدة يذكر فيها حديث غدير خم نقتطف منها هذه الأبيات:

لو أرادوا حقيقة الذين كانوا ... تبعاً للذي أقام الرسولُ

و أتت فيه آيةُ النصّ بلغ ... يوم «خم» لمّا أتى جبريل

ذاكم المرتضى عليٌّ بحق ... فبعلياه ينطق التنزيل

أهلُ بيت عليهم نزل الذكر ... وفيه التحريم والتحليل

هم أمان من العمى وصراط ... مستقيم لنا وظل ظليل

١. تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٥٠.

٢. خير الدين الزركلي: الأعلام: ٨/ ٧٥.

كما وتوجد ترجمة لـه بقلمه، في كتاب أفرده في سيرته بين سنة ٤٢٩ وسنة ٤٥٠،و هو المصدر الوحيد للباحثين عن ترجمته، طبع بمصر في ١٨٤ صفحة . وللأستاذ محمد كامل حسين المصري، بكلّية الآداب، دراسة ضافية حول حياة المُترجَم، بحث عنها من شتّى النواحي في ١٨٦ صفحة، وجعلها مقدمة لديوانه المطبوع بمصر، ففي الكتابين غنى، وكفاية عن التبسط في ترجمة المؤيد.[1]

٧

ناصر خسرو (الرحالة المعروف)

(٣٩٤_٤٨١هـ)

ناصر بن خسرو، من أحفاد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ،ولد في ذي القعدة عام ٣٩٤هـ في قصبة (قباذيان) من أعمال بلخ، وتوفي عام ٤٨١هـ وهو خراساني الأصل، بلخي المنشأ.

و كانت أُسرته من الأُسر الغنيّة ، وقد اهتمّ والد المترجم بتربية ابنه وتعليمه، فحفظ القرآن وهو لم يبلغ بعدُ التاسعة من العمر، ودرس اللغة العربيّة وآدابها، والعلوم الإسلاميّة، وعلوم النجوم والفلك والحساب والهندسة والجبر وتضلع في الفلسفة، إلى أن أُطلق عليه الحكيم.

وكان شاعراً فحلاً في اللغة الفارسيّة، وكان رحّالاً، ترك الإقامة في موطنه واعتزم القيام برحلات في بعض الأمصار، قاصداً فيها مكّة، يرافقه أخوه أبو سعيد خسرو العلوي، وغلام هندي، فقد شرع برحلته في شهر شعبان عام ٤٣٧ هـ فترك مرو وسافر إلى إقليم آذربيجان ماراً بنيسابور، فدامغان، فسمنان، فالري، فقزوين،

---

١. الأميني: الغدير: ٤/ ٣٠٤_٣١٢.

ثمّ تبريز، وقد وصلها في عشرين صفر عام ٤٣٨ هـ وبعد أن أتمّ رحلته عام ٤٤٤هـ وقد بلغ من العمر ٥٠ عاماً، وقطع في رحلته هذه التي طالت سبع سنوات، مسافة ٢٢٢٠ فرسخاً ـ وبعد أن ـ ساقه القضاء إلىٰ مصر، وتوطّدت الصلة بينه وبين الخليفة الفاطمي بمصر، المستنصر بالله، أبو تميم معد بن علي، الذي حكم مصر من سنة ٤٢٧هـ إلىٰ سنة ٤٧٨هـ، وقد أثرت فيه دعوتهم له، فاعتنق مذهبهم علىٰ يد أحد حُجّاب الدعوة في القاهرة، وسماه بالباب واجتاز المقامات، والدرجات الخاصّة بكبار قادة هذا المذهب، حتىٰ بلغ درجة الحُجّة، واعتبر أحد الحجج الاثني عشر، في إحدىٰ الجزر الاثني عشر، حسب تقسيمات الفاطميين.

وعاد إلىٰ بلخ، وصار بينه وبين علماء المذهب السني نقاش ومعارضة، إلى أن هرب من بلخ قبيل سنة (٤٥٣هـ)، فلم يزل ينتقل من مدينة إلى مدينة، إلى أن انتهىٰ به المطاف سنة (٤٥٦هـ) إلى مدينة «غاريمكان» الواقعة قرب مدينة بدخشان، وأقام فيها مختفياً إلىٰ أن وافاه الأجل عام (٤٨١هـ) فدفن هناك، وقبره اليوم مزار للإسماعيليّين. وقد ترك آثاراً كثيرةً نشير إلىٰ بعضها:

١. «زاد المسافرين» الذي انتهىٰ منه في سنة ٤٥٣هـ وهو من أضخم مؤلفاته.

٢. «وجه دين» في عقائد الإسماعيليّة.

٣. «خوان اخوان».

٤. «دليل المتحيّرين» الذي أراد أن يثبت فيه أحقّية المذهب الفاطمي.

٥. إكسير أعظم في المنطق، أو الفلسفة.

٦. «رسالة المستوفي» في الفقه الإسماعيلي.[1]

---

١. أعيان الشيعة: ١٠/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤، من أراد المزيد فليراجع المصادر التالية؛ رياض العلماء: ٥/ ٢٣٢؛ مستدركات علم رجال الحديث: ٨/ ٥٥؛ طبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٩٨؛ الذريعة: ٢١/ ١٥؛ معجم المؤلفين: ١٣/ ٧٠.

٨

محمد بن علي بن حسن الصوري

من علماء القرن الخامس

ولد في مدينة صور، وعاش رَدْحاً من الزمن في مدينة طرابلس، داعيّاً للفاطميين. هبط القاهرة في عهد الإمام المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ـ٤٨٧هـ).

صنّف قصائد كثيرة ورسائل عديدة، أشهرها «التحفة الظاهرة» و«نفحات الأئمّة» وقد رجّح عارف تامر، أنّه مات في حصون الدعوة الإسماعيليّة الصوريّة بجبال «السماق» بعد تعيينه داعية للمذهب الإسماعيلي فيها من قبل الإمام «المستنصر بالله».

و من أبرز تأليفاته، القصيدة الصورية، وقد ألّفها في عصر ازدهر فيه الأدب، وبرز إلى ميدان العلم والأدب ثلّة من العلماء، والأُدباء، الذين قَدَّموا للمكتبة الإسلامية العديد من المؤلفات، وجادت قرائح الشعراء بالشعر العربي الفاطمي، الذي كان في ذلك العصر وسيلة من وسائل الدّعاية الدينيّة، وداعياً للتعبير عن التعاليم الفلسفيّة وتعدُّ القصيدة الصورية من أقدم المصادر عن الإسماعيليّة، ومن أهم الرسائل المعبّرة عن العقائد الإسماعيليّة، أو بالأحرى، من الرسائل التي تُشَكل عنصراً هاماً في العقائد الباطنيّة، ومرجعاً يرجع إليه عند اختلاف وجهات النظر، ولذلك فقد تناقلتها الدعاة وحافظوا على سرّيتها وعدم تسرّبها.

وإليك مقاطع من قصيدته يشير فيها إلى تلك العقائد الباطنيّة ، منها:

١. انّ الأسماء والصفات ليس لله سبحانه، بل للمبدأ الأوّل:

والعلم بالتوحيد أسمى العلم فاصغ لما قد نال منه فهمي
فكلّما يجري على اللسان من سائر الأفكار والأديان
وسائر الأسماء والصفات للمُبدع الأوّل لا للذات

٢. توحيده سبحانه:

وسائل يسأل هل هو واحد أم أحدٌ حتىٰ يصح الشاهد
قلنا له الواحد مبدأ للعدد والأحد المبدي له الفرد الصمد
والأحد المبدع وهو الأزل والواحد المبدع وهو الأوّل
أوّل من قام بتوحيد الأحد ودلّ بالعلم عليه من جحد
وصار للأعداد أصلاً صدرت عنه ومنه انبجست إذ ظهرت[1]

٩

إبراهيم بن الحسين الحامدي

(... ـ ٥٥٧هـ)

إبراهيم بن الحسين الهمداني الحامدي: من دعاة الإسماعيلية وعلمائهم في اليمن، عاصر الدّولة الصليحيّة فحينما قرّرت السيدة الحرّة أرْوىٰ ــ من أميرات الدّولة الصليحيّة ــ أن تُفصل الدعوة عن الدّولة فصلاً تامّاً، عقدت مؤتمراً لكبار السلاطين والدّعاة لانتخاب من يتولّىٰ رئاسة الدّعوة، فوقع الاختيار على الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني (٥٢٠ ـ ٥٣٦هـ)[2] ليتولّىٰ هذه المهمّة.

---

١. القصيدة الصورية: ١٧، قسم المقدمة.

٢. كذا في المصدر، ولعلّ في التاريخ تصحيف.

وبعد أفول نجم الدّولة الصليحيّة بوفاة السيّدة الحرّة. أصبحت الدّعوة منظّمة دينيّة بحتة يرأسها الداعي ذؤيب بن موسى، ومن الطبيعي حسب ترتيبات الدّعوة الإسماعيليّة أن يختار من بين الدعاة داعياً مأذوناً له يساعده في أعماله، فاختار إبراهيم بن الحسين بن أبي السعود الحامدي الهمداني، وهو من كبار الدعاة العلماء الذين أوجدتهم مدارس الدّعوة الإسماعيليّة المستعلية الطيبية في اليمن.

و لمّا توفي الذؤيب خلفه مأذونه إبراهيم داعياً مطلقاً للإمام المستور الطيّب ابن الآمر في اليمن وما جاورها من البلاد والهند والسند وذلك سنة ٥٣٦هـ. وجعل الشيخ علي بن الحسين بن جعفر الانف القريشي العبشمي، مأذوناً له، فكان له معاضداً على أمره، قائماً بنشر الدّعوة في سرّه وجهره، ولم يعمّر علي بن الحسين طويلاً فقد وافته المنية في سنة ٥٥٤هـ فاستعان الحامدي بابنه حاتم، حيث اتخذه مأذوناً له، ونقل مقرّه إلى صَنعاء، ثمّ أعلن عدم تدخله في سياسة الدولة، وواظب على دراسة العلوم،ونقل التراث العلمي الإسماعيلي،وجمعه وتدريسه للدعاة التابعين لمدرسته، ووزّع الدعاة في بلاد اليمن والهند والسند، وفيه يقول الشاعر الحارثي:

أبا حسن أنقذت بالعلم انفسا	وأمّنتها من طارق الحدثان
فجوزيت بالحسنىٰ وكوفيت بما المنىٰ	ودمت سعيداً في أعزّ مكان
عمرت بصنعا دعوة طيبية	جعلت لها أسّاً وشُدت مباني

من كتبه: «كنز الولد» و«الابتداء والانتهاء»و «كتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق» و«الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة».

وفي عهد هذا الداعي الأجل تعرضت الدّعوة المستعليّة الطيبية إلى هزّات عنيفة قاسية، لأنّ ملوك آل زريع في عدن مالوا إلى الدعوة المستعليّة المجيديّة،

التي أخذت تنتشر بقوّة في أنحاء اليمن حتىٰ أصبح لها دعاة نشيطون في قلب تنظيمات الدّعوة الطيبية،وفي معاقلها، كحراز، ونجران، واليمن الأسفل، وكذلك أعلن ملوك همدان اليامیون في صنعاء، وبلاد همدان، عن تنصّلهم من جميع الدّعوات والمذاهب.

و مع كلّ هذا فقد ظلّ الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي، علىٰ إخلاصه للدّعوة الطيبية، مواصلاً نشاطه حتىٰ توفّاه الله في صنعاء، في شهر شعبان سنة ٥٥٧هجرية.[١]

وقد طبع للمترجم له كتاب «كنز الولد» بتحقيق مصطفى غالب عام ١٣٩١ هـ نشرته جمعيّة المستشرقين الألمانيّة، والكتاب يتألف من أربعة عشر باباً، وقد استهل المقدّمة علىٰ عادة كتّاب العصر، بالاستعانة والتوكل، والشهادة، والسلام، ثمّ يذكر موضوع الكتاب والأسباب الداعية لتأليفه.

قال: واعلم هداك الله لأوضح المسالك ونجّاك عن المهالك، أنّ لكلّ رابع من الائمّاء قوّة وتأييداً، واستطالة وتشديداً. ولكلّ سابع، أعظم وأعلىٰ وأقوم، يقوم مقام النطق، ونحن في دور سابع الأشهاد، المتوجّه نحوه ملاحم آبائه وأجداده،والاشارات والرموز في أسانيدهم. والبشارات الموصوفة بالبركات والنعم والخيرات بظهور العلوم والمعجزات، و إشراق النور، وبنبوع الأنهار، وأزهار الأشجار، بالخضرة والنوّار، حتى تتصل أنواره بنور القائم ﷺ على أتمّ تمام وأحسن نظام.[٢]

و يظهر منه أنّ الإمام السابع يقوم مقام النطق، أي يكون مع كونه إماماً، رسولاً ناطقاً فعليه يكون محمد بن إسماعيل مع كونه إماماً سابعاً، رسولاً ناطقاً، بادئاً للدور السابع، وأمّا عدّ نفسه بأنّه في دور سابع الأشهاد، مع أنّه كان في

---

١. مصطفى غالب: كنز الولد: ٣١ـ٣٣، قسم المقدمة؛ الزركلي: الأعلام: ١/ ٣٦.

٢. الحامدي: كنز الولد: ٥.

الـدور الثامن، لأنّ الـدّور السابع ليس لمدّته أمـد محدود، كما صرّح به في كتـاب «الإمامة في الإسلام».[١]

وأمّا فهرس أبواب كتابه هذا، فهي:

الباب الأوّل : في القول على التوحيد، من غير تشبيه ولا تعطيل.

الباب الثاني: في القول على الإبداع الذي هو المبدع الأوّل.

الباب الثالث: في القول على المنبعثين عن المبدع الأوّل معاً، وتباينهما.

الباب الرابع: في القول على المنبعث الأوّل القائم بالفعل. وما ذلك الفعل؟

الباب الخامس: في القول على المنبعث الثاني القائم بالقوّة. وما سبب ذلك؟

الباب السادس: في القول على الهيولى والصورة وما هما في ذاتهما، وسبب تكثفهما وامتزاجهما؟

الباب السابع: في القول علىٰ ظهور المواليد الثلاثة: المعدن، والنبات ،و الحيوان.

الباب الثامن: في القول علىٰ ظهور الشخص البشري أوّلاً، وفي كلّ ظهور بعد وفاء الكور.

الباب التاسع: في القول علىٰ ظهور الشخص الفاضل من تحت خط الاعتدال.

الباب العاشر: في القول على الارتقاء والصعود إلىٰ دار المعاد إن شاء الله تعالىٰ.

الباب الحادي عشر: في القول علىٰ معرفة الحدود العلوّية والسفليّة.

الباب الثاني عشر: في القول على الثواب والارتقاء في الدرج إلى الجنّة الدانية والعالية، إن شاء الله.

الباب الثالث عشر: في القول على اتصال المستفيد بالمفيد وارتقائه إليه واتّصاله به.

الباب الرابع عشر: في القول على العذاب بحقيقته وكيفيته نعوذ بالله منه.

---

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٥٥.

١٠

علي بن محمد الوليد

(٥٢٢ـ٦١٢هـ)

«علي بن محمد الوليد الأنف العبشي القرشي» الداعي المطلق الخامس للإسماعيليّة المستعليّة في اليمن، المولود سنة ٥٢٢ هـ والمتوفى سنة ٦١٢هـ والمنحدر من أُسرة عربيّة عريقة، كان لها شأن في مجالات الأدب والفلسفة، وقد لعب دوراً أدبياً فلسفياً هامّاً، في القرن السادس الهجري، وبالرغم من المصادر القليلة عن تاريخ حياته، إلاّ انّه يمكننا القول بأنّه ينحدر من أُسرة معروفة بإخلاصها للأئمّة الفاطميين. يدلنا على ذلك والده الذي كان يلقب (بالأنف) تيمّناً بأبرز عضو في وجه الإنسان.

و لقد كان الداعي يتمتع بسمعة طيبة وعلم وافر فقد تحسنت أُمور الاتباع وأقبلوا عليه من كل حدب وصوب لسماع محاضراته والتزود من علومه والدراسة عليه وأيده السلاطين والأُمراء من همدان و جعل مقره مدينة صنعاء حيث اعتكف على الدراسة والتصنيف وكتابة الكتب والرسائل والمقالات التي يدافع فيها عن الدعوة ويشرح عقائدها ومعارفها الفكرية

وكان علي بن الوليد أيضاً من الشعراء البارزين، ففي ديوانه القوافي العذبة والتأملات، التي تدلّ على عراقته بفن الشعر:

ما العمر إن طال للإنسان أو قصرا ... بنافع في غد أو دافع ضرراً
ولا حياة الفتى تُغني إذا هو لم ... يكن بها قاضياً في دينه وطرا
فإن يمتْ جاهلاً ماذا أُريد به ... فبالحقيقة في الدارين قد خسرا

أمّا مؤلفاته فنشير إلى بعض منها:

١. «تاج العقائد ومعدن الفوائد». يتضمن مائة مسألة في معتقدات مذهب الإسماعيليّة.

٢. «دافع الباطل وحتف المناضل» ألفه رداً على كتاب «المستظهري».و هو أوّل كتاب ردّ للغزالي على الباطنيّة.

٣. «مختصر الأُصول» ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها والردّ على الفلاسفة وبعض الفرق.

٤. رسالة «نظام الوجود في ترتيب الحدود».

٥. رسالة «الإيضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين».

٦. رسالة «تحفة المرتاد وغصّة الأضداد» في الرد على الفرقة المجيدية و إثبات إمامة الطيب بن الآمر وذكر تسلسل الإمامة.

٧. «لبّ الفوائد وصفو العقائد» في المبدأ والمعاد. [1]

٨.ديوان شعر وفيه أشعاره في الردّ على المخالفين وفي مدائح الأئمة.

و كان وفاة هذا الداعي يوم الأحد السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ٦١٢هـ عن عمر ناهز التسعين عاماً ودامت أيام دعوته ست سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيّام.

وقد أخذنا شيئاً من عقائدهم من كتاب «تاج العقائد» الذي يُعد أوضح كتاب وضع في بيان عقائد تلك الطائفة، والكتاب واضح العبارة جداً، بعيد عن الانحراف والاعتساف، إلاّ ما ندر، وهو يدل على أنّ طائفة الإسماعيليّة القاطنة في اليمن كانوا بمعزل عن كثير من الزلاّت المشاهدة عند غيرهم.

---

١. تاج العقائد ومعدن الفوائد:٧ـ ٩، المقدمة، تحقيق عارف تامر.



الفصل الرابع عشر

في

التنظيمات السرّية الإسماعيلية



التنظيمات السرّية الإسماعيلية

إنّ طابَع الأقلّية يستدعي امتلاك تنظيمات سرية يسودها التكاتف والتعاون لتصمد أمام العواصف التي تهددهم من جانب الأكثرية، ولولا ذلك لتفكّكت وانفصمت عرى حياتهم ولانصهر كيانهم المستقل.

ظهرت الإسماعيلية على مسرح الحياة في زمان ساده روح العداء لأهل البيت ﷺ وأتباعهم، وكانت الشيعة قذى في عيون الخلافة العباسية، لما يسودها من روح العصيان على السلطة والخروج عليها.

هذا وما شابهه صار سبباً لدخول أئمتهم في كهف الاستتار والتقية وإحداث تنظيمات سرية في مختلف الأدوار لتكون حصناً حصيناً لهم ولأتباعهم، وقد ذكر التاريخ شيئاً كثيراً من تنظيماتهم ومخططاتهم المبتكرة والتي قلّما يشهد التاريخ لها من مثيل.

وهذا الكاتب الإسماعيلي مصطفى غالب يشرح لنا الصورة الدقيقة عن التنظيمات السرية في أدوار الستر وفي عهد الدولة الإسماعيلية في مصر والمغرب حيث يقول:

إذا أردنا أن نقارن تلك التنظيمات مع أحدث التنظيمات والتخطيطات الدعاوية العصرية المعروفة اليوم، لتبين لنا انّ الإسماعيليين كان لهم القدح المعلّى في هذا المضمار، من حيث ابتكار الأساليب المبنية على أُسس مكينة مستوحاة من عقائدهم الصميمة، وتظهر عبقريتهم بوضوح من جهة البراعة في تنظيم أجهزتهم الدعاوية ـ في قلّة الوسائل في تلك الأيام ـ ممّا جعلهم يستطيعون الإشراف بسرعة فائقة على تنسم أخبار أتباعهم في الأبعاد المتناهية، وذلك بما ابتكروا من أساليب

وأحدثوا من وسائل، وقد كان للحمام الزاجل الذي برع في استخدامه الدعاة، أثره الفعّال في نقل الأخبار والمراسلات السرية الهامة.

ولقد كان الإمام الإسماعيلي الذي يعتبر رئيس الدعوة قد وفق بين جهاز الدعاية الذي نظّمه خير تنظيم، وبين نظام الفلك ودورته، وجعل العالم الذي كان معروفاً في تلك الأيام مثل السنة الزمنية، فالسنة كما هو معروف مقسمة إلى اثني عشر شهراً، ولذلك يجب أن يقسم العالم إلى اثني عشر قسماً، أطلق على كل قسم اسم (جزيرة)و جعل على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً، هو المسؤول الأوّل عن الدعاية فيها، ولقب بـ(داعي دعاة الجزيرة) أو بـ(حجة الجزيرة). وقال: إنّ الدعوة لا يمكن استقامتها إلاّ باثني عشر داعياً يتولون إدارتها، فكان الإمام ينتخب الدعاة من ذوي المواهب الخارقة، والقدرة الفائقة في بث الدعوة والعمل على نشرها بين مختلف الطبقات وقد جعل الدعاة من (حدود الدين) إمعاناً في إسباغ الفضائل عليهم، ليتمكنوا من نشر الدعوة وتوجيه الأتباع دونما أيّة معارضة أو مخالفة، لأنّ مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بنظر الإمام مروقاً عن الدين، وخروجاً عن طاعة الإمام نفسه، لأنّهم من صلب العقيدة وحدودها.

و لمّا كان الشهر ثلاثون يوماً لذلك كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعياً نقيباً لمساعدته في نشر الدعوة، وهم قوته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم،وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة، فكانوا بمثابة وزرائه ومستشاريه في كلّ ما يتعلّق بجزيرته.

ولمّا كان اليوم أربع وعشرين ساعة، اثنتي عشر ساعة بالليل، واثنتي عشر ساعة بالنهار، وجب لكلّ داع نقيب أربعة وعشرين داعياً، منهم اثني عشر داعياً ظاهراً كظهور الشمس بالنهار، واثني عشر داعياً محجوباً مستتراً استتار الشمس بالليل. وبعملية حسابية بسيطة نجد انّ عدد الدعاة الذين يثهم الإمام الإسماعيلي في العالم كان حوالي ٨٦٤٠ داعياً في وقت واحد.

التنظيمات السّرية للدعوة الإسماعيليّة النزارية

ولما انتقلت الدعوة الإسماعيلية النزارية إلى فارس، أجرى الإمام النزاري بعض التعديلات، وأوجد تنظيمات تتناسب مع ظروفه وعصره وهي على قسمين:

١. القسم الخاص بالدعاية الدينية والذي ظل قريب الشبه من النظام السابق، ولو انّ عدد الدعاة تقلص ونقص، لأنّ الإمام النزاري جعل رتبة (الشيخ) في دعوته بدلاً من رتبة (داعي الدعاة) وعيّن في كلّ منطقة من المناطق الإسماعيلية له نواباً، وألحق بهؤلاء النواب عدداً غير محدود من الدعاة الذين كانوا يدعون الناس للمذهب الإسماعيلي النزاري.

٢. أمّا القسم الثاني فهو خاص بالفدائية والجيش، وهؤلاء كانوا يتبعون مباشرة مركز الإمامة أو نائب الإمام في قطره، ويتلقّون الأوامر والمهمات السرية منه مباشرة.

وكانت الفدائية على ثلاث درجات:

أوّلا: الرفاق أو المقدمون: وهم قادة الجيش والفدائية ولهم مهمّة الإشراف على التدريب،و السهر على تنفيذ المهمات العسكرية وغير العسكرية.

ثانياً: مرتبة الفدائيين الذين ينتقون من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية والإقدام والشجاعة النادرة، والجرأة الخارقة فيكلفون بالتضحيات الجسدية، وبتنفيذ أوامر الإمام أو نائبه.

ثالثاً: المستجيبون: وهم الذين يقضون دور التدريب والتعليم،وهؤلاء يدخلون مدارس الفدائية، وهم في سن مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم في المدارس الخاصة بهم، على أيدي كبار المقدمين. ويسهر الإمام نفسه أو نائبه الشيخ على تدريبهم وتعليمهم. [١]

---

١. مصطفى غالب: في مقدمة كتاب الينابيع: ٢١ ـ ٢٤.



الفصل الخامس عشر

في

القرامطة



لقد ذكرنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب أنّ الحركات الباطنيّة نشطت في أواسط القرن الثاني، وكان زعيمها هو أبو الخطاب، محمد بن مقلاص، فلمّا قتل انتهى أمرهم ـ بعد فترة ـ إلى الاجتماع حول محمد بن إسماعيل، ووجدوه مرتعاً خصباً لنشر أفكارهم. فارتكزت الدّعوة الإسماعيليّة على تلك الأفكار في بادئ الأمر. وكان من نتيجة ذلك التحرك أن:

١ . اتخذ الأئمّة المستورون سوريا،وأخصّ بالذكر «السلمية» وما حولها مركزاً للدّعوة، ومنها انتشرت إلى سائر الأمصار.

٢ . انتشرت الدّعوة في اليمن بزعامة ابن حوشب «منصور اليمن».

٣. أرسل ابن حوشب، أبا عبد الله الشيعي إلى إفريقية حيث آلت الأحداث بعدها إلى تأسيس الخلافة الفاطميّة.

٤ . ظهور حركة القرامطة، وهذا ما سنبحثه في هذا الفصل.

إنّ من الإسماعيليّة فرقة باسم المباركيّة قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل، بدل إسماعيل، وقد تشعبت منهم فرقة باسم القرامطة، كان لهم دورٌ مهم على الساحة السياسية والعقائدية أيّام عبيد الله المهدي، حسب ما يذكره التاريخ وما يزال الغموض يكتنف عقائدهم، وتاريخهم والجرائم التي قاموا بها، في أواخر القرن الثالث. ومن أجل تسليط الضوء على جانب من جوانب عقائدهم نستعرض ما ذكره أصحاب المقالات:

١ .قال النوبختي: إنّها سُمّيت بهذا لرئيس لهم من أهل السواد من أهل الأنباط كان يلقب «قرمطويه» وكانوا في الأصل على مقالة المباركيّة، ثمّ خالفوهم،

فقالوا لا يكون بعد محمد النبي ﷺ إلّا سبعة أئمّة، علي بن أبي طالب وهو إمامٌ رسولٌ، والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، ومحمد بن إسماعيل بن جعفر، وهو الإمام القائم المهدي، وهو رسولٌ.

وزعموا أنّ النبيّ ﷺ انقطعت عنه الرسالة في حياته، في اليوم الذي أُمر فيه بنصب علي بن أبي طالب عليه السلام للناس بغدير خم، فصارت الرسالة في ذلك اليوم في علي بن أبي طالب، واعتلّوا في ذلك بقول رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» وانّ هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوّة، وتسليم منه في ذلك لعلي بن أبي طالب، بأمر الله عزّ وجلّ وانّ النبيّ ﷺ بعد ذلك كان مأموماً لعليّ، محجوجاً به، فلمّا مضىٰ عليٌّ صارت الإمامة في الحسن، كما صارت من الحسن في الحسين ثمّ في علي بن الحسين، ثمّ في محمد بن علي، ثمّ كانت في جعفر بن محمد، ثم انقطعت عن جعفر في حياته، فصارت في إسماعيل بن جعفر، كما انقطعت الرسالة عن محمد ﷺ في حياته، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ بدا له في إمامة جعفر، وإسماعيل، فصيّرها في محمد بن إسماعيل، إلىٰ أن قال:

و زعموا أنّ محمد بن إسماعيل حيٌّ، لم يمت، وأنّه في بلاد الروم، وأنّه القائم المهدي، ومعنى القائم عندهم، انّه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة، ينسخ بها شريعة محمد، وانّ محمد بن إسماعيل من أولي العزم، وأولي العزم عندهم سبعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ وعلي عليه السلام، ومحمد بن إسماعيل، على معنىً.

قال: إنّ السماوات سبع وإنّ الأرضين سبع وإنّ الإنسان بدنه سبع: يداه، ورجلاه، وظهره، وبطنه، وقلبه، وإنّ رأسه سبع: عيناه، أُذناه، منخراه، وفمه، وفيه لسانه، كصدره الذي فيه قلبه، وإنّ الأئمّة كذلك، وقلبهم محمد بن إسماعيل واعتلوا في نسخه شريعة محمد ﷺ وتبديلها، بأخبار، رووها عن أبي عبد الله جعفر ابن محمد عليه السلام أنّه قال: لو قام قائمنا علمتم بالقرآن جديداً، وأنّه قال: إنّ الإسلام

بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدا، فطوبىٰ للغرباء، ونحو ذلك من أخبار القائم.

و انّ الله جعل لمحمد بن إسماعيل جنّة آدم (ص) ومعناها عندهم الإباحة للمحارم،وجميع ما خلق في الدنيا، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [١] أي موسى بن جعفر بن محمد، وولده من بعده من ادّعىٰ منهم الإمامة.

وزعموا أنّ محمد بن إسماعيل، هو خاتم النبيين، الذي حكاه الله عزّوجلّ في كتابه، وأنّ الدّنيا اثنا عشر جزيرة، في كلّ جزيرة حُجّة وأنّ الحجج اثنا عشر، ولكلّ حجّة داعية. ولكلّ داعية يد، يعنون بذلك أنّ اليد رَجلٌ له دلائل وبراهين يقيمها، ويُسمّون الحُجّة الأب، والدّاعية الأُم،و اليد الابن، يضاهون قول النصارىٰ في ثالث ثلاثة، إنّ الله الأب جل جلاله، والمسيح ﷺ الابن، وأُمّه مريم، والحُجّة الأكبر هو الربّ وهو الأب والدّاعية هي الأُم، واليد هو الابن.

وزعموا أنّ جميع الأشياء التي فرض الله تعالىٰ علىٰ عباده وسنّها نبيّه(ص) وأمر بها، لها ظاهر وباطن، وأنّ جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسنة، أمثال مضروبة وتحتها معان هي بطونها، وعليه العمل وفيه النجاة، وأنّ ما ظهر منها ففي استعماله الهلاك والشقاء، وهي جزء من العقاب الأدنىٰ، عذّب الله به قوماً إذ لم يعرفوا الحقّ ولم يقولوا به، وهذا أيضاً مذهب عامّة أصحاب أبي الخطاب، واستحلّوا استعراض النّاسَ بالسيف وقتلهم علىٰ مذهب الخوارج في قتل أهل القبلة، وأخذ أموالهم، والشهادة عليهم بالكفر، واعتلّوا في ذلك بقول الله عزّوجلّ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [٢] ورأوا سبي النساء وقتل الأطفال، واعتلّوا في ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرينَ دَيّاراً﴾ [٣].

---

١. البقرة: ٣٥.
٢. التوبة: ٥.
٣. نوح: ٢٦.

وزعموا أنّه يجب عليهم أن يبدأوا بقتل مَنْ قال بالإمامة بِمَنْ ليس على قولهم، وخاصّة من قال بإمامة موسى بن جعفر، وولده من بعده؛ وتأوّلوا في ذلك قولَ الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (١) فالواجب أن يُبدأ بهؤلاء، ثمّ بسائر الناس؛ وعددهم كثير، إلاّ أنّه لا شوكة لهم ولا قوّة، وهم بسواد الكوفة واليمن أكثر ولعلّهم أن يكونوا زُهاء مائة ألف. (٢)

أقول: إنّ النوبختي أقدم مَن كتب عنهم من أصحاب المقالات، وقد عاصرهم، حيث إنّ القرامطة ظهرت سنة ٢٦٧هـ وتوفي النوبختي في أوائل القرن الرابع حوالي سنة ٣١٠ هـ فما ذكره عنهم أدقّ ممّا ذكره غيره.

٢. وقال الأشعري: القرامطة يزعمون أنّ النبيّ نصّ على إمامة ابنه الحسن ـ وهكذا ينقل نصّ كلّ إمام على الإمام المتأخر ـ حتّى وصلت النوبة إلى نصّ جعفر على إمامة ابن ابنه محمد بن إسماعيل.

و زعموا أنّ محمد بن إسماعيل حيٌّ إلى اليوم، ولم يمت ولا يموت حتّى يملك الأرض، وأنّه هو المهدي الذي تقدّمت البشارة به، واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم يخبرون فيها أنّ سابع الأئمّة قائمهم. (٣)

٣. وأمّا عبد القاهر البغدادي فلم يذكر القرامطة بالاسم، لكن نقل ما ذكره الإمام الأشعري في المقالات وقال: «و فرقة قالت كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر، حيث إنّ جعفراً نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلمّا مات إسماعيل في حياة أبيه، علمنا أنّه إنّما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل. (٤)

---

١. التوبة:١٢٣.

٢. النوبختي: فرق الشيعة:٧٢ـ٧٦.

٣. الأشعري: مقالات الإسلاميين:٢٦.

٤. عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق:٦٣.

يظهر مما ذكره النوبختي في فرق الشيعة أنّهم كانوا يكفّرون جميع المسلمين حسب عقيدتهم، ولأجله قاموا بقتل حجاج بيت الله الحرام عام ٣١٧هـ في عهد المقتدر بالله.

ذكر ابن الأثير أنّه حج بالناس في هذه السنة (٣١٧هـ) المنصور الدّيلمي،و صار بهم من بغداد إلىٰ مكّة فسلّموا في الطريق فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكّة، يوم التروية، فنهبَ هو وأصحابُه أموال الحُجّاج،وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه، وقلع الحجر الأسود ونفذه إلىٰ هجر فخرج إليه ابن محلب، أمير مكّة في جماعة من الأشراف، فسألوه في أموالهم فلم يشفعهم، فقاتلوه فقتلهم أجمعين، وقلع باب البيت وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات.

وطرح القتلىٰ في بئر زمزم، ودفن الباقين في المسجد الحرام، حيث قُتلوا بغير كفن ولا غُسل، ولا صلى علىٰ أحد منهم، وأخذ كسوة البيت، فقسّمها بين أصحابه، ونهب دُورَ أهل مكّة.

فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العلوي بإفريقية، كتب إليه، يُنكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة، ويقول: قد حققت علىٰ شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفرو الإلحاد بما فعلت، وإن لم ترد علىٰ أهل مكّة وعلى الحجّاج وغيرهم، ما أخذت منهم، وتردّ الحجر الأسود إلى مكانه، وتردّ كسوة الكعبة، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة.

فلمّا وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود، واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكّة فردّه، وقال: إنّ الناس اقتسموا كسوة الكعبة، وأموال الحجاج ولا أقدر علىٰ منعهم.[1]

---

١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ:٨/ ٢٠٧ـ٢٠٨.

من هذا المقطع الذي ذكرناه مـن كلام ابن الأثير يظهر أنّ عبيد الله المهدي ينكر عليهـم ما ارتكبوه مـن جرائم شنيعة، وأنّهم بأعمالهم الـوحشيّة هـذه مهّدوا الطريق لـلأعداء، ليتّهموهم بـالإلحاد، والخروج عن الدين. وهذا ممّـا يوجب على الباحث العلمي إذا أراد أن يخرج بنتيجة إيجابية أن يجعل للقـرامطة حساباً خاصاً وأن يدرسهم دراسة موضوعية تتسم بالعلميّة وعدم الخلط .

و للإسماعيليّة التي كانت الخلافة الفاطميّة في مصر تتبناها حساباً آخر ولا يضربها بسهم واحد.

الملامح العامّة للقرامطة

قد تعرّفت على الفرق الإسماعيلية ، وإنّ منها القرامطة الّذين قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل وغيبته، وبذلك عطّلوا الإمامة، وانقطعوا عن الركب الإمامي، وحيث إنّه كان لهم دور في الأعصار الغابرة لا بأس بذكر ملامحهم العامّة، وفرقهم، وعقائدهم، وما قاموا به من الأحداث الإرهابيّة، وقد وجدنا أنّ ما كتبه «طه ولي» حول تلك الفرقة في كتابه «القرامطة أوّل حركة اشتراكية في الإسلام» هو أبسط ما كتب عنهم، فقمنا بتلخيص ما جاء في هذا الكتاب من المواضيع الهامّة .

القرامطة من إحدى الفرق الباطنية الّتي شغلت السلطات العباسيّة قُرابة قرن من الزمن، وأشاعت الاضطرابَ والقلقَ في الشرق العربي، بما خَلَقْته من أفكار ثوريّة، ما تزال آثارها باقية إلى أيّامنا الحاضرة، عبر الطوائف الدينية الّتي تحمل أسماءً مختلفة.

إنّ القرامطة جاءت من معنى لغويّ وهو قَرمطَ الرجلُ في خَطْوه، إذا قارب بين السطور في كتابته، ويقال: إنّ حمدانَ بن الأشعث مؤسّس هذه الفرقة سُمي قرمط لقصر قامته ورجليه.

أسباب نشوء الحركة القرمطيّة ومؤسّسها:

إنّ كلمة قَرمط بدأت بحمدان بن الأشعث، وهو الّذي نزل عنده الداعي المؤسّس لهذه الفرقة: الحسين الأهوازي، الّذي جاء من ناحية خوزستان، وهذه التسمية ـ أي القرامطة ـ لم تتخذها هذه الفرقة الباطنيّة لنفسها، وإنّما أطلقها أعداؤها عليها في العهود المبكّرة لقيامها.

والحديث عن العوامل التي أدّت إلى نشوء الحركة القرمطية، وقيام دولة القرامطة، ذو شجون، والخوض فيه يحتاج إلى تفصيلات، لا يتسع لها مجال هذه الدراسة، التي قصدنا بها التعريف بالقرامطة، وحركتهم بأكثر ما أمكننا من الإيجاز، دون الدخول في التناقضات التي تميّزت بها أقوال المحققين.

كان المجتمعُ الإسلامي، في أواخر العهد الأُموي يسير في طريق مُظلم، وأنّ الدولة الأُمويّة الحاكمة، العربيّة النزعة والطابع، كما هو جليّ وواضح في تاريخها لم تكن تعتمد إلاّ على العناصر الخالصة التي تنحدر من أصل عربي فلم يُعنَ بنو أُمية بغير قومهم العرب، فمنهم الولاة والقوّاد، ورؤساء الدولة، والعمال وحكّام الأقاليم، والمقاطعات، فضلاً عن أنّ زمام الأسواق التجارية والمهنيّة والزراعيّة، والنفوذ والجاه، كان أيضاً بأيديهم، وبأيدي أنصارهم، ولهذا كره الموالي (غير العرب) حكمهم، وعملوا على إسقاطهم وكانوا معاول هدم في كيان الدّولة الأُمويّة.

إنّ المجتمع الأُموي كان يقوم على سيادة العنصر العربيّ، فكان لا يتمكن أيُّ إنسان من الانتساب إلى صفوفه إلاّ بطريق الولادة، ولم يكن أفراده يدفعون الضرائب عن أراضيهم، وكانوا وحدهم أصحاب الحقّ، بأن يتجنّدوا في الأمصار، ويقبضوا الرواتب الشهرية المغرية، فضلاً عن حقّهم بالأعطية من غنائم الفتوح، ولم يكن حلول العباسيين محلّ الأُمويين أكثر من مجرد تغيير الأُسرة الحاكمة.

وبذلك تبين أنّ الأسباب التي أدّت إلى قيام الحركة القرمطية كانت هي أيضاً في جوهرها حركة قوميّة إقليميّة وإقتصاديّة واجتماعيّة، ولعلّنا لا نأتي بجديد حين نقول: إنّ الأُمويين بسياستهم هذه: قد مهّدوا الطريق لمن يريد ضرب الدّولة الإسلامية، وكان أفضل وسيلة للمنفعلين بهذه الأسباب أن اتخذوا من الصراع العقائدي بين بني أُميّة وبين بني هاشم، ذريعة لتقويض الحكم العربي العنصريّ، ونقض التعاليم الإسلاميّة، وذلك بادّعائهم الولاء للهاشميين في مطالبتهم

بحقّهم بالخلافة دون الأُمويين.

وهكـذا تكون كـلّ الحركـات الباطنيّـة تـوسلتْ بشعـار الـولاء لآل البيت النبوي، مـن أجل الوصـول إلى هدف واحد وهـو الثأر من حكـام الوقت الّـذين أشاعـوا البدع الجاهليّة، تحت غطـاء الإسلام، ومنها التركيـز على العنصر العربي، والحط من الموالي المسلمين.

كان ابتداء الدّعـوة القرمطيّة في البحرين عن طريـق رجل يُعرف بيحيى بن المهـدي، الذي قصـد بلدة القطيف، وحـلّ فيها ضيفـاً على رجل يُعـرف بعلي بن المعلى بن حمدان، مولى الزياديّين، فأظهر له يحيى أنّه رسولُ المهدي، وكان ذلك في سنة ٢٨١هـ، وذكر أنّه خرج إلى شيعته في البـلاد، يدعوهم إلى أمره وأنّ ظهوره قد قَرُب، فأخبر عليُّ بن المعلى، الشيعةَ من أهل القطيف، وقرأ عليهم الكتاب، الذي مع يحيى بن المهدي، المرسل إليهم من المهديّ، فأجابوه، وأنّهم خارجون معه ، إذا ظهر أمـره. ووجّه إلى سـائر قرى البحرين بمثـل ذلك، فأجابـوه وكان أبـو سعيد الجنابيّ يبيع للناس الطعامَ و يحسب لهم بيعهم.

ويقول مؤلّف «البحرين عِبر التـاريخ»: إنّ حمدان قرمط ابن الأشعث، هو مؤسّس حركة القرمطيين في واسط بين الكـوفة والبصرة ـ حيث أنشأ داراً للهجرة، وجعلها مـركزاً لبث الـدّعوة، ثـمّ كلّف دعاتـه بإنشاء فـروع للحركـة، أهمّها على الإطلاق فرعُ البحرين الذي أقامه أبو سعيد الجنابي.

فرق القرامطة:

القرامطة تـوزّعوا في أيّام ظهورهـم إلى ثلاث فرق، ومرّوا في ثـلاث مراحل، وتقلّبوا في ثلاثة أدوار:

الفرقة الأُولى: وهي قـرامطة السّـواد ـ أي سـواد العراق ـــ وقد أطلـق لفظُ السـواد على هذه المنطقة لكثرة النخيل الذي يُغَطّي أرضها، ويطلق على هذه الفرقة

كذلك، اسم قرامطة الشمال، وأبـرز دعاتهم «داندان» و«حمدان» و«عبادان» و«آل مهرويه».

الفرقة الثانية: قرامطة البحرين أو الخليج في شطه الغربي، وأبرزُ دعاتهم آل الجنابي.

الفرقة الثالثة: قرامطـة القطيف وجنـوبي البصرة، وأبرز دعـاتهم أبو حـاتم البوراني، وأبو الفوارس، وهذا يُعدُّ من كبارهم، وله مع الخليفة العباسي «المعتضد» محاورة مشهورة، ويُعتبر من أقوى الدعاة الّذين عرفهم القرامطة في تاريخهم.

انقسام القرامطة إلى حركتين بعدما كانت حركة واحدة

عندما هلك سليمان بن الحسن الجنابي «أبو طاهر»، زعيم الدولة القرمطية في البحرين، الـذي هتك حرمة الكعبة، وقتل الكثير مـن الحجاج، ترك أولاداً غير أكفـاء لخلافته في الـزعامـة، فتنافس أخـواه سعيد وأحمد على الـولاية، وأدّى هـذا التنافـس إلى انقسام جماعة القـرامطة إلى حـركتين متعاديتين بعدَ أن كـانوا حـركة واحـدة متجـانسـة، وكان على رأس إحـدى هـاتين الحركتين أبنـاء سليمان (أبـو طاهرالجنابي) ومعهم سابور، وعمـه أحمد، وانضم إليهم كبار هذه الطائفة، وكان هؤلاء خـاضعين للعُبيديين في المغرب يتلقون منهـم التوجيه وينفِّـذون تعاليمهم، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم «الفرقة العقدانية» أي أصحاب العقيدة.

وعلى رأس الحركـة الثانيـة، بسعيد المذكـور الـذي رفض التبعية للعُبيـديين وآثر الاستقلال بشؤونـه، ولأجل تقوية مركزه ضد العبيديّين، الـذين لم يعترفوا به، اتجه لمصانعة العباسيين الذين سـارعوا لموآزرته بهدف تعميق الانقسام في صفوف هؤلاء القرامطة، لكي يسهل التخلص منهم جميعاً، وقد أدّى هذا الانقسام الذي رافقتـه حروب داميـة بين الحركتين إلى التعجيل بنهـاية القـرامطة كقـوة سياسيـة ومذهبية.

عقائد القرامطة

إنّ عقائد القرامطة ، هي مزيج من الحق والباطل شأن كلّ فرقة زائفة، فأخذت بتبنّي الإمامة لأئمّة أهل البيت وإظهار الإخلاص لهم، ورفض الحكومات الأموية والعباسية المخالفة للقرآن والسنّة والسيرة النبوية .و إليك بعض عقائدهم بشكل موجز:

١. نظرية الحلول عند القرامطة

والقرامطة ، قالوا بنظرية الحلول أو ما يسمىٰ عند بعض الطوائف المعاصرة باسم حلول اللاهوت بالناسوت، فذهبوا إلىٰ أنّ أئمّتهم حلّت فيهم شخصيات الأنبياء السابقين الذين بعثهم الله في الأُمم الغابرة ابتداءً من آدم وانتهاءً بمحمّد ﷺ بل أنّهم تجاوزوا الأنبياء.

لما دخل عبيد الله المهدي إلى رقادة بالمغرب مدحه محمد البديل، أحد موظفي الديوان عند أبي قضاعة بقوله:

حل برقادة المسيح ... حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصفّى ... حل بها الكبش والذبيح
حل بها ذو المعالي ... وكل شيء سواه ريح

٢. الغلو عند القرامطة

تعتقد القرامطة أنّ الإمام القائم هو محمد بن إسماعيل الذي يبعث بالرسل، ويسن شريعة جديدة ينسخ بها شريعة النبي محمد ﷺ.

كما يعتقد القرامطة بأنّ روح الله تعالى تحل في أجساد أئمتهم فتعصمهم من

الزلل وترشدهم إلى صالح العمل.

وهم يعتقدون أيضاً أنّ أئمّتهم السبعة هم السبع المثاني الذين أشار القرآن الكريم إليهم، ورفعوهم إلى حدّ المغالاة.

٣. التأويل الباطني في تفسير القرآن

تفردت الباطنية بتفسير القرآن الكريم على طريقة التأويل الباطني، وهو أن يتجاوز الإنسان المعنى الظاهري للآية ويتجه إلى فهمها عن طريق تفسير كلماتها بما يخيل إليه أنّه المقصود الحقيقي من كلام الله، ومن الطبيعي أن يعتمد الباطنيون هذه الطريقة لتحميل الآيات المعنى الذي يؤيد وجهة نظرهم وأفكارهم المذهبية.

إنّ التأويل بمعناه الواقعي لدى الإسماعيليين يختلف عن التفسير المعمول به لدى عامة الفرق الإسلامية الأُخرى، والتفسير معناه جلاء المعنى لكلّ كلمة غامضة لا يفهم معناها القارئ والتأويل باطن المعنى أو رمزه أو جوهره وهو حقيقة مستترة وراء لفظة لا تدل عليها، ومن هنا أعطى النظام الإسماعيلي ـ ومثله القرمطي ـ الفكري صلاحية التفسير للناطق ووهب صلاحية التأويل للإمام، فالناطق اعتبر ممثلاً للشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر، والإمام اعتبر ممثلاً للحقيقة والتأويل، و الفلسفة والباطن، ومن الواضح أنّ أوّل منهاج دعوا إليه هو نظام التأويل، فإنّهم هذّبوه وصقلوه بأفكارهم وأدخلوا فيه النظرية العقلية التي تشذب الفعل والتسليم ليثبتوا للعالم الإسلامي انهّم من العريقين في فهم الأُصول الإسلامية، فقالوا بالباطن وضرورته كما قالوا بالظاهر إلى جانبه، فلا يقبل الظاهر دون الباطن، ولا ينفع الباطن دون الظاهر، لأنّ الباطن والظاهر كالجسد والروح تولد في اجتماعهما الفوائد ومعرفة المقاصد.

إنّ للقرآن مدلولاً، ظاهرياً أو باطنياً، فالمعنى الظاهري واللغوي ليس هو المقصود بالذات والتمسك بهذا المعنى يوجب العذاب والمشقة، أمّا الأخذ

بالمعنى الباطني فهو يوجب الانشراح والسعادة، لأنه يقضي بترك التكاليف والأعمال الظاهرة وكان ابن ميمون يدس هذه الفكرة بصورة خفية وباطنة وما كان يتظاهر بها تجاه غير الإسماعيليين ـ القرامطة ـ ولذلك كانت هذه الطريقة مبالغ فيها.

نهاية القرامطة سياسياً وعسكرياً

في منتصف القرن الرابع الهجري دخل القرامطة النهاية لأسباب ذاتية وأخرى خارجية، وما لبثوا أن زالوا عن مسرح الصراع في المشرق العربي من الناحيتين السياسية والعسكرية.

الأسباب الذاتية

من الواضح أنّ الحركة القرمطية لم تستطع إخفاء مقاصدها الحقيقية في محاربة العقيدة الإسلامية الصحيحة لا سيما بعد الانتصارات المحلية لبعض زعمائها على السلطة العباسية، فقد أساء المتأخرون من هؤلاء الزعماء التصرف بالنسبة للمجتمع الإسلامي آنذاك، حتى أنّ العبيديين وهم على منوالهم في الاتجاه السياسي والعقائدي اضطروا إلى أن يتبرأوا منهم وأن يهاجموهم عسكرياً في أماكن تواجدهم ، حيث أوعزوا إلى قائدهم العسكري «جوهر الصقلي» بأن يذيع بياناً يستنكر فيه أعمال القرامطة ويتبرأ من تصرفاتهم المغايرة للإسلام والضارة بالمسلمين، على أنّ جوهر لم يكتف بهذا البيان بل حاربهم فعلاً على أرض فلسطين في الرملة (سنة ٣٦٨هـ)، وكانت هذه المعركة بداية النهاية بالنسبة للحركة القرمطية ولأتباعها على مختلف المستويات وفي جميع البلدان التي انتشروا فيها بقوة الدعاية التبشيرية أو بقوة السلاح والأرهاب.

وإنّه يمكن القول بأنّ حادثة العدوان الذي قام به القرامطة على مكة

المكرمة بقيادة أبي طاهر الجنابي، وما رافق ذلك من قتل الحجاج، واقتلاع الحجر الأسود من مكانه، وأخذه إلى هجر، إنّ هذه الحادثة كانت بمثابة القنبلة الموقوتة التي انفجرت بعد حين ودمرت الكيان القرامطي من أساسه، حتى أنّ أبا محمد عبيد الله الذي أسس الدولة العبيدية وكان هو نفسه قرمطي العقيدة استهول هذه الحادثة وأفزعته مضاعفاتها السلبية في الأوساط الإسلامية، فأرسل كتاباً لنظرائه قرامطة البحرين ينكر فيه عليهم فعلتهم الشنيعة ويلوم أبا طاهر المذكور ويلعنه ويقيم عليه القيامة، بقوله:

قد حقّقت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت وإن لم ترد على أهل مكة وعلى غيرهم من الحجاج ما أخذت منهم، وترد الحجر الأسود إلى مكانه، وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة.

وهذه الحادثة المشؤومة كانت (سنة ٣١٧هـ) و هنا فإنّنا نرى من الفائدة تسجيل وجهة نظر القرامطة في هذه الحادثة كما عبّر عنها أبو طاهر القرمطي الذي اقترف هذه الجريمة النكراء، وذلك من خلال الشعر الذي قاله في هذه المناسبة، والرد الذي أرسله إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله.

قال أبو طاهر في تبرير اقتلاع الحجر الأسود والعدوان على البيت الحرام:

فلو كان هذا البيت لله ربّنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنّا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً
و انّا تركنا بين زمزم والصفا ... كتائب، لا تبغي سوى ربها ربا
و لكن ربّ العرش جلّ جلاله ... لم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجبا

ومن العوامل الذاتية الأُخرى التي أضعفت القرامطة وأدّت إلى ذهاب ريحهم واضمحلال شوكتهم، الانقسام الذي فرّق أمرهم فيما بينهم، وخاصة بعد موت أبي طاهر سليمان مما اضطرهم إلى تعديل نظام (مجلس العقدانية) وتحويله (إلى مجلس السادة) الذي أوهن قيادتهم المركزية، والحروب التي شنها بعضهم على

بعض في عهدي أبي طاهر والاعلم خارج مركز قوتهم (البحرين) مما كبدهم أموالاً طائلة، وأضعف مواقفهم بعد كل معركة، وأدى إلى قيام حركات انفصالية داخل مجموعتهم لا سيما في عمان وا ليمن.

الأسباب الخارجية

أمّا الأسباب الخارجية التي أدّت إلى زوال الحركة كدولة ونظام ومجتمع، فإنّ المؤرخين يردّون ذلك إلى الظواهر السلبية التي عانوا منها في أُخريات أيامهم وهي التالية:

١. ظهور دولة بني بويه المناوئة للقرامطة التي نجحت في جرهم إلى حروب جانبية خلقت لهم أعداء من كلّ جانب، وخاصة من الدولة العبيدية المصرية.

٢. قلة الأموال التي كانت بحوزتهم، فلم يعودوا يتمكنون من الاستمرار في صرف المعتاد من العطايا على البدو مما أضعف موالاة هؤلاء لهم، وتحوّلوا عنهم إلى العباسيين لهذا السبب.

٣. انقلاب قبائل إقليم البحرين نفسها عليهم، مثل: بني عقيل وبني تغلب، ونجاح هذه القبائل بالتغلب على بعض أطراف الدولة القرمطية مثل القطيف وما جاورها.

٤. ومن العوامل الخارجية الأُخرىٰ التي قادت القرامطة إلى نهايتهم وتلاشيهم أنّ أسيادهم وحلفاءهم ورفاقهم في الاتجاه المذهبي والمبادئ العقائدية، نعني: العبيديين حكام القاهرة، انقلبوا عليهم بعد أن ضاقوا ذرعاً بتأرجحهم بين الولاء لبغداد وبين الاستسلام للقاهرة، وبخروجهم عن كلّ حد، وزاد غيّهم وسفكهم للدماء وغزوا مكة وفتكوا بالحاج واقتحموا البيت الحرام، ولمّا ذهبوا في جرأتهم إلى مهاجمة الدولة الفاطمية ذاتها في الشام وانتزعوا منها دمشق وهاجموها في مصر منزلها الجديد، تنكرت لهم وأنكرت ثورتهم وتبرأت منهم.

نهاية القرامطة

وقد مرت نهاية القرامطة في مرحلتين:

الأولى: يوم طردوا من جزيرة أوال في البحرين

ففي سنة ٤٥٨هـ خرجت الجزيرة المذكورة عن طاعتهم ووالت العباسيين بعد سلسلة الحروب الداخلية التي خاضها المسلمون والمجاعة في هذه الجزيرة، فقد بنى أهل البحرين مسجداً لجذب التجار إلى جزيرتهم، ولمّا فرغوا من بناء هذا المسجد آل أمر الجزيرة إلى العباسيين.

الثانية: استئصال شأفتهم نهائياً من هذه البلاد

كانت هزيمة القرامطة في جزيرة أوال ذات أثر سلبي كبير عليهم، إذ عمد سكان الجزيرة إلى الاتصال بالسلاجقة والعباسيين في العراق وفي سنة ٤٦٢هـ بعثت بغداد بجيوش ألحقت الهزيمة تلو الهزيمة بالقرامطة، فاضطروا للارتداد إلى الأحساء، فلحقت بهم إلى الأحساء وحرضوا عليهم السكان بالمنشورات التي يستحثونهم فيها على الانضواء تحت لواء العباسيين في جهاد المبطلين القرامطة الملحدين، وفي استئصال ذكرهم، وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم.

فاستجاب أهالي البلاد لهذه الإثارة وانضموا إلى العساكر العباسية، وأصبح القرامطة محاطين بأعدائهم في شمالي الأحساء الذين انتصروا عليهم في معركة الخندق سنة ٤٧٠هـ.

وتعد هذه الواقعة من الوقائع الحاسمة في تاريخ الحركة القرمطية، لأنها قضت على دولة القرامطة وألغت وجودها نهائياً من خارطة العالم الإسلامي.

***

هذا وقد لخصنا هذا المقال من كتاب طه ولي بتصرف يسير لما لمسنا منه من تطرف للحكم العربي المتمثل في الدولة الأُموية والعباسية حيث رأى أنّهما يمثلان الدولة الإسلامية الشرعية المجسدة لأهداف النبي ﷺ وآماله.

الفصل السادس عشر



في

فرقة الدروز



الـدروز هي جمع الـدرزي، والعـامة تتكلّـم بضم الـدال، والصحيح هـو فتحها. والظاهر انّ الكلمة تركيـة بمعنى الخياط، وهي من الكلمات الدخيلة على العربية حتى يقال: درز يدرز درزاً، الثوب، خاطه، والدرزي: الخياط.

والدروز فرقة من الباطنية لهم عقائد سرية متفرقون بين جبال لبنان وحوران والجبل الأعلى من أعمال حلب.

ولم يكتب عن الدروز شيء يصح الاعتماد عليـه ولا هم من الطوائف التي تنشر عقائدها حتى يجد الباحث ما يعتمد عليه من الوثائق.

نعم كتب عنهم المستشرقون أشياءً لا يمكن الاعتماد عليها، وقد سبق منّا في تـرجمة الإمام الحادي عشر الحاكم بـالله انّ الإسماعيليـة كانـت فرقـة واحدة وطـرأ عليهم الانشقاق بالقول بإلوهية الحاكم وغيبته وهم اليوم معروفون بالدروز، وقلنا: إنّ الحاكم استدعى الحمزة بن علي الفارسي الملقّب بالدرزي وأمـره أن يذهب إلى بلاد الشـام ليتسلم رئاسة الـدعوة الإسماعيليّـة فيها، ويجعل مقـرّه «وادي التيم»، ولقبـه الإمـام بـالسيـد الهادي، وتمكن الـدرزيّ في وقـت قليل مـن نشر الـدعـوة الإسماعيليّـة في تلك البلاد إلى أن وصلـت إليه وفـاة الإمـام الحاكم وتصدى ابنـه الظاهـر لمقام الـولاية، ولكن الـدرزيّ لم يعترف بوفـاة الإمام الحاكم بل ادّعـى انّه غاب وبقـى متمسكاً بإمـامته ومنتظـراً لعودتـه، وبذلـك انفصلت الدرزيـة عن الإسماعيليّة وكان ذلك الانشقاق عام ٤١١هـ.[١]

***

---

١. لاحظ تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٣٨.

الدروز في موسوعات دائرة المعارف

إنّ الدروز مـن الفرق الباطنيـة التي يصعب الاطلاع على عقـائدهم لأنّهم راعوا جـانب الحذر والتكتم عليها، ومـع ذلك فقد نقل أصحـاب دوائر المعارف أموراً عنهم، ونحن نقتطف مما جاء فيها:

١. الدروز في دائرة المعارف البستانية [١]

بعد أن ذكرت الموسـوعة مراكز تـوطّنهم وعدد نفوسهم وشيئـاً من أحوالهم السياسية والآداب الاجتماعية و ما يزاولـوه من المهن كالزراعة والتجارة، والحروب التي نشبت بينهم وبين غيرهم من الطوائف، قالت عن عقيدتهم ما هذا نصّه:

و إيمان الدروز، أنّ الله واحد، أحد، لابداءة له ولا نهاية، وأنّ النفوس مخلّدة تتقمّص بـالأجساد البشريـة (التنـاسخ)و لابدّ لها مـن ثواب وعقـاب يوم المعـاد بحسب أفعـالها، وأنّ الدنيـا تكونـت بقولـه تعالى كـوني فكانت، والأعمار مقـدّرة بقوله:﴿وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفساً إذا جاءَ أَجَلُها﴾ [٢]، وأنّ الله عارف بكل شيء، وهم يكرمـون الأنبياء المذكـورين في الكتب المنزلـة، ويؤمنـون بالسيـد المسيح ولكنّهم ينفون عنـه الإلوهيـة والصلب،وأسماء بعض الأنبيـاء عندهم كـأسمائهم في تلك الكتب، ولبعضهم أسماء أُخرى كـالقدّيس جرجس، فإنّـه عندهم الخضر، وأسماء أنبيائهـم شعيب وسليمان وسلمان الفارسي ولقمان ويحيى، وعنـدهم انّه لابـدّ من العرض والحسـاب يوم الحشر والنشر. وتنقسـم هذه الطـائفة إلى: عقّـال وجهّال. فـالعقـال هم عمـدة الطـائفة، ولهم رئيسـان دينيـان يسمّيـان بشيخي العقّـال، والأحكام الدينية مفوضة إليهم.

---

١. وقد طبع الجزء الذي نقلنا الترجمة عنه عام ١٨٨٣ م، أي ما يعادل عام ١٣٠١ هـ.

٢. المنافقون:١١.

وعندهم للوصية نفوذ تام، فإنّ الإنسان مختار أن يوصي قبل موته بأملاكه لمن يشاء، قريباً كان أم غريباً. ولذلك قد منحتهم الدولة العلية منذ القديم قاضي مذهب لدعاوى الوصايا.

وقد أمر عقّالهم بتجنّب الشك، والشرك، والكذب، والقتل، والفسق، والزنا، والسرقة،والكبرياء، والرياء، والغش، والغضب، والحقد، والنميمة، والفساد، والخبث، والحسد،وشرب الخمور، والطمع، والغيبة، وجميع الشهوات والمحرمات والشبهات، ورفض كلّ منكر من المآكل والمشارب، ومجانبة التدخين،والهزل والمساخر والهزء والمضحكات، وجميع الأفعال المغايرة لإرادته تعالى،وترك الحلف بالله صدقاً أو كذباً،والسب،و القذف،والدعاء بما فيه ضرر الناس.

وعندهم انّه على كلّ مؤمن التحلّي بالعفاف،و الطهارة،و الفعل الجميل، والكرم بالعلم، والمال، وخوف الله وطاعته، والرصانة،و صيانة العرض،و صدق اللسان، وصونه من الإفك والإثم والزور والبهتان مع استمرار ذكر الله وتسبيحه وتقديمه، وتقديم الصلوات والتضرعات والتوسلات لعزته تعالى.

ولا يجوز لعاقل أن يخلو بامرأة، ولا أن يرد تحيّتها ما لم يكن بينهما ثالث.

وشأنهم التهذيب وكره الزيف والترف. وكل عاقل ارتكب القتل أو الزنا أو السرقة أو غيرها من الآثام يطرد من مجلس العقال الذين يجلسون فيه للقيام بالفروض الدينية ويبقى مطروداً إلى أن تتحقّق ندامته وتوبته.

ومن شأن الدروز إكرام الضيف،و الشجاعة، والاقتصاد بالمعيشة.

ويسكنون الآن في جبل لبنان وقضاء «راشيا» وقضاء «حاصيا» وإقليم البلان والغوطة والشام وجبل حوران وجبل الكرامل والجبل الأعلى ومرعش وحلب والحلة والكوفة، ومنهم عشيرة بني لام في العراق، وفي الغرب والهند.

وتناولنا من أحد أُدبائهم جملة أُخرى هذا ملخصها:

يؤمن الـدروز بأنّ الدنيا حادثة وبـوجود الله وان لا خالق سواه. وانّـه قديم أزلي،أبدي، عـادل، لا غرض لفعلـه، غني لا يحتاج، وحـاكم قـادر لا يجب عليه شيء، إن أثاب فبفضلـه وإن عاقب فبعدلـه، غير متبعّض، ولا له حـد ولا نهاية، ويعتقدون القرآن الشريف اعتقاد السنيـة إلاّ أنّهم يخالفونهم في تفسير بعض آياته الكريمة. ويعتقدون أيضاً أقوال حمزة وتعاليمه ويسمّونها كتب الحكمة؛ وتتضمن علم التـوحيـد، وكيفيـة خلق العـالم وأسبـابـه وعللـه، وذكـر الأنبيـاء، وأسمائهم وفضـائلهم، والأمر بـالمعروف والنهـي عن المنكر، ومـا يجب على الإنسان ومـا لا يجب عليه، وإثبـات المعاد والحساب والعقـاب واعتقاد التناسخ، وكـون النفوس معدودة محدودة لا تزيـد ولا تنقص باقية أزلية لا تفنى، مستقرة في أمكنتهـا غارقة في بحر عظمة اللاهوت، تفنى الأجساد القائمة بها وتتلاشى وهي باقية إلى الأبد لا تفنى ولا تتغير.

وهم ينقسمون باعتبار الطريقة المذهبية إلى قسمين:

طائعون ويعرفـون بالعقـال، وهم السـالكون بمقتضى الطـريقة المذهبيـة، كـالامتنـاع عن التـدخين وسـائر المشروبـات الـروحيـة والابتعـاد عن التـأنّق في المأكـولات والملبوسـات وسـائر اللـذات الدنيـويـة والاقتصـار على التقشف في المعيشة.

و شراحـون ويعـرفون بـالجهال، وهم المخـالفـون للعقّال في الامتنـاع عن التدخين والمشروبات الـروحية وعن الترفّه في المعيشـة والتنعّم باللذات الدنيـويّة، ولذلك لا يسـوغ لهم مطالعة القرآن الشريـف، ولا متون الحكمة خلافـاً للعقال، لأنّ عندهم كتبـاً مقدسة لا يمسّها إلاّ الطـاهرون. والطهارة عندهـم الامتناع عن سائر المحـرمات والممنوعـات، وإنّما يسوغ لهم تلاوة بعض شروح كتـب دينية، ولهذا يقال لهم شراحون.

و يمتاز العقال عن الجهلاء بكونهم يتعمّمون بعمامة بيضاء ويلبسون الملابس البسيطة كالقباء والعباءة، ونسبة هؤلاء العقال إلى الجهال عدداً أكثر من ثلاثة أرباع.

أمّا شعائرهم في ختان الأولاد والزواج والطلاق والصلاة على الجنازة فهي طبق الشعائر الإسلامية غير انّه ليس من عوائدهم أن يتزوج أحدهم بغير امرأة واحدة، لا يسوغ التزوّج بها ثانية بعد الطلاق على الطريقة المعروفة بالرجعة، ولهم عيدان: عيد رمضان ويسمّونه بالعيد الصغير، وعيد الأضحى ويسمّونه بالكبير، ولهم معابد كثيرة معدّة للصلوات يجتمعون فيها كلّ ليلة جمعة، ولأكثر هذه المعابد أوقاف مخصوصة تنفق حاصلاتها على لوازم تلك المعابد. ولهم أيضاً معابد أُخرى معدّة للأشخاص الذين يفرغون أوقاتهم لعبادة الله تعالى. وتسمّى هذه المعابد بـ «الخلوات» وهي كالأديرة عند المسيحيين عددها ٤٠ في الجبل وخلافه. [١]

٢. الدروز في دائرة المعارف المصرية [٢]

هذا ما يذكره بطرس البستاني ويصور لهم صورة بيضاء ناصعة ويطهّرهم عن كلّ ما ينسب إليهم من المنكرات، وفي الوقت نفسه يصوّر لنا الكاتب محمد فريد وجدي صورة مشوّهة عنهم حينما قال:

ظلت معتقدات الدروز في طي الخفاء حتى استولى إبراهيم باشا بن محمد علي على معابدهم في جبل «حاصبيا» ووجد في كتبهم كنه مذهبهم تفصيلاً منها كلمة الشهادة عندهم :(ليس في السماء إله موجود ولا على الأرض ربّ معبود إلاّ الحاكم بأمره).

من معتقداتهم أنّ الحاكم بأمر الله هو الله نفسه وقد ظهر على الأرض عشر

---

١. البستاني: دائرة المعارف : ٧/ ٦٧٥ ـ ٦٧٧.

٢. طبع سنة ١٣٨٦ هجري، ١٩٦٧ ميلادي.

مرات أولاها في العلى، ثمّ في البارز إلى أن ظهر عاشر مرة في الحاكم بأمر الله، وأنّ الحاكم لم يمت بل اختفى حتى إذا خرج يأجوج ومأجوج ـ ويسمّونهم القوم الكرام ـ تجلّى الحاكم على الركن اليماني من البيت بمكة ودفع إلى حمزة سيفه المذهب فقتل به إبليس والشيطان، ثمّ يهدمون الكعبة ويفتكون بالنصارى والمسلمين ويملكون الأرض كلّها إلى الأبد.

ويعتقدون أنّ إبليس ظهر في جسم آدم، ثمّ نوح، ثمّ إبراهيم، ثمّ موسى، ثمّ عيسى، ثمّ محمد، وأنّ الشيطان ظهر في جسم ابن آدم، ثمّ في جسم سام، ثمّ في إسماعيل، ثمّ في يوشع، ثمّ في شمعون الصفا، ثمّ في علي بن أبي طالب، ثمّ في قداح صاحب الدعوة القرمطية.

ويعتقدون بأنّ عدد الأرواح محدود، فالروح التي تخرج من جسد الميت تعود إلى الدنيا في جسد طفل جديد.

وهم يسبون جميع الأنبياء، يقولون: إنّ الفحشاء والمنكر هما أبوبكر وعمر، ويقولون: إنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [1] يراد به الأئمّة الأربعة وانّهم من عمل محمد.

و يعتقدون بالإنجيل والقرآن، فيختارون منهما ما يستطيعون تأويله ويتركون ماعداه، ويقولون: إنّ القرآن أُوحي إلى سلمان الفارسي فأخذه محمد ونسبه لنفسه ويسمّونه في كتبهم المسطور المبين.

ويعتقدون أنّ الحاكم بأمر الله تجلّى لهم في أوّل سنة (٤٠٨هـ) فأسقط عنهم التكاليف من صلاة وصيام وزكاة وحجّ وجهاد وولاية وشهادة.

لدى الدروز طبقة تعرف بالمتزهين وهم عباد أهل ورع وزهد، ومنهم من لا يتزوج، ومن يصوم الدهر، ومن لا يذوق اللحم، ولا يشرب الخمر. [2]

---

١. المائدة: ٩٠.

٢. محمد فريد وجدي: دائرة المعارف: ٤/ ٢٦ ـ ٢٨.

عقائد الدروز

وقد تناولت دائرة المعارف الإسلامية ـ بعد أن استعرضت شيئاً من أحوالهم ومواطنهم وعاداتهم وحرفهم ـ جانباً من أبرز جوانب عقيدتهم، وهو اعتقادهم بإلوهية الحاكم، ما هذا نصّه:

١ . اعتقادهم بإلوهية الحاكم

وقد قام مذهب الدروز على فكرة أنّ الله قد تجسد في الإنسان في جميع الأزمان وهم يتصورون أنّ الله ذاته أو على الأقل القوة الخالقة تتكون من مبادئ متكثرة يصدر الواحد منها عن الآخر ويتجسد مبدأ من هذه المبادئ في الإنسان.

فالخليفة الحاكم وفقاً لهذه العقيدة يمثل الله في وحدانيته وهذا هو السبب في أنّ حمزة قد أطلق على مذهبه اسم مذهب «التوحيد» وهم يعبدون الحاكم ويسمّونه «ربنا» ويفسرون متناقضاته وقسوته تفسيراً رمزياً، فهو آخر من تجسد فيهم الله. وهم ينكرون وفاته ويقولون إنّه إنّما استتر وسيظهر في يوم ما وفقاً للعقيدة المهدوية.

ويلي الحاكم في المرتبة خمسة أئمّة كبار تتجسد فيهم المبادئ التي صدرت عن الله:

فالأوّل: تجسيد للعقل الكلي، وهو حمزة بن علي بن أحمد الزوزني الملقب بـ«العقل» ويرمز له بـ«الأخضر» وهو الإمام الأعظم وآدم الحقيقي.

والثاني: تجسيد للنفس الكلية وهو إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي الملقب بـ«النفس» ويرمز له بـ« الأزرق» وهو صهر حمزة ووكيله في الدين.

والثالث: تجسيد للكلمة التي خرجت من النفس عن طريق العقل، وهو محمد بن وهب القرشي الملقب بـ «الكلمة» ويرمزر له بـ«الأحمر» وهو سفير القدرة

والشيخ الرضي.

والرابع: السابق وهو سلامة بن عبد الوهاب السَّمُري الملقب بـ «السابق» ويرمز له بـ «الأصفر» أو «الجناح الأيمن».

الخامس: التالي وهو بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموكي الملقب بـ «التالي» أو «الجناح الأيسر» ويرمز له بـ «البنفسجي» وهو آخر الحدود الخمسة وبه انغلقت الدعوة الدرزية وصارت سرية لا علنية.

و يلي هؤلاء الأئمة الكبار آخرون أدنى منهم مرتبة موزعون على ثلاث طبقات وهم: الداعي، والمأذون، والمكاسر و يعرف أيضاً بالنقيب. ويعرف الداعي كذلك بالعمل، والمأذون بالفاتح.

ومعرفة ذات الله وصفاته وتجلياته في سلسلة المبادئ المتجسدة في الأئمة وهي عقائد هذا المذهب. وتتلخص آدابه في سبعة أركان تقوم مقام أركان الإسلام وهي:

١. حب الحقّ (بين المؤمنين دون غيرهم).

٢. حفظ الإخوان (الدروز).

٣. التبرؤ من العقيدة التي كان يدين بها الدرزي من قبل.

٤. الابتعاد عن الشيطان وعن الضالين والأبالسة.

٥. التوحيد للحاكم في كلّ عصر ومكان.

٦. الرضا عن أفعال «ربنا» الحاكم أياً كانت.

٧. الخضوع التام لإرادته كما تتجلّى في أئمته على ما هو مفهوم.

و هذه القواعد واجبة الطاعة على كلّ درزي رجلاً كان أو امرأة. [١]

وقد قام بعض الباحثين بتأليف رسالة خاصة بعقائدهم أشار فيها إلى جوانب أُخرى منها ـ غير ما نقلناه آنفاً ـ وإليك نصّ المقال بتلخيص وتصرّف:

---

١. دائرة المعارف الإسلامية: ٩/ ٢١٧ـ ٢١٨.

٢. التحريف الواضح للقرآن وانّ الأنبياء أبالسة جاءوا للظاهر

كانت عقيدة الدروز بادئ بدء تؤمن بالقرآن وانّه من العلي الأعلى كما تؤمن بالنبي محمد ﷺ وبقية الأنبياء كموسى وعيسى وإبراهيم ﷺ و تجلّهم كثيراً، لكن بعد ذلك صارت هذه العقيدة لا تؤمن بالله إلاّ بالحاكم ولا بالأنبياء بل تعدهم أصل الظاهر يحرفون الناس عن الباطن والحقيقة، واستطاع (حمزة بن علي) أن يجمع من متفرقات كثيرة حتى يكتب (المصحف المنفرد بذاته) أو كثيراً من رسائل الحكمة والتي صارت فيما بعد العقيدة الدرزية.

و يتظاهرون في المجتمع الإسلامي بأنّهم مسلمون وينسبون أنفسهم إلى الإسلام وقد يحفظون بعض آيات القرآن والتي وردت في «المصحف المنفرد بذاته» ويتظاهرون بإيمانهم بالقرآن والأنبياء، وقد يعطون الرسائل الأربعة الأُولى لرسائل الحكمة التي وجدت على قبر الحاكم بأمر الله الفاطمي وذلك للتمويه والتظاهر بانتسابهم إلى الإسلام.

لكنّهم يؤوّلون ما جاء في ذلك إلى مبنى مباين ومغاير تماماً فالمسيح الحقّ هو حمزة، وبسم الله الرّحمن الرّحيم هي حدود حمزة، والجنة التوحيد، والنار هي الشرك، والصدق هم أنبياء الحقّ، والكذب هم الأبالسة ويقصدون بهم الأنبياء: آدم، ثمّ نوح، ثمّ إبراهيم ، ثمّ موسى، ثمّ عيسى، ثمّ محمّد.

٣. إيمانهم بالتناسخ واعتباره مبدأ أساسياً في عقيدتهم

يؤمنون بالتقمّص حيث تنتقل روح الإنسان بعد موته إلى شخص آخر جديد وهكذا، ويتمسّكون أمام المسلمين بقوله تعالى: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [1] ، ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [2] ويوجد في

١. آل عمران:٢٧.
٢. غافر: ١١.

«المصحف المنفرد بذاته»:

«لقد كبرت فرية تخرج من أفواه الذين جحدوا إذ قالوا لن نرجع إلى خلق جديد حتى يوم الحاقة قل اخسأوا في تقلباتكم إن تقولون إلاّ كذباً».

ويعتبرون هذه الحالة وسيلة لوصول كلّ روح إلى درزي، ويتحقق بذلك المجتمع التوحيدي: إذ يعتقدون بمحدودية عدد الأرواح، وشرار الأرواح تتقمّص أجسام الكلاب.

و من هنا ينطلق الدروز في الإيمان بأنّ الجسد هو الذي يموت بينما النفس تبقى خالدة والتقمّص في نظر الموحدين هو انتقال النفس بعد الموت مباشرة من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر والجسد هو قميص الروح وهذا القميص هو الذي يتغير عند الوفاة متنقلة إلى جسد إنسان آخر. [١]

يقول الشاعر الدرزي:

نحن الأُلىٰ هان الممات عليهم ... الروح تبقى، والقميص يُمزّقُ

٤. إسقاط التكاليف

أمّا الصلاة فهي ساقطة عنهم، والمقصود بها هي الصلة للقلوب مع مولاهم الحاكم.

وأمّا الزكاة فتعني: توحيد المولى الحاكم وتزكية القلوب وتطهيرها.

وأمّا الصوم فباطنه الصمت لقوله لمريم: ﴿فَكُلي وَاشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً﴾ [٢]، والصوم الحقيقي هو صيانة القلوب بتوحيد المولى الحاكم.

---

١. محمد كرد علي: خطط الشام: ٦/ ٢٦٥.

٢. مريم: ٢٦.

أمّا الحج فهو معـرفة المولى الحاكم والبيت هو توحيد المولى، ويـذكرون قول المنصور:

هلـم اريـك البيـت تـوقـن انّـه ... هـو البيت بيت الله لا مـا تـوهمنـا

أبيـت من الأحجـار، أعظـم حـرمـة ... أم المصطفى الهادي الذي نصب البينا

ويقصدون بالبيت هو توحيد الحاكم.

وأمّا الـولاية فيقـولون: إنّ الحاكم نسخهـا بقوله: (لا تسجـدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا للـذي خلقهن) أي لا تسجدوا لعلي أو محمد، بل للحـاكم وهو المشية إن كنتم إيّاه تعبدون.

كما أنّهم من القائلين بجواز الزواج من المحـارم كالأُخت وبتعدّد الزوجات وحلية شرب الخمر.

٥ . تفسير الشهادتين

إنّ شهادة (أن لا إله إلاّ الله) كلمتان دليل على السابق والتالي.

و هي أربعة فصول دليل على الأصلين والأساسين.

وهي سبع قطع دليل على النطقاء السبعة والأوصيـاء السبعة والأيام السبعة والسماوات السبعة والأرضين السبعة والجبال السبعة والأفلاك السبعة.

وهي ١٢ حرفاً دليل على ١٢ حجة أساسية.

وأمّا شهـادة: (محمّد رسول الله) فهي ٣ كلمات دليل على ٣ حـدود: الناطق والتالي فوقه والسابق فـوق الكلي، وهي ٦ قطع دليل على ٦ نطقاء، وهي ١٢ حرفاً دليل على ١٢ حجة، وكذلك السماء ١٢ برجاً و١٢ جزيرة.

٦. تقديسهم للعجل وإظهاره في مراسمهم واحتفالاتهم

يدعى الكثير بأنّهم مـن عبدة العجل، والواضح في مـراسمهم واحتفالاتهم ظهور صورة العجل، وفي خلواتهم يذكرون العجل بشيء من التقديس والإجلال، كما أنّهم يحرّمون قتله وأكله.

٧. تأويل غريب ومنحرف للأحاديث الإسلامية

كما أنّهم يذكرون روايات علي بن أبي طالب عليه السلام حول المهدي ويقولون في تأويلها المقصود به المهدي بالله (أوّل خلفاء الدولة الفاطمية).

ويدّعون أنّ الحاكم سيرجـع في آخر الزمان ليدين العـالم ويبدد أعداءه من أمام وجهه، ويبسط ملكه على العالم،و تسبق رجعة الحاكم رجعة حمزة ليعدّ لمجيء الإله الحاكم ويحطم الأضداد والأبالسـة المرتدين ويكسر الصلبان، ويهدم الكعبة التي يعتبرونها «مقطرة الكفرة» يقتل علوج الضـلال وقود الزنج في الأغلال ونسخ الشرائع والطرائق، وظهور الحقـائق وسبي النساء والأطفال وذبح الـرجال بسيف الحاكم على يد عبده القائم الناطق حمزة بن علي، فينصر مستجيبيه بعساكره الجرارة فيحيي كل البشر تحت رايته.

هذه هي أبرز سمات عقيدة الدروز والتي تعتبر السرية ركناً أساسياً لها خوفاً من المتطفلين كما أنّ كشفها قد يعرضها إلى إساءة فهمها ثمّ الاستهزاء بها وهذا يجر صاحبها إلى الهلكة.

كما أنّ هذه الفرقة طقوساً خاصة بهم.

منها: الميثاق: وهو انّ كلّ من يكتمل ويصل لسن الأربعين عليه أن يعرض دينه بحضور شاهدين ويقسم ومما يقوله:

«آمنت بالله ربّي الحاكم...و بجميع الحدود... وقد سلمت نفسي وذواتي ظاهراً وباطناً، علماً و عملاً، وأنا أُجاهد في سبيل مولانا سراً وعلانية بنفسي ومالي وولدي، واشهد مولاي هادي المستجيبين المنتقم من المشركين المرتدين حمزة بن علي بن أحمد من به أشرقت الشمس الأزلية ونطقت فيه وله السحب الفضلية انّني قد تبرأت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها وحديثها، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم وأقر بأنّك أنت الحاكم الإله الحقيقي المعبود والإمام الموجود جلّ ذكرك». [1]

و منها: الخلوة : وهي أماكن اجتماعهم في جلساتهم الدينية في ليالي الجمع ويحضرها كبارهم العقال فقط ويقودها شيخ العقل أو أكبرهم علماً. [2]

ولعلّ ما نقلناه عن الباحثين سلط ضوءاً على جوانب من حياتهم وآدابهم وعقائدهم غير أنّ الكاتب خير الدين الزركلي ذكر في كتابه «الأعلام» اتصاله ببعض المثقفين من الدروز وأخذ عنهم شيئاً من عقائدهم ولإكمال الفائدة ننقل ما جاء في موسوعته، قال:

كنت قد جمعت طائفة من النصوص والمصادر للرجوع إليها عند كتابة هذه الترجمة، ومنها ما جاء في دائرة المعارف البريطانية ٨: ٦٠٣ـ ٦٠٦ مادة «دروز» ودائرة البستاني «دروز» وعرضتها على صديقي الشهيد «فؤاد سليم» وهو من مثقفي المنسوبين إلى المذهب الدرزي، فقال: إنّ في الدائرتين البريطانية والبستانية أغلاطاً، وصحّح ما أخذته عنهما منها. وأضاف من عنده زيادات مما اشتملت عليه الحاشية السابقة.و أطلعت بعد ذلك صديقي أيضاً «فؤاد حمزة» وهو من أُسرة درزية معروفة في لبنان، وكان يومئذٍ في الرياض ـ بنجد ـ وانقطعت صلته بالعقيدة التي نشأ عليها، كما ذكر لي مراراً، وسألته عن رأيه في الترجمة

---

١. رسائل الحكمة: ١/ ٤٧، الرسالة رقم ٥.

٢. نقل بتصرف من رسالة فرقة الدروز، للسيد نبيل الحيدري.

والحاشية، فكتب لي: «هذا أصحّ ما كتب في الموضوع حتى الآن، وهو في الحقيقة ما يذهب إليه الجماعة» ثمّ قال في رسالة أخرى: «إنّ بعض الرسائل المقول إنّها لحمزة هي لغيره. وأكثر ما كتب هو من قلم علي بن أحمد السموقي الملقب ببهاء الدين. وكتب الدروز الستة هي من وضع أربعة أشخاص:

الأوّل: الحاكم نفسه، وعدد رسائله قليل، منها «الميثاق» و«السجل» الذي وجد معلقاً على المساجد.

والثاني: حمزة، والرسائل التي تركها غير كثيرة.

والثالث: إسماعيل بن محمد التميمي الداعي المكنّى بصفوة المستجيبين وبالنفس، فله بعض الرسائل ومنها شعر اسمه«شعر النفس» وهو كملحمة.

والرابع: بهاء الدين الصابري أي علي بن أحمد السموقي، وله معظم الرسائل، وهو الذي نشر الدعوة ووطد أركانها أكثر ممن سبقه.

وقال في رسالة ثالثة: «لا شكّ في أنّ الحسن بن هاني كان من كبار الباطنيين، ولكنّه باطني في مبتدأ نشوء الدعوة قبل أن تدرك مبلغها الذي عرفت به في عصر الحاكم الفاطمي. و من الواضح أنّ الحاكميين كانوا آخر من انشق عن الإسماعيلية ولذلك تجد في كتابات الفريقين مصطلحات واحدة، كالناطق، والأساس، وداعي الدعاة، والنقباء، والمكاسرين، والعقل، والنفس الخ البانثيون الباطني».

وقال في رسالة رابعة: «لقد كثر الكتاب في موضوع الإسماعيليّة والفرق الباطنية كما كثر فيه الخلط من جانب الذين كتبوا.

والموضوع من الوجهة التاريخية جدير بالعناية لأنّ هذه الفرق الباطنية هي التي أعملت معولها في بنيان الإسلام تحت ستار من الغيرة الدينية. وقد قرأت عن ذلك الكثير ولكن معظم الكتاب لم يتمكّنوا من بلوغ الهدف. إذ أنّ معرفة حقائق

الدعوات الباطنية لا تتيسر إلّا لمن كان مطلعاً على التاريخ الإسلامي بوقائعه الظاهرة وكان في نفس الوقت من جماعة الداخلين في العملية. وقد تكون كتابات بطرس البستاني وكتابات دائرة المعارف البريطانية مهمة ولكن كما ذكرت لك يصعب على من كتب أن يتفقه كنه الدعوة مادام لا يعرف حقيقتها السرية وتفسيراتها الداخلية. [1]

---

١. الأعلام: ٢/ ٢٧٩.

أعلام الدروز

حمزة بن علي

(٣٧٥ـ٤٣٣هـ)

حمزة بن علي بن أحمد الفـارسي الحاكمي الدرزي، مـن كبار الباطنيـة، ومن مؤسسي المذهب الـدرزي، فارسي الأصل، من مقاطعة زوزن، كـان قزازاً أو لبادا، وتأدّب بالعربية وانتقل إلى القاهرة واتصل برجال الدعوة السرية من شيعة الحاكم بأمر الله الفاطمـي، فأصبح من أركانها واستمر يعمل لها في الخفـاء ويواصل رفع كتبه إلى الحاكم، حتى سنة ٤٠٨ هــ فأظهر الدعوة وجاهـر بتأليه الحاكم، وقال: إنّه رسـوله، وجعلـه الحاكم داعي الـدعاة و لما هلك الحاكم وحـل ابنه (الظـاهر لإعزاز دين الله) محلّـه سنة ٤١١ هـ فترت الدعـوة ثمّ طوردت بعد براءة الظـاهر منها سنة ٤١٤ هـ، فاضطر حمزة إلى الرحيـل ولحق به بعض أتباعه إلى بلاد الشام، واستقر أكثرهم في المقاطعة التي سمّيت بعد ذلك «جبل الدروز» في سورية وسمّوا بالدروز. وحمزة عندهم أوّل الحدود الخمسة المعصـومين، ويكنّون عنه بالعقل. وله رسـائل في مذهبهم والدعوة إلى الحاكم والردّ على مخالفيهم منها:

١. «الواقعة» في الرد على الفاسق النصيري.

٢. «الرضا والتسليم» وفيها ذكر الدرزي محمد بن إسماعيل وعصيانه.

٣. «التنزيه» لإظهـار تنزيه الإله عن كلّ وصـف و إدراك، وفيها ذكر وزراء الدين ومضاديهم (أبالستهم) الخمسة.

٤. «رسالة النسـاء».

٥. «الصبحة الكائنة».

٦. «نسخة سجل المجتبى».

٧. «تقليد الرضى سفير القدرة».

٨. «تقليد المقتنى».

٩. «مكاتبة أهل الكدية البيضاء».

١٠. «شرط الإمام صاحب الكشف».

١١. «التحذير والتنبيه».

١٢. «البلاغ والنهاية».

١٣. «سبب الأسباب والكنز لمن أيقن واستجاب».

وقد انقطع حمزة عن الكتابة بعد رحيله إلى الشام وانقطاع الصلة بينه وبين شيعة الحاكم في مصر.[١] توفي عام ٤٣٣هـ.[٢]

جمال الدين عبد الله التنوخي

(٨٢٠ ـ ٨٨٤ هـ)

هو أكبر شخصية علمية بين الدروز، ولد في عبيه سنة ٨٢٠ هـ، وتوفي فيها في جمادي الآخرة سنة ٨٨٤هـ، تتلمذ على يد الشيخ أبي علي مرعى زهر الدين، وانتقل إلى دمشق طمعاً في مزيد من العلم اثنتي عشرة سنة وبعدها عاد إلى عبيه، يمضي وقته في التدريس والعبادة حتى أقبل عليه التلاميذ من مختلف نواحي البلاد الدرزية، واشتهر أمره وصارت له مكانة عالية بين أكابر البلاد ومشايخها وأصبح المرجع الدرزي الوحيد لأهل عصره.

---

١. الزركلي: الأعلام: ٢/ ٢٧٨ـ ٢٧٩، نقل بتصرف.

٢. وقد ادّعى الكاتب الدرزي صالح زهر الدين في كتابه «تاريخ الدروز»: ٣٨، انّ حمزة اختفى بعد غيبة الحاكم بوقت قصير في نهاية عام ٤١١هـ.

و يعده الدروز اليوم قطباً من أقطاب المذهب الدرزي، وانّ شروحه على بعض رسائل الدروز أو رسائل الحكمة الدرزية كما يطلق عليها تنال عناية وافرة لدى شيوخ العقل الدروز.

و له مصنفات كثيرة، منها:

١. «اللغة العرباء» وهو معجم في اللغة العربية على غرار «الصحاح» للجوهري.

٢. «سياسة الأخيار في شرح كمالات النبي المختار».

٣. «شروحات الأمير السيد» وهي مجموعة شروح على بعض الرسائل التوحيدية.

٤. رسالة من بين رسائل الدروز المائة واحدى عشرة [١]، قام بطبعها الكاتب الدرزي عجاج يوسف نويهض، ضمن كتابه الموسوم باسم «التنوخي الأمير عبد الله والشيخ محمد أبو هلال».

والفصول التي طبعت هي في الموضوعات التالية:

١. في تحريم الخمر وكلّ مسكر.

٢. في طلب الاستفادة والمرشد الأمين.

٣. في النهي عن الغضب ومحقه بالاعتصام بحبل الله.

٤. في آداب جوارح البدن: اللسان، العين، الأُذن، اليد، الرجل، البطن.

٥. في اختلاف ألوان الأطعمة.

٦. في الحركة والرياضة قبل الطعام.

٧. في آداب الزواج.

٨. في ادخار المال وإنفاقه.

---

١. عبد الرحمان البدوي، مذاهب الإسلاميين: ٦٤٤ ـ ٦٤٩، نقل بتصرف؛ وله ترجمة في تاريخ الدروز للدكتور صالح زهر الدين: ٢٦٨.

٩. في النهي عن الاحتكار.

١٠. في الغنى نحو الله ونفسه والمحتاجين.

١١. في معاملات البيع والشراء والقرض والوديعة.

١٢. في واجبات الدائن والمدين.

١٣. في الوصية.

١٤. في تربية الولد.

١٥. شذرات من أقوال التنوخي واختياره.[١]

يوسف الكفرقوقي

هو الشيخ يوسف سعيد برّو، من كفرقوق في راشيا، وعرف بهذا الاسم (الكفرقوقي) نسبه لقريته. كان شاعراً دينياً ومن كبار علماء الدروز، له كتاب ضخم اسمه «دور النحو في التوبة إلى الملك الغفور» توفي في قرية «ينطا» بعد عودته من دمشق، ودفن فيها.[٢]

محمد أبو هلال

المعروف بـ «الشيخ الفاضل»

(١٠٠٥-١٠٥٠ هـ)

ولد في قرية صغيرة من جبل الشيخ تدعى «الشعيرة»، انكب على القراءة والمطالعة، وبدأ نجمه يلمع ويتألق حتى توصل لمرتبة شيخ عقل الدروز كافة،

١. عجاج نويهض: التنوخي الأمير عبد الله والشيخ محمد أبو هلال: الطبعة الثانية، بيروت -١٩٦٣ م.

٢. صالح زهر الدين: تاريخ الدروز: ٢٦٩؛ توفيق سلمان: أضواء على تاريخ مذهب التوحيد: ١٦٢-١٦٣، بيروت- ١٩٦٣ م.

ونال ثقتهم حتى أصبحوا يطلقون عليه اسم «الشيخ الفاضل»، وبرع في شعره براعة فائقة، وجميع الدروز يردّدون شعره في اجتماعاتهم الدينية وطقوسهم، لأنّها تمجيد للخالق والمآثر الدينية الحميدة، هذا وقد كتب عنه وعن آدابه أحد تلاميذه ويدعى أبو علي عبد الملك، ضمن كتاب اسمه «آداب الشيخ الفاضل» وفيه وصف لسيرة شيخه الفاضل في مرحلة تديّنه، وهي المرحلة التي كتب فيها الشعر حيث كان يبلغ من العمر الأربعين أو خمسة وأربعين عاماً. توفي في بلدة عين عطا، ودفن فيها عام ١٠٥٠هـ.[1]

---

١. عارف أبو شقرا: ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف: ١٨٢؛ عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين: ٦٥٣ـ٦٥٧؛ الدكتور صالح زهر الدين: تاريخ الدروز: ٢٦٩ـ٢٧٠.

الفصل السابع عشر

في

الفطحية



الفطحية : هم القائلون بإمامـة الأئمّة الاثني عشر مع عبد الله الأفطح ابن الإمام الصادق عليه السلام يدخلونه بين أبيه الصادق وأخيه الكاظم عليهما السلام و قد كان عبد الله أفطح الرأس.

والأفطح كما في اللسان: عريض الرأس، ورأس أفطح ومفطّح: عريض.[1]

وقـال الطريحي: أفطـح الرجلين: عـريضهما[2] وربما يفسّر بـاعـوجـاج في الرجل.

كان عبد الله بن جعفر الصادق عليه السلام قد ادّعى الإمامة والوصاية، بعد رحيل أبيه، وكان هو أكبر أولاد الإمام بعد إسماعيل المتـوفّى في حياته، فتمسّك القائلون بإمامتـه بحديث رووه عن الإمـام أنّه قال: «الإمـامة في الأكبر من ولـد الإمام» ولم يكن حظّه من الدنيا بعد رحيل أبيه إلّا سبعين يوماً، فقد تُوفي أبوه الصادق عليه السلام في الخامس والعشرين من شهر شوال عام ١٤٨هـ فيكـون قد توفي في خامس شهر ذي الحجة الحرام من نفس السنـة وبرحيله عاد القـائلون بإمامته إلى إمـامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام . ولقـد ظهرت منـه أشيـاء لا ينبغي أن تظهـر من الإمـام لمّا امتحنوه بمسائل مـن الحلال والحرام ولم يكن عنده جواب، وإليك مـا وقفنا عليه من النصوص:

١ . قال الحسن بـن موسى النوبختي: قـالت الفطحية: الإمامة بعـد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر الأفطح، وذلك أنّه كان عند مضيّ جعفر، أكبرُ وُلْدِه سناً و جلس مجلس أبيـه وادّعى الإمامة ووصية أبيـه، واعتلّوا بحديث يـروونه عن أبي

---

١ . ابن منظور: لسان العرب: ٢/ ٥٤٥، مادة «فطح».

٢ . الطريحي: مجمع البحرين: ٢/ ٤٠٠، مادة «فطح».

عبد الله جعفر بن محمد أنّه قال: الإمامة في الأكبر من وُلْد الإمام، فمالَ إلى عبد الله والقول بإمامته جُـلَّ من قال بإمامة أبيه جعفر بن محمـد غير نفر يسير عرفوا الحقّ فامْتَحنَـوا عبد الله بمسائل في الحلال والحرام مـن الصلاة والزكـاة وغير ذلك فلم يجدوا عنده علماً، وهـذه الفرقة القـائلة بإمامـة عبد الله بن جعفـر هي «الفطحية» وسُمّوا بذلك لأنّ عبد الله كان أفطح الـرأس، وقال بعضهم: كان أفطح الرجلين، وقال بعض الرواة: نُسِبُوا إلى رئيس لهم من أهل الكوفة يقال له عبد الله بن فطيح، ومال إلى هذه الفرقة جلّ مشايخ الشيعة وفقهائها ولم يشكّوا في أنّ الإمامة في «عبد الله بن جعفـر» وفي وُلْده مـن بعده، فمات عبـد الله ولم يخلّف ذكـراً، فرجـع عامـة الفطحية عـن القول بإمـامته ـ سـوى قليل منهـم ـ إلى القول بإمـامة «مـوسى بن جعفر»، وقد كان رجع جماعة منهم في حياة عبد الله إلى موسى بن جعفر عليه السلام، ثمّ رجع عامتهم بعد وفـاته عن القول به، وبقي بعضهم على القول بإمـامته ثمّ إمامة موسـى بن جعفر مـن بعده، وعـاش عبد الله بن جعفـر بعد أبيـه سبعين يومـاً أو نحوها.[1]

٢ـ وقال الكشي: هم القائلـون بإمامة عبد الله بن جعفـر بن محمد، وسُمُّوا بذلك لأنّه قيـل إنّه كان أفطح الرأس، وقال بعضهم: كـان أفطح الرجلين، وقال بعضهم: إنهّم نسبوا إلى رئيس من أهل الكوفة يقال له «عبد الله بن فطيح» والذين قالـوا بإمامته عـامة مشايـخ العصابة وفقهـائها، مالـوا إلى هذه المقالـة فَدَخلَت عليهم الشبهة لما روي عنهم عليهم السلام أنّهم قالوا: الإمامـة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى إمام. ثمّ منهم مـن رجع عن القول بإمامته لما امتحنـه بمسائل من الحلال والحرام لم يكن عنده فيها جواب، ولما ظهر منه من الأشياء التي لا ينبغي أن يظهر من الإمام.

ثمّ إنّ عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوماً، فرجع الباقون إلاّ شاذاً منهم عن

---

١ .الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة: ٧٧ـ٧٨.

القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى عليه السلام و رجعوا إلى الخبر الذي روي: أنّ الإمامة لا تكون في الأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام و بقي شذّاذ منهم على القول بإمامته، وبعد أن مات قال بإمامة أبي الحسن موسى عليه السلام.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لموسى: «يا بني انّ أخاك سيجلس مجلسي، ويدّعي الإمامة بعدي، فلا تنازعه بكلمة،فإنّه أوّل أهلي لحوقاً بي». [1]

٣. ونقل في ترجمة «هشام بن سالم الجواليقي» أنّه قال: كُنّا با لمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومؤمن الطاق أبو جعفر، والناس مجتمعون على أنّ عبد الله صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون عند عبد الله وذلك أنّهم رووا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ الأمر في الكبير مالم يكن به عاهة، فدخلنا نسأله عمّا كنّا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مائتين خمسة. قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف درهم. قلنا له: والله ما تقول في المرجئة هذا؟!، فرفع يده إلى السماء فقال: لا والله ما أدري ما تقول المرجئة.قال:فخرجنا من عنده ضُلاّلاً لا ندري إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارىٰ لا ندري إلى من نقصد، وإلى من نتوجه، نقول: إلى المرجئة، إلى القدرية، إلى الزيدية، إلى المعتزلة، إلى الخوارج.

قال: فنحن كذلك إذ رأيتُ رجلاً شيخاً لا أعرفه يُومي إليّ بيده ، فخفتُ أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر [2]، وذلك أنّه كان له با لمدينة جواسيس ينظرون على من اتّفق من شيعة جعفر فيضربون عنقه، فخفتُ أن يكون منهم، فقلت لأبي جعفر: تنحّ فإنّي خائف على نفسي وعليك، وإنّما يريدني ليس يريدك، فتنحَّ عني لا تُهلَك وتُعين على نفسك. فتنحّى غير بعيد وتبعت الشيخ وذلك انّي ظننت أنّي

١. الكشي: الرجال:٢١٩.

٢. المراد أبو جعفر المنصور العباسي.

لا أقدر على التخلّص منه، فمازلتُ أتبعه حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثمّ خلاّني ومضى، فإذا خادم بالباب، فقال لي: أدخل رحمك الله.

قال: فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداءً: «لا إلى المرجئة ولا إلى القدرية، ولا إلى الزيدية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ إليّ». قال: فقلتُ له: جعلتُ فداك مضى أبوك؟ قال: «نعم». قال: قلت: جعلتُ فداك مضى في موتٍ؟ قال: «نعم». قلتُ: جعلتُ فداك فمَنْ لنا بعده؟ فقال: «إن شاء الله أن يهديك، هداك». قلت: جعلتُ فداك إنّ عبد الله يزعم أنّه من بعد أبيه؟ فقال: «يريد عبد الله أن لا يُعبد الله». قال: قلتُ: جعلتُ فداك فمن لنا بعده؟ فقال: «إن شاء الله أن يهديك هداك» أيضاً. قلت: جعلت فداك أنت هو؟ قال: «ما أقول ذلك»، قلت في نفسي: لم أُصبْ طريقَ المسألة. قال: قلت: جعلتُ فداك عليك إمام؟ قال: «لا». قال: فدخلني شيء لا يعلمه إلاّ الله إعظاماً له، وهيبة أكثر ما كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلتُ عليه، قلت: جعلتُ فداك أسألك عمّا كان يسأل أبوك؟ قال: «سل تُخبر، ولا تُذع، فإن أذعت فهو الذبح». قال: فسألته فإذا هو بحر.

قال: قلت: جعلت فداك شيعتُك وشيعة أبيك ضُلاّل فألقي إليهم وأدعهم إليك فقد أخذت عليّ بالكتمان؟ فقال: «من آنست منهم رشداً فالق عليهم، وخذ عليهم بالكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح - وأشار بيده إلى حلقه - قال: فخرجتُ من عنده فلقيتُ أبا جعفر، فقال لي: ما وراك؟ قال: قلت: الهدى. قال: فحدثتُه بالقصة، ثم لقيت المفضل بن عمر وأبا بصير. قال: فدخلوا عليه وسلّموا وسمِعوا كلامَه وسألوه. قال: ثمّ قطعوا عليه، قال: ثمّ لقينا الناس أفواجاً. قال: وكان كل من دخل عليه قطع عليه إلاّ طائفة مثل عمار وأصحابه، فبقي عبد الله لا يدخل عليه أحد إلاّ قليلاً من الناس. قال: فلمّا رأى ذلك وسأل عن حال الناس؟ قال: فأُخبر أنّ هشام بن سالم صدّ عنه الناس. قال: فقال هشام: فأقعد

لي با المدينة غير واحد ليضربوني.[1]

٤. وقال الأشعري (٢٦٠ـ٣٢٤هـ) عند عدّ فرق الشيعة: ومنهم من يزعم أنّ الإمام بعد جعفر ابنه «عبد الله بن جعفر» وكان أكبرَ من خلّف من ولده وهي في ولده، وأصحاب هذه المقالة يدعون العَمّارية، نُسِبوا إلى رئيس لهم يعرف بـ«عمّار»، و يُدعون الفطحية، لأنّ عبد الله بن جعفر كان أفطحَ الرجلين، وأهل هذه المقالة يرجعون إلى عدد كثير.

فأمّا زرارة فإنّ جماعة من العمّارية تدّعي أنّه كان على مقالتها، وأنّه لم يرجع عنها، وزعم بعضهم أنّه رجع إلى ذلك حين سأل «عبد الله بن جعفر» عن مسائل لم يجد عنده جوابها، وصار إلى الائتمام بموسى بن جعفر بن محمد، وأصحاب زرارة يدعون «الزرارية» ويدعون «التميمية».[2]

٥. و تبعه البغدادي ولخّص كلامه قائلاً: العمارية وهم منسبون إلى زعيم منهم يسمّى عماراً، وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق، ثمّ زعموا انّ الإمام بعده ولده عبد الله، وكان أكبر أولاده، وكان أفطح الرجلين، ولهذا قيل لأتباعه «الفطحية».[3]

وقد خبط الرجلان فاخترعا فرقة باسم العَمّارية نسبة إلى عمار بن موسى الساباطي، مع أنّه رجل من أتباع «عبد الله» وأكثر ما يمكن أن يقال أنّه كان داعياً، لا صاحب مذهب.

وأمّا اتّهام الأشعري زرارة بن أعين بأنّه كان من الفطحية مدة ثمّ رجع عنها، فليس له سند إلّا روايات ضعاف، كأكثر ما ورد في حقّ زرارة من الروايات

---

١. الكشي: الرجال: ٢٣٩ـ٢٤١.

٢. الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين: ١/ ٢٧، تصحيح هلموت ريز.

٣. الفرق بين الفرق: ٦٢ برقم ٥٩.

الذامّة.(١)

مع أنّ الصحيح في حقّه ما نقله الصدوق في «كمال الدين» عن إبراهيم بن محمد الهمداني ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله أخبرني عن زرارة، هل كـان يعرف حقّ أبيـك؟ فقال عليه السلام: «نعم»، فقلتُ لـه: فلمَ بعث ابنه عبيداً ليتعرف الخبر إلى من أوصى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام؟ فقال: «إنّ زرارة كان يعرف أمر أبي عليه السلام و نصّ أبيه عليه، وإنّما بعث ابنه ليتعرّف من أبي هلْ يجوز له أن يرفع التقية في إظهار أمره، ونصّ أبيـه عليه؟ وانّه لمّا أبطأ عنه طُولب بإظهار قوله في أبي عليه السلام، فلم يحب أن يقدم على ذلـك دون أمـره فرفـع المصحـف، وقال: اللّهـمّ إنّ إمامي من أثبت هـذا المصحف إمامتـه من ولد جعفر بـن محمد عليهما السلام».(٢)

٦. وقال الشهرستاني: «الفطحيـة قالوا بانتقال الإمامـة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفطح، وهو أخو إسماعيل من أبيـه وأُمّه، وأُمّهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي، وكان أسن أولاد الصادق.

زعموا أنّه قال: الإمامة في أكبر أولاد الإمام. وقال: الإمام من يجلس مجلسي، وهو الذي جلس مجلسه. والإمام لا يغسّلـه، ولا يصلّيّ عليه، ولا يأخذ خاتمه، ولا يـواريه إلاّ الإمـام. وهـو الذي تـولّى ذلك كلّـه. ودفع الصـادق وديعـة إلى بعض

---

١. نقل الكشي الـروايـات الحاكيـة عن أنّ زرارة كـان شـاكاً في إمـامـة الكـاظم عليه السلام وانّـه لما تـوفّي الصادق عليه السلام بعث ابنـه «عبيد» للتحقيـق عن أمـر الإمامـة وانّه لعبـد الله أو للكـاظم عليه السلام، ثمّ إنّ زرارة مـات قبل أن يـرجـع إليه عبيـد، ونقلهـا السيـد الخوئي قدس سره في معجمـه، معجم رجـال الحديث: ٧/ ٢٣٠ ـ ٢٣٤، و نـاقش في اسنادها وأثبت أنّها، ضعـاف، ونحن نجلّ زرارة بن أعين الذي عاش مـع الإمامين أبي جعفر البـاقـر وأبي عبد الصادق عليهما السلام قرابـة نصف قرن، عـن هذه الوصمة.

٢. الصدوق: كمال الدين: ٧٥، ط مؤسسة النشر الإسلامي.

أصحابه وأمره أن يدفعها إلى من يطلبها منـه وأن يتخذه إماماً. وما طلبها منه أحد إلاّ عبد الله، ومع ذلك ما عـاش بعد أبيـه إلاّ سبعين يومـاً ومات ولم يعقـب ولداً ذكراً. (١)

لقد غاب عن الشهرستاني مفاد قوله ﷺ: «الإمام من يجلس مجلسي»، فلو صدر منه ذلك القول، فالمراد منه ما يقوم بمثل ما كان الإمام يقوم به في مجال بيان الأُصول والفروع، وملء الفراغ الحاصل من رحيلـه، لا مجرّد جلوسه في مكانه وإن كان جاهلاً بأبسط المسائل.

كما أنّه لم يثبت أنّ عبد الله تولّى غسل الإمام والصلاة عليه.

وقد روىٰ ابـن شهر آشوب عـن أبي بصير، عن موسى بـن جعفرﷺ أنّه قال: «فيما أوصاني بـه أبي أن قال: يا بنيّ إذا أنا متُّ فـلا يغسّلني أحد غيرك، فإنّ الإمـام لا يغسّله إلاّ إمـام، واعلم أنّ «عبـد الله» أخاك سيـدعـو الناس إلى نفسـه فدعه، فإنّ عمره قصير. فلمّا أن مضى غسلته...». (٢)

٧. وقال الصدوق: قـال الصادق لأصحابه في ابنه عبـد الله: «إنّه ليس على شيء فيما أنتم عليه وإنّي أبرأ منه، برئ الله منه». (٣)

٨. قال المفيد: وكان عبد الله بن جعفـر أكبر إخوته بعد إسماعيل، ولم تكن منزلته عنـد أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام، وكـان متهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد. ويقال أنّـه كان يخالط الحشوية ويميل إلى مذاهـب المرجئة، وادّعى بعد أبيه الإمامة، واحتج بأنّه أكبر إخوته البـاقين، فاتّبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله ﷺ، ثمّ رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى ﷺ، لمّا تبيّنوا ضعفَ دعواه وقوة أمر أبي الحسن ﷺ ودلالة حقّه وبراهين إمامته، وأقام نفر

---

١. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/ ١٦٧. ولاحظ التبصير للإسفراييني: ٣٨.

٢. ابن شهر آشوب: المناقب: ٤/ ٢٢٤.

٣. اعتقادات الصدوق، المطبوع ضمن مصنفات المفيد: ١١٣.

يسير منهم على أمرهم ودانوا بإمامة عبد الله وهم الطائفة الملقبة بالفطحية، وإنّما لزمهم هذا اللقب لقولهم بإمامة عبد الله وكان أفطح الرجلين، ويقال انّهم لقبوا بذلك لأنّ داعيهم إلى إمامة عبد الله كان يقال له عبد الله بن الأفطح. (١)

وقال أيضاً: وأمّا الفطحية فإنّ أمرها أيضاً واضح، وفساد قولها غير خاف ولا مستور عمّن تأمله، وذلك أنّهم لم يدّعوا نصاً من أبي عبد الله عليه السلام على عبد الله، وانّما عملوا على ما رووه من أنّ الإمامة تكون في الأكبر، وهذا حديث لم يُرو قط إلاّ مشروطاً، وهو أنّه قد ورد أنّ الإمامة تكون في الأكبر مالم تكن به عاهة، وأهل الإمامة القائلون بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام متواترون بأنّ عبد الله كان به عاهة بالدين، لأنّه كان يذهب إلى مذاهب المرجئة الذين يقعون في علي عليه السلام وعثمان، وانّ أبا عبد الله عليه السلام قال وقد خرج من عنده: «عبد الله هذا مرجئ كبير» وانّه دخل عليه عبد الله يوماً وهو يحدث أصحابه، فلمّا رآه سكت حتى خرج، فسئل عن ذلك؟ فقال: «أو ما علمتم أنّه من المرجئة» هذا مع أنّه لم يكن له من العلم بما يتخصص به من العامة، ولا رُوي عنه شيء من الحلال والحرام، ولا كان بمنزلة من يستفتى في الأحكام، وقد ادّعى الإمامة بعد أبيه، فامتحن بمسائل صغار فلم يجب عنها وما أتى بالجواب، فأيّ علّة ممّا ذكرناه تمنع من إمامة هذا الرجل، مع أنّه لو لم تكن علّة تمنع من إمامته، لما جاز من أبيه صرف النص عنه، ولو لم يكن صرفه عنه لأظهره فيه، ولو أظهره لنقل وكان معروفاً في أصحابه، وفي عجز القوم عن التعلّق بالنص عليه دليل على بطلان ما ذهبوا إليه. (٢)

بقيت هنا أُمور:

الأوّل: الظاهر ممّا ذكرنا أنّ أكثر القائلين بإمامة عبد الله بن جعفر عدلوا عن

---

١. المفيد: الإرشاد: ٢٨٥ـ٢٨٦.

٢. العيون والمحاسن: ٢٥٣.

رأيهم، وقالوا بإمامة أخيه موسى بن جعفر بعد إمامة أبيه جعفر الصادق، وأمّا القليل منهم فقال بإمامة موسى بن جعفر بعد الأفطح، فصار عبد الله الإمام السابع، وأخوه موسى الإمام الثامن، وبذلك يتجاوز عدد الأئمّة عن الاثني عشر، ولا أظن أنّهم وقفوا على عبد الله من دون الاعتقاد بإمامة الآخرين، وإلاّ كانوا واقفة لا فطحية، وسيوافيك الكلام في المذهب الواقفي عن قريب إن شاء الله.

الثاني: الظاهر ممّا نقله الصدوق عن بعضهم أنّ القائلين بإمامة عبد الله كانوا معروفين بالشمطية كما أنّ بعض الفطحية قال بإمامة إسماعيل بن جعفر بعد رحيل عبد الله، وإليك نص الصدوق ناقلاً عن بعضهم:

قال: قال صاحب الكتاب: وهذه الشمطية تدّعي إمامة عبد الله بن جعفر بن محمد من أبيه بالوراثة والوصية، وهذه الفطحية تدّعي إمامة إسماعيل ابن جعفر عن أبيه بالوراثة والوصية وقبل ذلك إنّما قالوا بإمامة عبد الله بن جعفر ويسمّون اليوم إسماعيلية. لأنّه لم يبق للقائلين بإمامة عبد الله بن جعفر خلف ولا بقية، وفرقة من الفطحية يقال لهم القرامطة، قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر بالوراثة والوصية، وهذه الواقفة على موسى بن جعفر تدّعي الإمامة لموسى وترتقب لرجعته.[1]

الثالث: بما أنّ أكثر القائلين بإمامة الأفطح رجعوا عن رأيهم بعد ظهور الحقّ، فلا ينبغي أن يكون ذلك سبباً لجرحهم، نعم من بقى منهم على عقيدته، وآمن بإمامة موسى بن جعفر أو إسماعيل بن جعفر حكمهم حكم سائر فرق الشيعة إذا كانوا متثبتين في القول، فيؤخذ برواياتهم، وإلاّ فلا.

الرابع: انّ عدّ الفطحية مذهباً ونحلة، أمر غير صحيح لوجهين:

أحدهما: أنّ القول بإمامة عبد الله نشأ عن شبهة، دخلت في أذهانهم، ثمّ

---

١. الصدوق: كمال الدين: ١٠١ـ١٠٢.

زالت الشبهة، ولم يبق إلاّ القليل.

وثانيها: أنّ النحلة عبارة عن آراء في الأُصول والعقائد أو في الفروع والأحكام تكون سبباً لتمييز طائفة عن أُخرى، وأمّا الاتّفاق في عامة الأُصول مع اختلاف في أمر واحد، كالاعتقاد بإمامة عبد الله ، فهذا مالا يبرر عدّ القول به نحلة، والقائلون به فرقة.

نعم، من يريد تكثير النحل، وزيادة عدد الفرق، يصحّ له ذكرهم فرقة من الفرق.

الخامس: انّ الفطحية وإن اشتركت مع الواقفية في مسألة عدم الاعتراف بالإمام الحقيقي، ولكن الطائفة الأُولى كانت أقل تعصباً من الأُخرى بدليل أنّهم اعترفوا بإمامة موسى الكاظم عليه السلام بعد رحيل إمامهم الأفطح، لكن بين مُخطِّئ نفسه في الاعتقاد بإمامة الأفطح،و بين مصوِّب إمامته مع إمامة الكاظم عليه السلام إلاّ أنّ الواقفية كانت متعصبة جداً حيث وقفت على إمامة موسى الكاظم عليه السلام و لم تتجاوزه، وجرت مناظرات بينهم وبين القطعية الذين قطعوا بإمامة ابن الكاظم، علي بن موسى الرضا عليه السلام.

يقول المجلسي الأوّل: واعلم أنّ الفطحية كانوا أقربَ إلى الحقّ من الواقفية، أو هم أبعد عن الحقّ من الفطحية، لأنّ الفطحية لا ينكرون بقية الأئمة عليهم السلام وكانوا يقولون بإمامتهم، ولهذا شُبِّهوا بالحمير، بخلاف الواقفة، فإنّهم شُبهوا بالكلاب الممطورة،والشيخ ذكر الواقفية في كتاب الغيبة وأبطل مذهبهم بالأخبار التي نقلوها. [1]

وقال العلاّمة المامقاني: لا يخفى عليك أنّ القول بالفطحية أقرب مذاهب

---

١. المجلسي الأوّل (محمد تقي): روضة المتقين: ١٤/ ٣٩٥.

الشيعة إلى الحقّ من وجهين:

أحدهما: انّ كلّ مذهب من المذاهب الفاسدة يتضمّن إنكار بعض الأئمّة عليهم السلام، ومن المعلوم بالنصوص القطعية، أنّ من أنكر واحداً منهم كان كمن أنكر جميعهم، والفطحي يقول بإمامة الاثني عشر جميعاً ويضيف عبد الله بين الصادق والكاظم عليهما السلام، فهو يقول بإمامة ثلاثة عشر، ويحمل أخبار الاثني عشر إماماً على الاثني عشر مِنْ ولد أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يموت الفطحي إلاّ عارفاً بإمام زمانه بخلاف من ماتَ من أهل سائر المذاهب فإنّه يموت جاهلاً بإمام زمانه.

نعم من مات من الفطحية في السبعين يوماً زمان حياة عبد الله بعد أبيه مات غير عارف لإمام زمانه فمات ميتة جاهلية بخلاف من مات بعد وفاة عبد الله.

ثانيهما: انّ كلّ ذي مذهب من المذاهب الفاسدة قد تلقى ممّن يعتقده إماماً من غير الاثني عشر فروعاً مخالفة لفروعنا بخلاف الفطحية فإنّ عبد الله لم يبق إلاّ سبعين ولم يتلقّوا منه حكماً فرعياً وإنّما يعملون في الفروع بما تلقّوه من الأئمة الاثني عشر، فالفطحية قائلون بالاثني عشر، عاملون بما تلقّوه من الاثني عشر، فليس خطأهم إلاّ زيادة عبد الله سبعين يوماً بين الصادق والكاظم عليهما السلام، وإيراث ذلك الفسقَ محلّ تأمّل.[1]

يلاحظ على الثاني: بأنّ الواقفية أيضاً مثل الفطحية لم يتلقّوا فروعاً من غير الأئمّة، نعم انّ الفطحية أخذوا منهم جميعاً والواقفية اقتصرت على الأئمّة السبعة، فما ذكره من الوجه الثاني لا يعد فرقاً بين الطائفتين.

---

١. عبد الله المامقاني: تنقيح المقال: ١/ ١٩٣، الفائدة السابعة.

مشاهير الفطحية

انّ هناك لفيفاً من رواة الشيعة وُصفوا بالفطحية، وهم بين من ثبت على القول بإمامة الأفطح ومن رجع عنه، وإليك أسماءهم المستخرجة من كتب الرجال:

١. أحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن فضّال بن عمر بن أيمن.

٢. إسحاق بن عمّار بن حيّان، مولى بني تغلب، أبو يعقوب الصيرفي الساباطي.

٣. الحسن بن علي بن فضال.

٤. عبد الله بن بكير بن أعين بن سنسن الشيباني الأصبحي المدني.

٥. عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

٦. علي بن أسباط بن سالم بياع الزطّي المقري.

٧. الأزدي الساباطي (كوفي).

٨. علي بن الحسن بن علي بن فضّال.

٩. عمار بن موسى الساباطي.

١٠. محمد بن الحسن بن علي بن فضّال.

١١. محمد بن سالم بن عبد الحميد.

١٢. مصدق بن صدقة المدائني.

الفصل الثامن عشر

في

الواقفية



التوقّف عند إمامة شخص بعد رحيل إمام ما، ظاهرة برزت عند الشيعة بين آونة وأُخرى، ولذلك صار لها إطلاقان:

الأوّل: التوقّف بالمعنى العام من غير اختصاصه بالتوقّف على إمام خاص، فإنّ هناك طائفة توقّفت عند إمامة الحسين عليه السلام ولم تتجاوز عنه وهم المعروفون بالكيسانية، كما أنّ هناك من توقّف عند إمامة الإمام الباقر عليه السلام ولم تتجاوز عنه عليه السلام و هي المعروفة بالمنصورية أو المغيرية وهناك من توقّف عند إمامة الإمام الصادق ولم يتجاوز عنه كالإسماعيلية، وهذه الفرق حتى الزيدية من الواقفية الذين لم يعترفوا بإمامة الأئمّة الاثني عشر قاطبة وتوقّفوا أثناء الطريق، ومع ذلك كلّه فلا يطلق عليهم الواقفية في كتب الرجال ولا في الملل والنحل، وإنّما يطلق عليهم نفس أسمائهم، وقد مرّ في الجزء السابع أنّ بعض هذه الفرق غلاة كفّار لا يعترف بهم.

الثاني: الطائفة المتوقّفة عند إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام غير المعترفة بإمامة ابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام و هؤلاء المعروفون بـ«الواقفية». وقد اختصت بهم هذه التسمية، فلا تتبادر من هذه التسمية إلّا تلك الطائفة.

قال المحقّق البهبهاني: اعلم أنّ الواقفة هم الذين وقفوا على الكاظم عليه السلام، و ربما يطلق الوقف على من وقف على غير الكاظم عليه السلام من الأئمّة ...ولكن عند الإطلاق ينصرف إلى من وقف على الإمام الكاظم عليه السلام ولا ينصرف إلى غيرهم إلّا بالقرينة، ولعلّ من جملتها عدم دركه للكاظم عليه السلام و موته قبله أو في زمانه، مثل سماعة بن مهران وعلي بن حيان ويحيى بن القاسم.[1]

---

١. البهبهاني: الفوائد الرجالية: ٤٠.

سبب ظاهرة التوقف

إنّ السبب الغالب لبروز فكرة التوقف بين طائفة من الشيعة هو أنّها رزحت تحت نير الحكم الأُموي والعباسي ولولا لجوئها إلى التقية واتخاذها سلاحاً لما كتب لها البقاء، حتى أنّ الاتهام بالزندقة والإلحاد كان أخف وطأً من الاتهام بالتشيّع في فترة خلافة عبد الملك بن مروان و إمارة الحجاج على العراق، فكان الأئمّة لا يبوحون بأسرارهم إلاّ لخاصتهم، حتى نرى أنّ رحيل كلّ إمام تعقبه هوة بين الشيعة برهة من الزمن إلى أن يستقرَّ الرأي على الحقّ.

هذا هو السبب الغالب لنشوء بعض الفرق بين الشيعة الذين لم يكن لديهم أيّ اختلاف في الأُصول والفروع إلاّ في القيادة والإمامة.

إنّ عصر هارون الرشيد كان عصر القمع والكبت والتضييق على الشيعة وإمامهم، وكانت سياسته على غرار سياسة أبي جعفر الدوانيقي، والتاريخ يحدثنا عن السياسة التي اتبعها مع الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

كان الإمام مهوى قلوب الشيعة، يتلقون عنه أحكام الدين وأُصول المذهب، وربما تحمل إليه الأموال من المشرق ومن المغرب فشق على هارون لمّا أخبره بعض جواسيسه بهذا الأمر، ولأجل معالجة هذا الموقف الذي أشغل فكره، حجّ في تلك السنة وزار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إنّي أعتذر إليك من شيء أُريد أن أفعله، أُريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنّه يريد التشتيت بأُمّتك وسفك دمائها. ثمّ أمر به فأُخذ من المسجد فأُدخل إليه فقيّده، وأُخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطاتان هو عليه السلام في إحديهما، ووجه مع كلّ واحدة منهما خيلاً، فأخذ بواحدة على طريق البصرة، والأُخرى على طريق الكوفة، ليعمى على الناس أمره، وكان في التي مضت إلى البصرة.

وأمر الرسول أن يسلّمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، وكان على البصرة

حينئذٍ، فمضى به، فحبسه عنده سنة.

ثمّ كتب إلى الرشيد أن خذه منّي و سلّمه إلى من شئت وإلاّ خلّيت سبيله، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجّة، فما أقدر على ذلك، حتى أنّي لأتسمّع عليه إذا دعا لعلّه يدعو عليّ أو عليك، فما أسمعه يدعو إلاّ لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة.

فوجّه من تسلّمه منه، وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد فبقي عنده مدّة طويلة وأراد الرشيد على شيء من أمره فأبى.

فكتب بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلّمه منه، وأراد ذلك منه فلم يفعل.

و بلغه انّه عنده في رفاهية وسعة، وهو حينئذ بالرقة.

وقد أثار هذا الأمر غضبَ الرشيد إلى ان انتهى الأمر بتجريد الفضل بن يحيى وضربه بسياط وعقابين.[1]

هذا هوموقف الرشيد مع الرجل الذي كان يحترمه جلّ المسلمين وينظرون إليه بأنّه من أئمّة أهل البيت، فكيف الحال مع سواد الناس إذا اتّهموا بالتشيّع وموالاة الإمام عليه السلام؟!

قال ابن كثير: فلمّا طال سجن الإمام الكاظم عليه السلام كتب إلى الرشيد: «أمّا بعد يا أمير المؤمنين انّه لم ينقضِ عني يوم من البلاء إلاّ انقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون».[2]

ولم يزل الإمام ينقل من سجن إلى سجن حتى انتهى به الأمر إلى سجن السندي بن شاهك، فغال في سجن الإمام وزاد في تقييده، حتى جاء أمر الرشيد بدس السم للكاظم فانبرى السندي إلى تنفيذ هذا الأمر، وكانت نهاية حياة الإمام الطاهر على يده الفاجرة.

---

١. الطوسي: الغيبة: ٢٨ـ٣٠ بتلخيص.

٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/ ١٩٠.

قال أبوالفرج الاصفهاني: لمّا توفي الإمام مسموماً خشي الرشيد ردّة فعل المسلمين عند انتشار خبر موته، فأدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن علي وغيره ليشهدوا على أنّه مات حتف أنفه دون فعل من الرشيد وجلاوزته، ولمّا شهدوا على ذلك اخرج بجثمانه الطاهر، ووضع على الجسر ببغداد، ونودي بوفاته.[1]

هذه لمحة خاطفة عن حياة الإمام موسى الكاظم عليه السلام توقفك على الوضع السياسي السائد آنذاك في العراق والحجاز، وموقف الحكومة تجاه إمام الشيعة، أفهل يمكن للإمام التصريح بالقائد من بعده؟!

ومع ذلك كلّه فإنّ الإمام الكاظم له تنبوءات عن المستقبل المظلم الذي ينتظره بعض الشيعة، وإليك بعض ما روي في ذلك:

روي عن ابن سنان قال: دخلت على أبي الحسن موسى الكاظم من قبل أن يقدم العراق بسنة، وعليّ ابنه جالس بين يديه، فنظر إليّ وقال: «يا محمد أما إنّه ستكون في هذه السنة حركة، فلا تجزع لذلك» قال: قلت: وما يكون جعلني الله فداك فقد أقلقتني؟ قال: «أصير إلى هذا الطاغية،[2] أما إنّه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده»[3] قال: قلت: وما يكون جعلني الله فداك؟ قال: «يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء». قال: قلت: وما ذلك جعلني الله فداك؟ قال: «من ظلم ابني هذا حقّه، وجحده إمامته من بعدي كان كمن ظلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجحده حقّه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله» قال: قلت: والله لئن مدّ الله لي في العمر لأسلّمن له حقّه، ولأقرّن بإمامته.

قال: «صدقت يا محمد يمدّ الله في عمرك وتسلّم له حقّه عليه السلام وتقرّ له بإمامته وإمامة من يكون بعده»، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال: «ابنه محمد»، قال:

١. أبوالفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبيين: ٥٠٤.

٢. يريد به المهدي العباسي.

٣. يريد به موسى بن المهدي.

قلت: له الرضا والتسليم.[1]

روى الكشي عن الحكم بن عيص، قال: دخلت مع خالي سليمان بن خالد على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا سليمان من هذا الغلام؟» فقال: ابن اختي، فقال: «هل يعرف هذا الأمر؟» فقال: نعم، فقال: «الحمد لله الذي لم يخلقه شيطاناً ـ ثمّ قال: ـ يا سليمان عوّذ بالله ولدك من فتنة شيعتنا» فقلت: جعلت فداك وما تلك الفتنة؟! قال: «إنكارهم الأئمّة عليهم السلام و وقوفهم على ابني موسى عليه السلام، قال: ينكرون موته ويزعمون أن لا إمام بعده، أُولئك شرّ الخلق».[2]

إلى غير ذلك من الروايات التي جمعها الشيخ الطوسي في كتاب «الغيبة» ممّا تدل على تنصيص الإمام الكاظم عليه السلام على إمامة ولده علي بن موسى الرضا عليه السلام غير انّ حبَّ المال آل بالبعض إلى إنكار إمامته، وقد رويت في ذلك روايات نذكر بعضها:

روى الطوسي في «الغيبة» بسنده عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن بعض أصحابه، قال: مضى أبو إبراهيم عليه السلام وعند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند عثمان بن عيسى الرواسي ثلاثون ألف دينار وخمس جوار، ومسكنه بمصر.

فبعث إليهم أبو الحسن الرضا عليه السلام أن احملوا ما قِبَلكم من المال، وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوار، فإنّي وارثه وقائم مقامه، وقد اقتسمنا ميراثه ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولوارثه، قبلكم، وكلام يشبه هذا.

فأمّا ابن أبي حمزة فإنّه أنكره ولم يعترف بما عنده، وكذلك زياد القندي.

وأمّا عثمان بن عيسى فانّه كتب إليه إنّ أباك ـ صلوات الله عليه ـ لم يمت وهو حي قائم، ومن ذكر أنّه مات فهو مبطل، واعمل على أنّه قد مضى كما تقول: فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وأمّا الجواري فقد اعتقتهنّ و تزوجت بهنّ.[3]

---

١. الطوسي: الغيبة: ٣٣ـ٣٤.
٢. الكشي: الرجال: ٣٨٩؛ البحار: ٤٨/ ٢٦٥، الحديث ٢٤.
٣. الطوسي: الغيبة: ٦٤ـ ٦٥، الحديث ٦٧.

روى الكشي، عن يونس بن عبد الرحمان، قـال: مات أبو الحسن وليس من قُوامـه أحد إلاّ وعنـده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقوفهم وجحـودهم مـوته، وكان عند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار.[1]

روى الصدوق في «العلل» عن يونس بن عبد الرحمان قال: مات أبو الحسن عليه السلام و ليس مـن قـوّامه أحـد إلاّ وعنـده المال الكثير، فكـان ذلك سبب وقفهم وجحودهم لموته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثـون ألف دينار، قال: فلمّا رأيـت ذلك وتبيّن الحق وعرفت من أمـر أبي الحسن الرضا عليه السلام مـا علمتُ تكلّمت ودعـوت الناس إليـه، قال: فبعثـا إليّ ، وقالا: مـا يدعـوك إلى هذا؟ إن كنتَ تـريد المال فنحن نغنيك وضمِنـا لي عشرة آلاف دينار، وقالا لي: كـف، فأبيت وقلت لهم: إنّـا رُوينا عـن الصادقين عليهم السلام أنّهم قالـوا: إذا ظهرت البدع فعلى العـالم أن يُظهر علمَه، فإن لم يفعل سُلب منـه نور الإيمان، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كلّ حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة.

وروى أيضاً عن أحمد بن حماد قال: أحد القَوّام، عثمان بن عيسى الرواسي ، وكـان يكون بمصر، وكـان عنده مـال كثير وست جـواري، قال: فبعـث إليه أبـو الحسن الرضا عليه السلام فيهن وفي المال، قال: فكتب إليه أنّ أباك لم يمت، قال: فكتب إليه : إنّ أبي قـد مات، وقد اقتسمنـا ميراثه، وقـد صحّت الأخبار بموتـه، واحتج عليه فيه، قال: فكتب إليه: إن لم يكن أبوك مات، فليس لك من ذلك شيء، و إن كان قـد مات على مـا تحكي، فلم يأمـرني بدفع شيء إليك، وقـد اعتقت الجواري وتزوجتهنّ.[2]

إلى غيرها من الروايات الدالّة على أنّ سبب التوقف كان حبّ الجاه والمال .

---

١. الكشي: الرجال:٣٤٥.

٢. الصدوق: علل الشرائع:٢٣٥.

الواقفية في كتب الملل والنحل

جاءت الواقفية في كتب الملل والنحل على وجه الإجمال، وهذا يعرب عن عدم وجود دور بارز لهم في عصر الغيبة، وستوافيك القائمة التي ذكرنا فيها بعض أسماء الرواة من الواقفية.

قال النوبختي ــ بعدما بيّن أنّ الشيعة انقسمت بعد رحيل الإمام الكاظم عليه السلام إلى فرقتين، وبيّن الفرقة الثانية بالبيان التالي ــ:

١ـ وقالت الفرقة الثانية: إنّ موسى بن جعفر لم يمت، وإنّه حيّ، ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها، ويملأها كلها عدلاً كما ملئت جوراً، وإنّه القائم المهدي، وزعموا أنّه خرج من الحبس ولم يره أحد نهاراً ولم يعلم به، وأنّ السلطان وأصحابه ادّعوا موته، وموّهوا على الناس وكذبوا، وأنّه غاب عن الناس واختفى، ورووا في ذلك روايات عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال: هو القائم المهدي فإن يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا فإنّه القائم.

وقال بعضهم: إنّه القائم وقد مات، ولا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع، فيقوم ويظهر، و زعموا أنّه قد رجع بعد موته إلاّ أنّه مختف في موضع من المواضع حي يأمر وينهى، وأنّ أصحابه يلقونه ويرونه، واعتلّوا في ذلك بروايات عن أبيه، أنّه قال: سمّي القائم قائماً، لأنّه يقوم بعدما يموت.

وقال بعضهم: إنّه قد مات، وإنّه القائم، وإنّ فيه شبهاً من عيسى بن مريم ـ صلى الله عليه ـ وإنّه لم يرجع، ولكنّه يرجع في وقت قيامه فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وإنّ أباه قال: إنّ فيه شبهاً من عيسى بن مريم، وإنّه يقتل في يدي ولد العباس فقد قتل.

وأنكر بعضهم قتله، وقالوا: مات ورفعه الله إليه، وإنّه يردّه عند قيامه، فسمّوا هؤلاء جميعاً الواقفية لوقوفهم على موسى بن جعفر على أنّه الإمام القائم،

ولم يأتمّوا بعده بإمام ولم يتجاوزوه إلى غيره.

وقد قال بعضهم ممّن ذكر أنّه حي: إنّ الرضا عليه السلام و من قام بعده ليسوا بأئمة، ولكنّهم خلفاؤه واحداً بعد واحد إلى أوان خروجه، وإنّ على الناس القبول منهم والانتهاء إلى أمرهم.

وقد لقّب الواقفةَ بعضُ مخالفيها ممّن قال بإمامة علي بن موسى «الممطورة» وغلب عليها هذا الاسم وشاع لها، وكان سبب ذلك انّ عليّ بن إسماعيل الميثمي ويونس بن عبد الرحمان ناظرا بعضهم، فقال له علي بن إسماعيل وقد اشتد الكلام بينهم: ما أنتم إلاّ كلاب ممطورة، أراد أنكم أنتن من جيف، لأنّ الكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتن من الجيف، فلزمهم هذا اللقب فهم يُعرفون به اليوم، لأنّه إذا قيل للرجل انّه ممطور فقد عرف أنّه من الواقفة على موسى بن جعفر خاصة، لأنّ كل من مضى منهم فله واقفة قد وقفت عليه، وهذا اللقب لأصحاب موسى. [1]

٢. وقال الشيخ الأشعري ملخصاً لما قاله النوبختي ما هذا نصه:

الصنف الثاني والعشرون من الرافضة يسوقون الإمامة حتى ينتهوا إلى جعفر بن محمد ويزعمون أنّ جعفر بن محمد نصّ على إمامة ابنه موسى بن جعفر، وأنّ موسى بن جعفر حيّ لم يَمت ولا يموتُ حتى يملك شرقَ الأرض وغربها، حتى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا الصنف يُدْعون «الواقفة» لأنّهم وقفوا على «موسى بن جعفر» و لم يتجاوزوه إلى غيره، وبعض مخالفي هذه الفرقة يدعوهم «الممطورة» وذلك أنّ رجلاً منهم ناظر «يونس بن عبد الرحمان» ويونس من القطعية الذين قطعوا على موت موسى بن جعفر، فقال له يونس: أنتم أهون عليّ من الكلاب الممطورة، فلزمهم هذا النبز. [2]

---

١. النوبختي: فرق الشيعة: ٨٠ـ٨٢، وفي ذيل كلامه إشارة إلى القسمين من الوقف كما ذكرناه.

٢. الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٨ـ٢٩.

٣.وقال البغدادي معبّراً عن الواقفة بالموسوية: هؤلاء الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر، ثمّ زعموا أنّ الإمام بعد جعفر، كان ابنه موسى بن جعفر، وزعموا أنّ موسى بن جعفر حيّ لم يمت وانّه هو المهدي المنتظر، وقالوا إنّه دخل دار الرشيد ولم يخرج منها، وقد علمنا إمامته وشككنا في موته فلا نحكم في موته إلاّ بيقين.

فقيل لهذه الفرقة الموسوية: إذا شككتم في حياته وموته، فشُكُّوا في إمامته ولا تقطعوا القول بأنّه باق وأنّه هو المهديّ المنتظر، هذا مع علمكم بأنّ مشهد موسى بن جعفر معروف في الجانب الغربي من بغداد ويُزار.

و يقال لهذه الفرقة موسوية لانتظارها موسى بن جعفر .

ويقال لها الممطورة أيضاً، لأنّ يونس بن عبد الرحمان القمّي كان من القطعية (الذين قطعوا على موت موسى بن جعفر) وناظر بعض الموسوية فقال في بعض كلامه : أنتم أهون على عيني من الكلاب الممطورة. [1]

٤.وقال الشهرستاني ـ بعد أن ذكر الإمام موسى بن جعفر وانّه دفن في مقابر قريش ببغداد ـ: اختلفت الشيعة بعده...

فمنهم من توقّف في موته، وقال: لا ندري أمات أم لم يمت؟ ويقال لهم الممطورة، سمّاهم بذلك علي بن إسماعيل فقال: ما أنتم إلاّ كلاباً ممطورة.

و منهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية.

و منهم من توقّف عليه، وقال: إنّه لم يمت، وسيخرج بعد الغيبة، ويقال لهم الواقفة. [2]

إنّ ظاهرة الوقف بعد رحيل الإمام الكاظم عليه السلام كانت أمراً خطيراً يهدّد

---

١. البغدادي: الفرق بين الفرق:٦٣.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل: ١٦٩، ولاحظ التبصير للاسفرائيني:٣٨، حيث عبّر عنهم بالموسوية.

كيان الشيعة، وتماسكها وانسجامها، وقد كـانت الواقفة تتمسك بشبه، ربما تغري البسطاء من الشيعة، وتصدّهـم عن القول بامتداد الإمامة إلى عصر الإمام المنتظر. ولعلّه لأجل خطورة الوقف، ربما نرى وجود الحث المتزايد على زيارة الإمام الرضا عليه السلام من النبـي والوصيّ والصـادق والكـاظم عليهما السلام ليلفتوا نظـر الشيعة إليـه ولا يغفلوا عنه.

فقد روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ستدفن بضعة منّـي بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلاّ أوجب الله له الجنّة، وحرّم جسده على النار». [١]

كما توجد روايـات كثيرة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام تؤكـد وتحث على زيارة الإمام الرضا عليه السلام و تبيّن فضلها. [٢]

ولعلّ تلك الروايات تهدف إلى رفع الشبهات التي أوجدتها الواقفة في ذلك العصر، ولولا انّ الـرضا هو الإمـام القائد بعـد أبيه ، لما كان لهذا الحث وجـه، وقد جابه الإمـام الرضا تلك الزوبعة بعظات بـالغة، ومناظرات قيّمة، قـام فيها بإزالة الالتباس عن شبههم.

وقـد جمعهـا العـالم الحجـة الشيـخ ريـاض محمـد حبيـب النـاصري في كتابه«الـواقفية» ، حيث بلغت ثماني مناظرات.و من أراد الوقـوف على مضامينها فعليه الـرجوع إلى ذلـك الكتاب القيّم الـذي طرح فيـه الواقفيـة ودرسها دراسـة تحليلية رائعة. [٣]

---

١. الصدوق: الفقيه:٢/ ٣٥١، الحديث ٣٦.

٢. راجع الكافي:٤/ ٥٨٤؛و الفقيه:٢/ ٣٤٨ـ٣٥١؛ والتهذيب:٦/ ٨٤.

٣. الواقفية:١/ ١٥١ـ١٦٣، ولقد رجعنا إلى ذلك الكتاب في دراسة هذه الطائفة فشكر الله مساعيه.

مشاهير الواقفية

يظهر من مراجعة الكتب الرجالية، انّ عدد الواقفية لم يكن قليلاً، وقد ذكر الشيخ الطوسي فيهم حوالي أربعة وستين شخصاً، فمن مشاهيرهم:

١. سماعة بن مهران.

٢. جعفر بن سماعة.

٣. الحسن بن محمد بن سماعة.

٤. زرعة بن محمد الحضرمي.

٥. زياد بن مروان القندي.

٦. داود بن الحصين.

٧. درست بن أبي منصور.

٨. عثمان بن عيسى الرواسي.

٩. علي بن أبي حمزة البطائني.

١٠. علي بن الحسن الطاطري.

١١. حنان بن سدير الصيرفي.

١٢. يحيى بن القاسم الحذاء.

١٣. يحيى بن الحسين بن زيد.

١٤. سعد بن خلف. [١]

---

١. وقد استخرج محقّق رجال الطوسي، أسماء الذين وصفوا بالوقف فيه، تحت فهرست المنسوبين إلى المذاهب الفاسدة. رجال الطوسي: ٥٨٩ـ٥٩١.

ثمّ إنّ هناك لفيفاً آخر من الواقفية ذكرهم النجاشي في رجاله، وليس فيهم اسم سماعة بن مهران، ولا ولده جعفر، ولا سبطه محمد، و ربما تردّد بعضهم في عدّ سماعة من الواقفية، إذ لو كان كذلك لما خفي على مثل النجاشي، ولا على ابن الغضائري.

وقد جمع الشيخ الناصري أسماء الموصوفين بالوقف من الكتب الرجالية وغيرها، غير أنّ كثيراً منهم رجعوا عن الوقف.

ومن العجب العجاب انّ سبعة أشخاص من أصحاب الإجماع، رُمُوا بالوقف، وهؤلاء هم:

١. أحمد بن محمد بن أبي نصر.
٢. جميل بن دراج.
٣. حماد بن عيسى.
٤. صفوان بن يحيى.
٥. عثمان بن عيسى.
٦. يونس بن عبد الرحمان.
٧. عبد الله بن المغيرة.

و أظن أنّ اتّهامهم بالوقف ربما يعود إلى فحصهم وتريثهم في الإمام الذي يعقب الإمام الكاظم عليه السلام بعد رحيله. ولو كان هذا هو المنطلق لوصفهم بالوقف فلا يوجد أي مبرر لهذا الرمي والوصف، وعلى أية حال فإنّهم رجعوا عن الوقف، حتّى أنّ يونس بن عبد الرحمان كان في الصف المقدّم لمكافحة الوقف وهو الذي وصف الواقفية بالكلاب الممطورة كما في بعض الروايات، وهذا ما يثير الشكوك حول وصفه وزملائه بالوقف.

ثمّ إنّ هناك ردوداً بين الطائفتين ذكرها الطوسي في «الفهرست» و«الغيبة» فمن الكتب المؤلّفة في نصرة الواقفية:

١. «نصرة الواقفة» لعلي بن أحمد العلوي الموسوي، ذكره الشيخ. [١]

٢. «الصفة في الغيبة على مذهب الواقفة» لعبد الله بن جبلة. [٢]

٣. رسالة لعلي بن الحسن الطاطري في نصرة مذهبه. [٣]

وهناك ردود من الأصحاب على تلك المؤلفات، ذكرها النجاشي في رجاله، نذكر منها ما يلي:

١. الرد على الواقفة لإسماعيل بن علي بن إسحاق بن سهل بن نوبخت. [٤]

٢. الرد على الواقفة للحسن بن موسى الخشاب. [٥]

٣. الرد على الواقفة للحسين بن علي البزوفري. [٦]

٤. الرد على الواقفة لفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني. [٧]

بقي الكلام في رجال الواقفة الذين وردت أسماؤهم في الكتب الرجالية، وكان لهم دور في نقل الحديث وتدوينه، فإليك فهرس أسمائهم، وأمّا الكلام عن تراجمهم وحالاتهم فموكول إلى محله.

---

١. الطوسي: الغيبة:٢٩.

٢. النجاشي: الرجال: ٢/ ١٣ برقم ٥٦١.

٣. الطوسي: الفهرست:١١٨ برقم ٣٩٢.

٤. النجاشي: الرجال: ١/ ١٢١ برقم ٦٧.

٥. النجاشي: الرجال:١/ ١٤٣ برقم ٨٤.

٦. النجاشي: الرجال: ١/ ١٨٨ برقم ١٦٠.

٧. النجاشي: الرجال: ٢/ ١٧٤ برقم ٨٤٦.

١. إبراهيم.
٢. أبو جبل.
٣. أبو جعدة.
٤. أبو جنادة الأعمى.
٥. أحمد بن أبي بشر السرّاج.
٦. أحمد بن الحارث.
٧. أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمّار.
٨. أحمد بن زياد الخزّاز.
٩. أحمد بن السري.
١٠. أحمد بن الفضل الخزاعي.
١١. أحمد بن محمد بن علي بن عمر بن رباح بن قيس بن سالم القلاء السوّاق.
١٢. إدريس بن الفضل بن سليمان الخولاني.
١٣. إسحاق بن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي.
١٤. إسماعيل بن أبي بكر محمد بن الربيع بن أبي السمّال الأسدي.
١٥. إسماعيل بن عمر بن أبان الكلبي.
١٦. أُمية بن عمرو الشعيري.
١٧. بكر بن محمد بن جناح.
١٨. جعفر بن المثنى الخطيب.
١٩. جعفر بن محمد بن سماعة بن موسى بن رويد.
٢٠. جندب بن أيوب.
٢١. جهم بن جعفر بن حيان.
٢٢. الحسن بن علي بن أبي حمزة سالم البطائني.
٢٣. الحسن بن محمد بن سماعة، أبو محمد الكندي الصيرفي الكوفي.
٢٤. الحسين (من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام).
٢٥. الحسين بن أبي سعيد هاشم بن حيّان المكاري.
٢٦. الحسين بن قياما.
٢٧. الحسين بن كيسان.
٢٨. الحسين بن المختار، أبو عبد الله القلانسي.

٢٩. الحسين بن مهران بن محمد، أبو نصر السكوني.

٣٠. الحسين بن موسى.

٣١. حصين بن المخارق بن عبد الرحمان بن ورقاء بن حبشي بن جنادة.

٣٢. حميد بن زياد بن حمّاد بن حمّاد بن زياد هوار الدهقان.

٣٣. حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي.

٣٤. داود بن الحصين الأسدي.

٣٥. دُرست بن أبي منصور محمد الواسطي.

٣٦. زرعة بن محمد الحضرمي.

٣٧. زكريا بن محمد، أبو عبد الله المؤمن.

٣٨. زياد بن مروان الأنباري القندي.

٣٩. زيد بن موسىٰ.

٤٠. سعد بن أبي عمران الأنصاري.

٤١. سعد بن خلف.

٤٢. سلمة بن حيّان.

٤٣. سماعة بن مهران بن عبد الرحمان الحضرمي.

٤٤. عبد الله بن جبلة بن حيّان بن أبجر الكناني.

٤٥. عبد الله بن عثمان الحنّاط.

٤٦. عبد الله بن القاسم الحضرمي.

٤٧. عبد الله بن القصير.

٤٨. عبد الله النخّاس.

٤٩. عبد الكريم بن عمرو بن صالح الخثعمي.

٥٠. عبيد الله بن أبي زيد أحمد بن عبيد الله بن محمد الانباري.

٥١. عثمان بن عيسى، أبو عمرو العامري الكلابي الرواسي.

٥٢. عثمان بن عيسى الكلابي، مولىٰ لبني عامر، وليس بالرواسي.

٥٣. علي بن أبي حمزة البطائني.

٥٤. علي بن جعفر بن العباس الخزاعي المروزي.

٥٥. علي بن الحسن بن محمد الطائي الجرمي المعروف بالطاطري.

٥٦. علي بن الخطّاب.

٥٧. علي بن سعيد المكاري.

٥٨. علي بن عمر الأعرج الكوفي.

٥٩. علي بن محمد بن علي بن عمر بن رباح السوّاق، ويقال: القلاّء.

٦٠. علي بن وهبان.

٦١. عمر بن رباح الزهري القلا.

٦٢. عنبسة بن مصعب العجلي.

٦٣. عيسى بن عيسى الكلابي مولى بني عامر ـ وليس بالرواسي ـ.

٦٤. غالب بن عثمان.

٦٥. الفضل بن يونس الكاتب البغدادي.

٦٦. القاسم بن إسماعيل القرشي، أبو محمد المنذر.

٦٧. القاسم بن محمد الجوهري.

٦٨. محمد بن بكر بن جناح.

٦٩. محمد بن الحسن بن شمّون.

٧٠. محمد بن عبد الله الجلاّب البصري.

٧١. محمد بن عبد الله بن غالب الأنصاري البزاز.

٧٢. محمد بن عبيد بن صاعد.

٧٣. محمد بن عمر.

٧٤. محمد بن محمد بن علي بن عمرو بن رباح.

٧٥. مقاتل بن مقاتل بن قياما.

٧٦. منصور بن يونس بزرج.

٧٧. موسى بن بكر الواسطي.

٧٨. موسى بن حماد الطيالسي الذرّاع.

٧٩. هاشم بن حيان، أبو سعيد المكاري.

٨٠. وهيب بن حفص، أبو علي الجريري.

٨١. يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام.

٨٢. يزيد بن خليفة الحارثي.

٨٣. يوسف بن يعقوب.

خاتمة المطاف

في

النصيرية



الكتابة عن النصيرية كسائر الفرق الشيعية أمر صعب لا سيما وأنّهم اضطروا إلى التخفّي والانطواء على أنفسهم، وعاشوا في ظل التقية، ومن يتصفّح التاريخ يجد أنّه لا مندوحة لهم من التكتّم والتحفّظ في عقائدهم، فمعاجم الفرق مليئة بذمّهم وتفسيقهم وتكفيرهم، وقد أخذ بعضهم عن بعض، ولا يمكن الاعتماد على ما نقلوه عنهم إلاّ بالرجوع إلى كتب تلك الفرقة أو التعايش معهم في أوطانهم حتى ينجلي الحقّ ليقف الإنسان على مكامن عقائدهم وخفايا أُصولهم، ونحن نسرد قبل كلّ شيء ما ذكرته معاجم الفرق في هذا المقام من دون أيّ تعليق مسهب.

النصيرية في معاجم الملل والنحل

١. ولعلّ أوّل من ذكرهم من أصحاب المقالات هو الشيخ الحسن بن موسى النوبختي من أعلام القرن الثالث، ويظهر منه أنّها نشأت بعد وفاة الإمام الهادي عليه السلام عام ٢٥٤هـ فقال:

وقد شذّت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته، فقالت بنبوّة رجل يقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدّعي أنّه نبي، بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أنّ ذلك من التواضع و التذلّل، وأنّها إحدى الشهوات والطيبات، وأنّ الله عزّ وجلّ لم يحرّم شيئاً من ذلك، وكان يقوي أسباب هذا النميري، محمد بن موسى بن

الحسن بن الفرات.[١]

أقول: ما ورد من النسب في هذا الكلام ممّا يستبعده العقل جداً، إذ كيف يمكن أن يتبنىٰ أحد في حاضرة الخلافة الإسلامية هذه المنكرات التي لا يرتضيها أيّ إنسان ساذج؟! ولو كان داعياً إلى هذه الأُمور في أجواء نائية بعيدة ربّما يسهل تصديقه.

٢. وقال الكشي (من أعلام القرن الرابع): وقالت فرقة بنبوة محمد بن نصير الفهري النميري، وذلك أنّه، ادّعىٰ أنّه نبي، وأنّ علي بن محمد العسكري أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول: إنّه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وإنّ الله لم يحرّم شيئاً من ذلك. وكان محمد ابن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذكر أنّه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً وغلام له على ظهره، فرآه على ذلك، فقال: إنّ هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبّر، وافترق الناس فيه بعده فرقاً.[٢]

٣. وقد ذكر الأشعري المتوفّى (٣٢٤هـ) من أصناف الغالية، أصحاب الشريعي، وقال: يزعمون أنّ الله حلّ في خمسة أشخاص، ثمّ انتقل منه إلى ذكر النميرية، وقال: إنّ فرقة من الرافضة يقال لهم النميرية أصحاب النميري يقولون إنّ الباري كان حالاً في النميري.[٣]

٤. وقال البغدادي المتوفّى (٤٢٩هـ)، في فصل عَقَده لبيان الفرقة الشُريعية أتباع الشريعي والنميرية أتباع محمد بن نصير النميري، ونقل نفس ما نقله الأشعري في حقّ الرجلين و لم يزد عليه شيئاً.

---

١. فرق الشيعة: ٩٣.

٢. رجال الكشي: ٤٣٨.

٣. مقالات الإسلاميين: ١/ ١٥.

ومن قارن كتاب الفرق بين الفرق مع كتاب مقالات الإسلاميين يجد أنّه صورة ملخّصة من الثاني، غير أنّه زاد في بيان الفرق سبّاً وذمّاً غير لائق بشأن الكاتب.[١]

٥. وقد عقد الشيخ الطوسي المتوفّى (٤٦٠هـ) فصلاً لمدّعي البابية عدّ منها الشريعي، ومحمد بن نصير النميري.

قال: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام فلمّا توفي أبو محمد، ادّعىٰ مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنّه صاحب إمام الزمان، وادّعىٰ له البابية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبرّأه منه، واحتجابه عنه وادّعى ذلك الأمر بعد الشُريعي.

ثمّ قال: قال أبو طالب الأنباري: لما ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر (رض) وتبرّأ منه فبلغه ذلك، فقصد أبا جعفر (رض) ليعطف بقلبه عليه، أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً.

ثمّ نقل عن سعد بن أبي عبد الله ما نقلناه آنفاً عن النوبختي.

ثمّ قال: فلمّا اعتلّ محمد بن نصير العلّة التي توفي فيها، قيل له وهو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدروا من هو؟فافترقوا بعده ثلاث فرق، قالت فرقة: إنّه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد ابن محمد بن موسى بن الفرات، وفرقة قالت: إنّه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد، فتفرّقوا فلا يرجعون إلىٰ شيء.[٢]

ثمّ إنّ الشيخ أخرج في أسماء أصحاب الهادي عليه السلام، محمد بن حصين

---

١. انظر الفرق بين الفرق:٢٥٢.

٢. الطوسي: الغيبة: ٣٩٨ـ٣٩٩.

الفهري، وقال: ملعون ولعلّه محمد بن نصير، فالحصين تصحيف لنصير.[١]

وأخرج في أصحـاب الإمام العسكـري محمد بـن موسى الصريعـي، وقال المعلق:وفي بعض النسـخ الشريعي، وهو أوّل من ادّعـى البابيـة حسب تنصيص الشيخ الطـوسي في الغيبـة، ولم يـذكـر في أصحـاب العسكـري محمـد بـن نصير النميري.[٢]

٦. وقال الاسفـرايني المتـوفّى (٤٧١هـ): الفـرقة التـاسعة منهم الشريعيـة والنميرية، و الشريعية أتباع رجل كان يدعىٰ شريعاً، وكان يقول: إنّ الله تعالىٰ حلّ في خمسة أشخاص في محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين، وكانوا يقولون: إنّ هؤلاء آلهة ولهؤلاء الخمسة خمسة أضداد، إلىٰ أن قال: وكان النميري، خليفته وكان يدعي لنفسـه مثله بعده وجملة النميرية والشريعيـة والخطابية وكانوا يـدعون إلهيّة جعفر الصادق .[٣]

ولا يخفى وجود التناقض في كلامه حيث فسر الشريعية بالاعتقاد بالأُلوهية في الخمسـة الطاهـرة آخـرهم الحسين عليه السلام وقـال في ذيل كـلامـه: إنّ الطـوائف الثلاث: النميرية ـ الشريعية ـ الخطابية كانوا يدّعون إلهية جعفر الصادق.

ومع ذلك كلّه فما ذكره مأخوذ مـن الفرق بين الفرق والمقالات وكأنّ الجميع عيال على الأشعري.

٨. وقال ابن أبي الحديد المتوفّـى (٦٥٥هـ) في فصل عقده لذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهـم: إنّ النصيرية: فرقة أحدثهـا محمد بن نصير النميري، وكان من أصحاب الحسن العسكري عليه السلام ، إلىٰ أن قال: وكان محمد بن نصير من

---

١. الطوسي: الرجال: أصحاب الإمام الهادي عليه السلام برقم ٣٩.

٢. الطوسي: الرجال: أصحاب الإمام العسكري عليه السلام برقم ١٩.

٣. التبصير في الدين:١٢٩.

أصحاب الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، فلمّا مات ادّعىٰ وكالة لابن الحسن الذي تقول الإمامية بإمامته ففضحه الله تعالى بما أظهره من الإلحاد والغلو، والقول بالتناسخ، ثمّ ادّعىٰ أنّه رسول ونبي من قبل الله تعالى، وأنّه أرسله علي بن محمد ابن الرضا، وجحد إمامة الحسن العسكري و إمامة ابنه، وادّعىٰ بعد ذلك الربوبية وقال بإباحة المحارم.[1]

٩. وقد بسط الكلام الشهرستاني (٤٧٩ـ ٥٤٨هـ) في النصيرية والإسحاقية وعدّهم من جملة غلاة الشيعة وقال: لهم جماعة ينصرون مذهبهم ويذبّون عن أصحاب مقالاتهم، وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت ـ إلى أن قال ـ : «قالوا ولم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي (رضي الله عنه)، وبعده أولاده المعصومون وهم خير البرية، فظهر الحقّ بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم، فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم.

وإنّما أثبتنا هذا الاختصاص «لعلي» رضي الله عنه دون غيره لأنّه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالى، فيما يتعلق بباطن الأسرار. قال النبي ﷺ: «أنا أحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر» وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي ﷺ وقتال المنافقين إلىٰ علي رضي الله عنه.

وعن هذا شبهه بعيسى بن مريم عليه السلام، فقال ﷺ: «لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم عليه السلام، لقلت فيك مقالاً».[2]

١٠. وقال العلاّمة الحلّي (٦٤٨ـ ٧٢٦هـ): محمد بن الحصين الفهري من أصحاب أبي الحسن الثالث الهادي عليه السلام كان ضعيفاً ملعوناً.[3]

---

١. شرح نهج البلاغة: ٨/ ١٢٢، ولا يخفى أنّ ابن أبي الحديد تفرّد بإنكار النميري إمامة الحسن العسكري عليه السلام وإمامة ابنه مع أنّه كان يدّعي البابية لابن العسكري سلام الله عليهم.

٢. الملل والنحل: ١/ ١٦٨ـ ١٦٩.

٣. الخلاصة: ٢/ ٢٥٢ برقم ٢٢.

والعجب أنّه عنونه تارة أخرى، وقال: محمد بن نصير بالنون المضمومة والصاد المهملة، قال ابن الغضائري: قال لي أبو محمد بن طلحة بن علي بن عبد الله بن غلاله، قال لنا أبو بكر بن الجعابي: كان محمد بن نصير من أفاضل أهل البصرة علماً وكان ضعيفاً بدو النصيرية وإليه ينسبون. [١]

ولعلهما شخصان مختلفان.

١١. وقال الجرجاني المتوفّى (٨١٦هـ): النصيرية الذين قالوا إنّ الله حلّ في علي (رض). [٢]

والباحث في كتب الرجال لأصحابنا يجد أنّها تعج بما رواه الشيخ في كتاب الغيبة، والكشي في رجاله. [٣]

النصيرية فرقة بائدة

إذا كانت النصيرية هي التي عرّفها أصحاب المعاجم وغيرهم، فهذه الفرقة قد بادت لا تجد أحداً يتبنّى أفكارها بين المسلمين، إلاّ إذا كان مغفّلاً أو مغرضاً، وربّما تكون بعض هذه النسب ممّا لا أصل له في الواقع، وإنّما اتهمت بها بعض فرق الشيعة من قبل أعدائهم، فإنّ خصومهم من العباسيين شنّوا حملة شعواء ودعايات مزيفة ومضلّلة ضدهم، حتى يجد الباحث أنّ الكتّاب والمؤلّفين المدعومين من قبل السلطات لا يألون جهداً في اتهامهم بأرخص التهم في العقيدة والعمل حتى صارت حقائق راهنة في حقّ هؤلاء، وتبعهم غير واحد من أصحابنا لحسن ظنّهم بما كتب حولهم.

---

١. الخلاصة: ٢/ ٢٥٧ برقم ٦١.

٢. التعريفات: ١٠٦.

٣. انظر تنقيح المقال: ٣/ ١٩٥.

محمد بن نصير النميري شخصيّة قلقة

الحقّ أن يقال إنّ ابن نصير شخصية قلقة، يكتنفها كثير من الغموض، فتارة يعدّونه من أفاضل أهل البصرة علماً وأنّه ضعيف [١] وأُخرى من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام [٢]، وأُخرى أنّه من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام وأنّه غال [٣] وطوراً عدّوه فهرياً بصرياً مع أنّ هذين لا يجتمعان. [٤]

وأخيراً تحيّروا في أمر هذا الرجل ووضعوا اسمه في قائمة المشتركات. [٥]

ثمّ إنّ كتّاب الفرق ذكروا رجالاً كان لهم دور في حياة ذلك الرجل، منهم:

الشريعي أبو محمد، وقد عرفت ما قيل حوله؛ وابن فرات، وهو الذي ذكر النوبختي أنّه كان يقوي عضد محمد بن نصير، ومن المؤكد أنّ هذا الرجل ينتمي إلى أُسرة شيعية عريقة كان لها مركز ونفوذ في البلاط العباسي. وتقلّد جمع منهم الوزارة، منهم:

١. أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات تسنّم عرش الوزارة ثلاث مرّات، خلع وحبس خلالها، فقد تسلم الوزارة بين سنة ٢٩٦ و٢٩٩هـ، ثمّ في سنة ٣٠٤، وثالثة في سنة ٣١١ـ٣١٣هـ وقد اتّهموه بمؤازرة الأعراب البوادي الذين نهبوا بغداد، وكذلك اتهم بالزندقة وصودرت أمواله وذلك أيّام المقتدي بالله

---

١. المامقاني: تنقيح المقال: ٣/ ١٩٥.

٢. الطوسي: الرجال: أصحاب الإمام الجواد برقم ١٠ و ٢٦.

٣. الطوسي: الرجال: أصحاب الإمام العسكري عليه السلام برقم ٢٠.

٤. الكشي: الرجال: برقم ٣٨٣.

٥. المامقاني: تنقيح المقال: ٣/ ١٩٦.

العباسي.[١]

٢. أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات وزير الراضي بالله العباسي.

٣. أبو أحمد المحسن بن الوزير أبي الحسن.

٤. جعفر بن محمد أخو الوزير علي بن محمد.[٢]

هذه هي النصيرية وهذه هي كلمات أصحاب المعاجم في حقّها ونحن على شكّ في صدق هذه النسب، لأنّ أكثر من كتب عنهم يعدّون خصوماً لهم، ومن كتب عنهم من غير خصومهم لم يعتمد على أصل صحيح، فلا يبعد أن تكون هذه الفرقة على فرض وجودها في عصرها من الفرق البائدة التي عبث بها الزمان.

العلويون وأصل التسمية بالنصيرية

إنّ هناك أقلاماً مغرضة حاولت أن تنسب العلويين المنتشرين في الشام والعراق وتركيا وإيران إلى فرقة النصيرية البائدة اعتماداً على أُمور ينكرها العلويون اليوم قاطبة.

وأظن أنّ السبب في ذلك هو جور السلطات الظالمة التي أخذت تشوّه صحيفة العلويين وتسوّدها، فأقامت فيهم السيف والقتل والفتك والتشريد، ولم تكتفِ بل أخذت بالافتراء عليهم لتنفّر الناس من الاختلاط بهم، وأنّهم زمرة وحشية همجية، ممّا زاد في انكماش هذه الطائفة على نفسها، لذا نجد من المناسب الكتابة عنهم حسب ما كتبوه عن أنفسهم.

أمّا سبب تسمية العلويين بالنصيرية لأنّه لما فتحت جهات بعلبك وحمص استمد أبو عبيدة الجراح نجدة، فأتاه من العراق خالد بن الوليد، ومن مصر عمرو

١ و ٢. الصابي: كتاب الوزراء: ٢٤٧.

ابن العاص، وأتاه من المدينة جماعة من أتباع علي عليه السلام وهم ممّن حضروا بيعة غدير خم، وهم من الأنصار، وعددهم يزيد عن أربعمائة وخمسين، فسمّيت هذه القوة الصغيرة، نصيرية، إذ كان من قواعد الجهاد تمليك الأرض التي يفتحها الجيش لذلك الجيش نفسه، فقد سميت الأراضي التي امتلكها جماعة النصيرية: جبل النصيرية، وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية المعروف الآن ثمّ أصبح هذا الاسم علماً خاصاً لكلّ جبال العلويين من جبل لبنان إلى أنطاكية.[1]

وهذا الرأي أقرب إلى الصواب، ذلك أنّ المؤرّخين الصليبيّين أطلقوا على هذا الجبل اسم «النصيرة» ويبدو انّ هذا الاسم قد حرّف إلى نصيرية و الذي يعزز القناعة بصحة هذا الرأي هو أنّ إطلاق اسم نصيرية على هذا الجبل، لم يظهر إلاّ أثناء الحملات الصليبية، أي بعد عام ٤٩٨هـ، وإذا كان معنى ذلك أنّ اسم نصيرية قد تغلّب على اسم الجبل في زمن الشهرستاني.

وثمة آراء أُخرى قليلة ترى أنّ تسمية نصيرية نسبة إلى نصير غلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام .ويبدو لنا خطل هذه الآراء، خاصة وأنّ التاريخ لم يذكر أنّ للإمام علي غلاماً يدعى نصيراً.[2]

أهم عقائدهم

حسب المصادر المطّلعة على حالهم، فإنّ عقائد العلويين لا تختلف عن عقائد الشيعة الاثنا عشرية الإمامية، وهي معروفة مسجّلة.[3]

---

١. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٨٧ـ ٨٨.

٢. هاشم عثمان: العلويون بين الأُسطورة والحقيقة: ٣٥ـ٣٦.

٣. علي عزيز آل إبراهيم: العلويون والتشيع: ٩١ـ٩٧، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٩٢م؛ وراجع العلويون بين الأُسطورة والحقيقة لهاشم عثمان، وعقيدتنا وواقعنا لعبد الرحمان الخير.

ومـا يوجب السكـون والاطمئنـان في ذلك أنّ جميع المؤلفين وأربـاب كتب الفرق و المذاهب عـدّوهم من الشيعة الإماميـة الاثنا عشرية على الرغم ممّـا نسبوا إليهم ورموهم بالغلو والتطرّف والباطنية وأمثال ذلك مما سنأتي الإشارة إليه.

فالعلويون يؤمنون برسالة محمد بن عبد الله ﷺ ولا يشكّون بإمامة ابن عمه علي بن أبي طالب والأئمـة الأحد عشر من صلبه ﷺ وينطقون بالشهادتين عن إيمان فحصنهـم شهـادة أنْ لا إلـه إلاّ الله محمـد رسـول الله ﷺ والموالاة لآل بيتـه والصلاة والصـوم والحج والزكـاة والجهـاد في سبيـل الله والمعاد في اليـوم الآخر، وكتابهم القرآن، ما زاغوا عن هواه ولا نهجوا منهجاً غير شريعته، ولهم مراجع دينية عرفوا بتمسّكهم بـالدين وإقـامة شعـائرهم الدينيـة الإسلاميـة، ويطرحـون كلّ حـديث لم يشر إليه القـرآن وجاء مخالفـاً لـه، كما وأنّهم لا يؤيّـدون قول من يقـول بصحّـة تأويل الآيـات التي بحـق محمد وآل محمـد ﷺ، ويحترمـون كل الشرائع السماويـة، ويقـدّسـون كلّ الأنبيـاء، ولا يشكّـون بصحّـة مـا أُنـزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحـاق ويعقوب والأسبـاط، وما أُوتي مـوسى وعيسى والنبيـون من ربّهم، وهم لله مسلمون، ولم يعصوا الرسـول في عمل ولم يخالفوه في قول، ويحصرون كلمة العلم الكاملة بأهل البيت، ويعتمدون على جعفر بن محمد الصادق ﷺ في أبحاثهم الدينية وتأويل القرآن والفقـه والفتوى، فلا شافعي ولا حنبلي ولا مالكي ولا حنفي عندهم، وكلّهم لله حنفاء متّبعون ملّة أبيهم إبراهيم، وهو الذي سمّاهم المسلمين ويعبدون الله تعالى لا يشركون في عبادته أحداً.[١]

ونترك الحديث إلى أحد كتابهم وهو الشيـخ عبد الرحمان الخير يتحدث عن عقيدتهم في أُصول الدين وفروعه، حيث يقول:

أُصول الدين خمسة، وهي:

التوحيد و العدل والنبوّة والإمامة والمعاد.

١. أحمد زكي تفاحة: أصل العلويين وعقيدتهم:٤٧ـ٤٨.

التوحيد: نعتقد بوجود إله واحد خالق للعالم المرئي وغير المرئي، لا شريك له في الملك متصف بصفات الكمال، منزّه عن صفات النقص والمحال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/ ١١).

العدل: نعتقد بأنّ الله تعالى عادل منزّه عن الظلم، وعن فعل القبيح والعبث، لا يكلّف البشر غير ما هو في وسعهم وطاقتهم ولا يأمرهم إلاّ بما فيه صلاحهم ولا ينهاهم إلاّ عمّا فيه فسادهم ولو جهل كثير من العباد وجه الصلاح والفساد في أمره ونهيه سبحانه.

النبوّة: نعتقد بأنّ الله سبحانه يصطفي من خيرة عباده الصالحين رسلاً لإبلاغ رسالاته إلى الناس، ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم ويحذّروهم عمّا فيه فسادهم في الدنيا والآخرة.

ونعتقد بأنّ الأنبياء كثيرون، ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، أوّلهم سيدنا آدم عليه السلام وآخرهم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وشريعته هي آخر الشرائع الإلهية وأكملها، ونعتقد بأنّها صالحة لكلّ زمان و مكان.

ونعتقد بعصمة جميع الأنبياء من السهو والنسيان، وارتكاب الذنوب عمداً وخطأ قبل البعثة، وبعدها، وأنّهم منزّهون عن جميع العيوب والنقائص، وأنّهم أكمل أهل زمانهم وأفضلهم وأجمعهم للصفات الحميدة، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الإمامة: نعتقد بأنّ الإمامة منصب تقتضيه الحكمة الإلهية لمصلحة البشر في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة الإلهية، وفي القيام بعدهم بالمحافظة على تطبيق أحكامها بين الناس وبصون التشريع من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة.

ولذلك نعتقد اقتضاء اللطف الإلهي بأن يكون الإمام معيّناً بنص إلهي وأن يكون معصوماً مثل النبي سواء بسواء ليطمئن المؤمنون إلى الاقتداء به في جميع أعماله وأقواله.

ونعتقد بأنّ الإمام بعد نبينا محمد ﷺ هو سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده ابناه الحسن والحسين، ثمّ تسعة من ذرية الحسين عليهم السلام، آخرهم المهدي عجّل الله فرجه، وعجل به فرج المؤمنين.

المعاد: نعتقد بأنّ الله سبحانه يعيد الناس بعد الموت للحساب، فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

كما ونؤمن بكل ما جاء في القرآن الكريم، وبما حدّث به النبي ﷺ من أخبار يوم البعث و النشور والجنّة والنار والعذاب والنعيم والصراط والميزان وغير ذلك ممّا أثبته كتاب الله وحديث رسوله الصحيح.

وأمّا فروع الدين: فكثيرة أهمّها الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد. [1]

الجبر والاختيار والتفويض

يقول أحد كتّابهم في هذا الصدد:

عقيدة المسلمين العلويين في هذه المسألة هي طبق ما جاء عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ينفي الجبر والإهمال، وقد منح الله العباد القوّة على أفعالهم وأوكلهم فيها إلىٰ نفوسهم فعلاً وتركاً بعد الوعد والوعيد، قال عليه السلام في نهج البلاغة: «إنّ الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلّف يسيراً ولم يكلف عسيراً، وأعطىٰ على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً ولم ينزل الكتاب عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار».

وقد شنع الأمير الشاعر المكزون السنجاري على القائلين بالجبر ووصفهم بأنّ عبيد اللات خير منهم قال:

---

١. عبد الله الخير: عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين العلويين: ٢٠ـ٢٣، نقل بتلخيص.

عبيد اللات فيما جاء عنهم — يسبّون الإله بغير علم
وأما المجبرون فعن يقين — يسبّون الإله بكل ظلم

ويقول أيضاً:

إذا كان فعلي له مرادا — فلم بما قد أراد يعصى
ولم دعاني إلى أمور — مني لها الخلف ليس يحصى

ومن احتجاجه على القائلين بالجبر قوله:

قل لمن قال إنّ باري البرايا — ليس في خلقه مريد سواه
من ترى ان أراد بالعبد سوءاً — راح في العبد كارهاً ما قضاه
اتقوا الله ذاك أمر محال — أن يرى ساخطاً رضاه رضاه
وإذا لم يكن فقد ثبت القو — ل لعبد ومان في مدعاه.[1]

ما حيك حولهم

وفي غياب المصادر الموثوقة، نسب مناوئوهم عقائد وآراء شتى إلى العلويين نشير في ما يلي إلى بعضها:

١. الاعتقاد بالحلول والغلو في حق الأئمة سيّما الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.[2]

٢. التناسخ.[3]

٣. نبوّة النميري محمد بن نصير.[4]

---

١. علي عزيز الإبراهيم: العلويون والتشيع: ٧٦ـ٨٣.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل: ٢/ ٢٥، ٢٦، سليمان الأذني: الباكورة السليمانية: ٨٧.

٣. النوبختي: فرق الشيعة: ٩٣ ـ ٩٤.

٤. نفس المصدر.

٤. شركة الإمام علي مع رسول الله في نبوته. [١]

٥. إباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً. [٢]

٦. افتراقهم إلىٰ ثلاث فرق في خلافة محمد بن نصير النميري. [٣]

٧. عبادة السماء والشمس والقمر على تقاليد الفينيقيين والاعتقاد بوجود الأئمة عليهم السلام فيها. [٤]

وهذه الافتراءات والتهم إنّما تهدف إلىٰ شيء واحد وهو تأليب الناس عليهم دون أن تستند إلى مصدر أو مستند أو وثيقة. ودون أن يتجشّم المؤلّفون لتحقيقها، فإنّ مؤلّفي الفرق والملل والنحل كان همّ أكثرهم توسيع رقعة الخلاف، وخلق أكبر عدد ممكن من الفرق وطرح أشياء غريبة عجيبة وغير معقولة ولا مشروعة.

رميهم بالغلو والتطرّف

أمّ الاتهامات ضدّهم هي تهمة الغلو وتأليه الإمام علي عليه السلام حيث يكرره المؤلفون من قديم وجديد. [٥]

ويترآى أنّ رميهم بالغلو والتطرف كان ردّ فعل من مناوئيهم حيث كان يرميهم هؤلاء بالتقصير في حقّ علي بن أبي طالب عليه السلام أو عدم الإيمان بفضائله وأفضليته من سائر الصحابة، حتى عدائهم له بتحريض من خلفاء الأمويين،

١. المصدر نفسه.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل: ٢/ ٢٥ـ٢٦.

٣. النوبختي: فرق الشيعة: ١١٥ـ١١٦، الرازي فخر الدين: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٦١.

٤. النوبختي: فرق الشيعة: ١١٥ـ١١٦، وراجع: القلقشندي: صبح الأعشى: ١٣/ ٢٢٢ـ٢٥٣.

٥. الدكتور عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين: ٢/ ٤٢٥، دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٩٧٣م.

فقابلوا تهمة بتهمة. ولا غرو في ذلك فانّ النزاع السياسي والعسكري بين العشائر العلوية وخصومهم من الأُمويين والعباسيين والعثمانيين الذين كانوا يتمتعون بالسلطة الرسمية تسبب في شن حرب إعلامية نفسية ضدّهم وسلب الشرعيّة عنهم حتى يبرّر ذلك التنكيلَ بهم والفتكَ الذريع بحقهم، وقد أجاد شاعرهم الأمير حسن المكزون السنجاري حينما أنشد:

قد بدت البغضاء منهم لنا ... كما منا لهم بدا الحب

وما لنا إلّا موالاتنا ... لآل طه عندهم ذنب

أعود للحديث عن عقيدة العلويين، فأقول ليس للعلويين مذهب خاصّ بهم يختلف عن مذهب أهل البيت عليهم السلام كما يحاول أن يصوّر ذلك بعض الجهّال السذّج، وإنّما هم شيعة إمامية اثنا عشرية يتمذهبون بمذهب أهل البيت عليهم السلام ويعولون عليه في أحكامهم ومعاملاتهم، إلاّ أنّ ثمة معتقدات علوية متميّزة سوف أحاول التركيز عليها باختصار.

أ. الطريقة الجنبلانية

يقال أحدثها في الشيعة العلويين رجل اسمه أبو محمد عبد الله الجنبلاني المعروف بالجنّان، ويعتقد بعض العلويين أنّه من رؤسائهم الكبار، ومن أعلم أهل عصره في التصوّف، وكان يقيم في العراق العجمي في بلدة جنبلا، ومن هنا اشتهر بالفارسي، ويقال إنّه سافر إلى مصر وهناك أدخل الحسين بن حمدان الخصيبي في طريقته، وقد تبعه الأخير إلى جنبلا عند عودته فأخذ عنه الأحكام الصوفية والفلسفية وعلوم النجوم والهيئة وبقية العلوم العصرية. [1]

والخصيبي أحد مشايخ العلويين الكبار وقد خلّف الجنبلاني في رئاسة

---

١. علي عزيز إبراهيم العلوي: العلويون فدائيو الشيعة المجهولون:٢٨ـ٢٩.

مشيخة الطريقة وعنه يقول صاحب كتاب تاريخ العلويين:

كان دأب السيد حسين بن حمدان الخصيبي ووكلاؤه في الدين إرشاد بعض أفراد بقيّة الأديان إلى دين الإسلام، وهؤلاء يبقون بصفة أفراد مسلمين شيعة أي جعفرية، والذين يشاهد فيهم الكفاءة يدخلهم في الطريقة الجنبلائية. [1]

من هنا نعلم أنّ الرجل كانت غايته أن يدعو الناس إلى مذهب أهل البيت كما هو ظاهر، وأنّ الطريقة الجنبلائية ليست سوى معتقد صوفي كبقية المعتقدات الصوفية المكتومة لدى أكثر فرق المسلمين.

ب. العقيدة في الباب

يرى العلويون أنّ الأئمة عليهم السلام هم أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولمّا كانت الأئمة عليهم السلام يحصون علوم الأوّلين والآخرين كان لابدّ لهم من باب يؤخذ فيه عنهم مصداقاً، ولذلك اتبعوا الأثر فاتخذوا باباً لكلّ منهم، والأبواب هم:

١. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام باب مدينة العلم التي هي النبي، وبابه سلمان الفارسي.

٢. الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بابه قيس بن ورقة المعروف بالسفينة.

٣. الإمام الحسين الشهيد عليه السلام بابه رشيد الهجري.

٤. الإمام علي زين العابدين عليه السلام بابه عبد الله الغالب الكابلي.

٥. الإمام محمد الباقر عليه السلام بابه يحيى بن معمر بن أُمّ الطويل الشمالي.

٦. الإمام جعفر الصادق عليه السلام بابه جابر بن يزيد الجعفي.

٧. الإمام موسى الكاظم عليه السلام بابه محمد بن أبي زينب الكاهلي.

٨. الإمام علي الرضا عليه السلام بابه المفضل بن عمر.

٩. الإمام محمد الجواد عليه السلام بابه محمد بن مفضل بن عمر.

---

١. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٢٠٨.

١٠. الإمام علي الهادي عليه السلام بابه عمر بن الفرات، المشهور بالكاتب.

١١. الإمام حسن العسكري عليه السلام بابه أبو شعيب محمد بن نصير النميري.

١٢. الإمام الحجّة محمد المهدي عليه السلام فلم يكن له باب.

المحنة والاضطهاد المتواصل

الشيعة عموماً كانوا يعتقدون عدم استحقاق الحكام العباسيين الذين استندوا إلى وسادة الخلافة، وكانوا يضطهدون الشعوب الإسلامية باسم الدين، ومن جملة هؤلاء العلويون، فعمدت السلطة إلى قمعهم وتشريدهم وتعذيبهم، ونشير فيما يلي إلى بعض محنهم ومعاناتهم:

١. أيّام المتوكل العباسي اشتد الضغط على أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهاجر جمع غفير منهم إلى أقاصي البلاد كبلاد خراسان وبلاد الأكراد، وذلك عام ٢٣٦هـ، حيث أمر باستحضار أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى العراق. وفي القرون التالية، هجم الجيش العباسي بمعاونة جماعة من المتعصبين من حي الرصافة ببغداد على حيٍّ آخر يسمى الكرخ، فنهبوا الدور، وأحرقوا المكتبات و المحلات التجارية والبيوت [١] حيث أمر الخليفة المنتصر بقتل الشيعة والعلويين في بغداد وراح ضحيتها أربعون ألفاً.

٢. أيام السلطان المملوكي محمد بن قلاوون في عام ١٣٠٥م أمر بتسيير حملة عسكرية عظيمة إلى جبال كسروان (جونيه حالياً بقرب بيروت) في لبنان لإبادة الطوائف الشيعية هناك، ومن جملة من فتك بهم العرب العلويون الذين كانوا في شمال لبنان، ولا سيما في القنيطرة و العاقورة ونواحي البترون وعكا ثمّ امتدوا إلى كسروان، والذين تخلّصوا من الموت رحلوا إلى الشمال، أي جهات

---

١. أحمد علي حسن: المسلمون العلويون في لبنان: ٣٠، ط ١، ١٩٨٩م، بيروت؛ الشيخ محمود صالح: النبأ اليقين عن العلويين: ١٥٤، مؤسسة البلاغ، بيروت ـ ١٩٨٧م.

اللاذقية وانطاكية. [١]

٣. أيام السلطان سليم العثماني صدرت فتوى بطلب السلطان، اشتهرت بالفتوى الحامدية، فقتل على إثرها عدد كثير من الشيعة في حلب وجبال العلويين [٢] هذا بالإضافة إلى تعذيبهم، وكان ذلك بعد انتصار الأتراك على المماليك عام ١٥١٦م في معركة مرج دابق، فزجّ السلطان بنصف مليون من الشعب التركي لمواجهة العلويين.

٤. حوالي نهاية القرن الثامن عشر وعلى أثر مقتل طبيب انكليزي استحضر سليمان باشا وتسلّم ولاية طرابلس فقتل من قتل من العلويين. [٣]

٥. أيام ثورة الشيخ صالح العلي، في شهر ايار عام ١٩٢١ م قام الفرنسيون بحرب دون هوادة ضد الشعب العلوي وقتلوا جمعاً غفيراً منهم، وانتهت المعارك بانتصار الفرنسيين، وقيام الحكم الانتدابي في البلاد. [٤]

هذا مع غض النظر عن المعارك الدامية بينهم وبين الفرنج الصليبيين والقراصنة الذين كانوا يهاجمون الساحل الشامي وحدود الأراضي الإسلامية منذ القرن الثاني إلى أواخر أيام العثمانيين فيأخذون ضحايا من العلويين. [٥] وإضافة إلى المعارك الداخلية والحروب الأهلية الطائفية التي كانت تتأجج نيرانها بدسائس أصحاب السلطة أو المستعمرين والصليبيين؛ كما نشاهد في حروب العلويين والإسماعيلية، والحروب القبلية بين العشائر العلوية. [٦]

---

١. المصادر نفسها.

٢. عبد الحسين شرف الدين :الفصول المهمة في تأليف الأُمّة: المقدمة؛ علي عزيز إبراهيم: العلويون والتشيع: ٤٣؛ محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين:٣٩٦ـ ٤٠٢ و٤٤٥.

٣. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين:٤٤٥.

٤. الشيخ محمود الصالح: النبأ اليقين عن العلويين:١٦٩.

٥و٦. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين:٤٢٣ـ ٤٢٦ وص ٣٠٨.

الخلط بين العلويين و الإسماعيليين والقرامطة

هذا الاشتباه والخلط حصل لكثير من الباحثين منهم ابن تيمية في فتواه المشهورة حيث رمى الجميع بنبل واحد[١] مدّعياً أنّ الملاحدة الإسماعيلية والقرامطة والباطنية والخرمية والمحمدة أسماء لطائفة واحدة.[٢]

على الرغم من أنّ الخلافات العقائدية والمناوشات العسكرية لم تترك مجالاً للخلط والاشتباه، فنذكر فيما يلي الحروب الطاحنة التي قامت بين العلويين والإسماعيلية على سبيل الإيجاز:

١. في أيام حسن الصباح سكنت قوى الإسماعيليين جبل القصيرة واستأجرت قلعة القدموس حتى استولوا على قلاع العلويين في مصياف والعليقة والخوابي وأبو قبيس وصهيون، وفي عام ٥٢٠هـ استولوا على قلعة بانياس، ولما هجم عليهم المسلمون من كلّ ناحية عندما رأوا عدم مساعدتهم، حالف الإسماعيليون الصليبيين وسلّموهم قلعة بانياس عام ٥٢٣هـ.

٢. تداوم العداء بعد ذلك بين العلويين والإسماعيليين حتى سنة ٩٧٧هـ حيث هجم عليهم العلويون واستولوا على قلاعهم ولكن سرعان ما أنجدت الحكومة العثمانية الإسماعيليين وأعادت لهم مواقعهم.

٣. في خلال سنة ١١١٥هـ جاءت عشيرة بني رسلان واستولت على قلعة مصياف، وقتلت جميع الذكور الكبار، وسكنت مدّة ثمان سنين، وهذه العشيرة من العشائر العلوية.

---

١. راجع نصّ الفتوى في رسائل ابن تيمية؛ وتجدها كاملة في مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمان بدوي: ٢/ ٤٤٥.

٢. نفس المصدر: ٤٥١.

٤. ثمّ هاجمت بعض القوات العثمانية القلاع لنجدة الإسماعيليين وقذفوهم بالمدافع وسلموا القلعة للإسماعيليين.

٥. تكررت هذه المناوشات حتى لم يبق للإسماعيليين سوى القدموس. [١]

وممن شهد بذلك من المحقّقين، الدكتور عارف تامر في كتابيه القرامطة، ومعجم الفرق الإسلامية. [٢]

٦. كانت هناك محاولات للتقريب بين عقائد الإسماعيلية والعلويين باءت بالفشل بمساعي مشايخ العلويين العلماء على رأسهم حاتم الطوباني سنة ٧٤٥هـ. [٣]

أهمّ العشائر العلوية

العشائر العلوية الرئيسة أربع: الحداديون والنميلاتيون والرشاونة والخياطيون، وتقسم كلّ واحدة من هذه العشائر إلى أفخاذ وبطون، وترجع الثلاث الأُولى منها إلى عشيرة المحارزة البشازعة التي هي أقدم العشائر جميعاً. [٤]

ومن عشائرهم نواصرة وقراحلة ورشاونة ورسالنة، جروية باشوطية ومقاورة، ومهالبة.

فهم يرجعون في نسبهم إلى فرعين رئيسيين:

---

١ محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين:٣٣٨ـ٣٤٠.

٢. عارف تامر:معجم الفرق الإسلامية:١٢٨ فمابعد.

٣. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين:٣٧٨.

٤. الدكتور وجيه محي الدين: مجلة النهضة العلوية؛ أحمد زكي تفاحة: أصل العلويين وعقيدتهم: ٢٤ـ٢٥، المطبعة العلمية، النجف الأشرف ـ ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١. فرع القبائل اليمنية (العرب القحطانيين) من همدان وكندة. [١]

٢. فرع القبائل الشامية والعراقية من غسّان وبهرا وتنوخ. [٢]

الذين اعتنقوا المذهب الشيعي في وقت مبكر. بعض قبائلهم كالمحارزة يدّعون أنّهم هاشميون، وبعضهم ازداد عددهم بهجرة قبائل طي (نهاية القرن الثالث الهجري) وغسّان الذين دفعتهم الحروب الصليبية ومعهم الأمير حسن بن المكزون (ت٦٣٨هـ) من جبل سنجار في العراق إلى منطقة الشام في المنطقة الممتدة من طبرية وجبل عامل حتى حلب. [٣]

العشائر العلوية كانوا يسكنون بادية الشام أوّلاً ثمّ نزحوا إلى ديار ربيعة في الجزيرة الفراتية، وفي العهد العثماني تركوا بلادهم وسكنوا بيلان، اضنه وانطاكية وقسم منهم سكنوا منطقة الكلبية بقرب اللاذقية في سوريا وقسم آخر منهم في جبال البهرة مع الإسماعيليين، وتسمى جبال لكام، وقسم آخر منهم في جند الأردن وطبريا بالقدس المحتلة.

ومعظم العلويين يحتشدون في سلسلة الجبال الممتدة من عكار[٤] جنوباً إلى طوروس شمالاً، ويتوزع بعضهم في محافظات حمص، حماة ودمشق وحوران كيليكيا ولواء الاسكندرون في سوريا، ويوجد في المهاجر الأمريكية أكثر من ربع مليون علوي فضلاً عن الموجود منهم في لبنان والعراق وفلسطين وإيران. [٥]

وكذلك في أوربا من تركيا واليونان و بلغاريا إلى آلبانيا السفلى. [٦]

---

١. تاريخ اليعقوبي:٣٢٤،طبع ليدن.

٢. الهمداني: صفة جزيرة العرب:١٣٢، وراجع تاريخ العلويين: لمحمد أمين غالب الطويل: ٣٤٩ـ ٣٥٦.

٣. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين:٣٥٦.

٤. في لبنان و كذلك يتواجدون في وادي التيم، وفي جبال الظنيين(راجع لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني للدكتور محمد علي ملي).

٥. عبد اللطيف يونس: الثورة العلوية؛ الدكتور سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام.

٦. هاشم عثمان: العلويون بين الأسطورة و الحقيقة:٤٠ـ ٤١.

أعلام العلويين

١. إسحاق الأحمر

(...ـ٢٨٦هـ)

إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان النخعي، أبو يعقوب، الملقب بالأحمر، من أهل الكوفة، رئيس الطائفة الإسحاقية، وإليه نسبتهم وكانوا بالمدائن على نحلة النصيرية، وكان إسحاق يطلي بصره بما يغيره فسمي الأحمر، وقيل: لبرص فيه. ذكره الذهبي في رجال الحديث وطعن به وبالغ في ذمه، عمل كتاباً في التوحيد سماه «الصراط». [١]

٢. المنتجب العاني

(٣٣٠ـ٤٠٠هـ)

محمد بن الحسن العاني الخديجي المضري، أبو الفضل، المنتجب، ولد في عانة عام ٣٣٠هـ وإليها نسبته، ونشأ فيها وفي بغداد حيث استقر مدّة، ثمّ انتقل إلى حلب وسكنها ثمّ غادرها إلى جبال اللاذقية واتصل بحسين بن حمدان الخصيبي وتلقىٰ عنه العقيدة والطريقة وأصبح من دعاتها، وله ديوان شعر كان شاعراً وجدانياً غزير المعاني باطنياً. [٢]

---

١. ميزان الإعتدال: ١/ ١٩٦ برقم ٧٨٤؛ البداية والنهاية: ١١/ ٨٢؛ لسان الميزان: ١/ ٣٧٠؛ تاريخ بغداد: ٣/ ٢٩٠ و٦/ ٣٧٨؛ الأعلام: ١/ ٢٩٥.

٢. الزركلي: الأعلام: ٦/ ٨٢؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ٣/ ٣٥٨؛ الدكتور أسعد أحمد علي: فن المنتجب العاني وعرفانه: ٣٧، دار النعمان، بيروت ـ ١٩٦٨م.

٣. الحسين بن حمدان الخصيبي

(٢٦٠_٣٥٨هـ)

ومن أعظم رجالات العلويين وعلمائهم الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلائي [١] وكنيته أبو عبد الله، ولد في جنبلا سنة ٢٦٠هـ وقرأ القرآن و هو ابن سبع سنين، وحفظه وهو ابن عشر، وحج وهو ابن عشرين، وأتى حلب سنة ٣١٥هـ وتوفي فيها عام ٣٥٨هـ وقبره يعرف بالشيخ يبرق. [٢]

وشهد وفاته بعض تلامذته ومريديه، منهم: أبو محمد القيس البديعي، وأبو محمد الحسن بن محمد الاعزازي، وأبو الحسن محمد بن علي الجلي.

وأقوال المؤرخين المعاصرين عنه كثيرة بين متحامل عليه وحاقد، وبين ملتزم في الصمت، منهم: النجاشي، وابن الغضائري، وصاحب الخلاصة من المتحاملين عليه.

وفي الفهرست لابن النديم: الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلاني يكنّى أبا عبد الله، روى عنه التلعكبري وسمع منه في داره بالكوفة سنة ٣٣٤هـ وله فيه إجازة.

وفي لسان الميزان: الحسين بن حمدان بن خصيب الحصيبي أحد المصنفين في فقه الإمامية، روى عنه أبو العباس بن عقدة وأثنى عليه وأطراه وامتدحه، كان يؤم سيف الدولة ابن حمدان في حلب. [٣]

وفي أعيان الشيعة للعلاّمة السيد محسن الأمين العاملي ترجمة للخصيبي

---

١. جنبلاء ممدوداً بضمتين وثانية ساكنة، كورة ومنزل بين واسط والكوفة في العراق.

٢. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين:١٩٨؛ الطبرسي النوري: نفس الرحمن:١٤٢_١٤٤.

٣. علي عزيز الإبراهيم: العلويون والتشيع:١٢٩.

مفادها امتداحه والثناء عليه وكلّ ما نسب إليه من معاصريه وغيرهم لا أصل له ولا صحّة وإنّما كان طاهر السريرة والجيب وصحيح العقيدة.[١]

ومن أهم مصنفاته:

١. كتاب الهداية الكبرى في تاريخ النبي والأئمّة ومعجزاتهم وقد قدّم كتابه هذا إلى سيف الدولة الحمداني.[٢]

وهذا الكتاب يشتمل على أربعة عشر باباً في مناقب الرسول ﷺ وأهل بيته، أوّلها باب رسول الله ﷺ، وثانيها باب السيدة الزهراء عليها السلام، واثنا عشر باباً لكل إمام منهم باب من علي إلى المهدي عليه السلام، غير انّه توسع في باب المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف). وقد عدّ في هذا الكتاب أسماء رسول الله ﷺ، وأسماء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وأسماء فاطمة الزهراء و الحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين عليه السلام في السرياني والعبراني والعربي و جميع اللغات المختلفة بجميع أسمائهم وكناهم والخاص والعام منهم، وأسماء أمهاتهم ومواليدهم وأولادهم ودلائلهم وبراهينهم في الأوقات، ووفراً من كلامهم وشاهدهم وأبوابهم والدلالة من كتاب الله عزّ وجلّ والأخبار المروية المأثورة بالأسانيد الصحيحة، وفضل شيعتهم.

٢. الإخوان ٣. المسائل ٤. تاريخ الأئمة ٥. الرسالة ٦. أسماء النبي ﷺ وأسماء الأئمة.[٣]

---

١. محسن الأمين العاملي: أعيان الشيعة: ٥/ ٤٩٠-٤٩١.

٢. الذريعة: ٢٥/ ١٦٤؛ أحمد زكي تفاحة: أصل العلويين وعقيدتهم: ٥٥؛ المامقاني: تنقيح المقال: ١/ ٣٢٦.

٣. أعيان الشيعة: ٥/ ٤٩١.

٤. الميمون الطبراني

(٣٥٨_٤٢٦هـ)

سرور بن القاسم الطبراني، أبو سعيد، الملقب بالميمون شيخ العلويين في اللاذقية، ورئيس الطريقة المعروفة عندهم بالجنبلانية، ولد في طبريا وإليها نسبته، وانتقل إلى حلب فتفقه بفقه العلويين أصحاب الخصيبي والجنبلاني، وصنف كتاباً في مذهبهم، ثمّ رحل إلى اللاذقية والتف حوله من فيها منهم واستمر إلى أن توفي ودفن بها على شاطئ البحر في مسجد الشعراني.[١]

٥. الحسن بن مكزون السنجاري

(٥٨٣ ـ ٦٣٨هـ)

هو الأمير حسن بن يوسف مكزون ابن خضر، ينتهي نسبه إلى المهلّب بن أبي صفرة الأزدي ولد عام ٥٨٣هـ في سنجار العراق، يعدّه العلويون في سورية من كبار رجالهم، كان مقامه في سنجار أميراً عليها، واستنجد به علويو اللاذقية ليدفع عنهم شرور الإسماعيلية سنة ٦١٧هـ فزحف إليهم سنة ٦٢٠هـ وأزال نفوذهم، ثمّ تصوّف وانصرف إلى العبادة، ومات في قرية «كفر سوسة» عام ٦٣٨هـ بقرب دمشق، وقبره معروف فيها.[٢]

له ديوان شعر، وكتاب تزكية النفس في العبادات الخمس، وهو صاحب

---

١. الزركلي: الأعلام: ٣/ ٨١؛ ترمانيني: أحداث التاريخ الإسلامي: ٢/ ١١٣٢.

٢. الزركلي: الأعلام: ٢/ ٢٢٧.

نزعة فلسفية روحية تميل نحو فلسفة محي الدين العربي في تفسير القرآن على رأي المتصوفين، وأنّه يعارض ابن الفارض في تائيته في جملة قصائده التي مطلعها:

لبّيت لما دعتني ربّة الحجب وغبت عني بها في شدّة الطرب [1]

إلى غير ذلك من الشخصيات التي ذكرها أصحاب التراجم.

***

تم الجزء الثامن من

«موسوعة بحوث في الملل والنحل»

ولاح بدر تمامه في اليوم

الثاني من شهر رمضان المبارك

من شهور عام ١٤١٨

على يد الفقير إلى الله جعفر السبحاني

ابن الفقيه محمد حسين الخياباني التبريزي تغمده الله بواسع رحمته

حامداً لله ومصلياً على النبي والآل

راجياً عفو ربّه وغفرانه

يوم المساق يوم تلتف الساق بالساق

---

١. أحمد زكي تفاحة: أصل العلويين وعقيدتهم: ٢٩ـ٣٠؛ يونس رمضان: تاريخ المكزون: ٢/ ٣٤٠ـ ٣٤١؛ أسعد أحمد علي: معرفة الله، و المكزون السنجاري: ١/ ٥١٠ـ ٥١١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٢م.

فهارس الكتاب

١ . فهرس مصادر الكتاب

٢ . فهرس محتويات الكتاب



فهرس مصادر الكتاب

نبدأ تبركاً بالقرآن الكريم

حرف الألف

١. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (٧٦٦ـ ٨٤٥هـ)، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر ـ ١٤١١هـ.

٢. الأرجوزة المختارة: قاضي القضاة أبو حنيفة النعمان بن محمد(م٣٦٣هـ) تحقيق إسماعيل قربان حسين، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة مجيل، مونتريال، كندا ـ ١٩٧٠م.

٣. الإرشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ـ٤١٣هـ) تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ، قم ـ ١٤١٣هـ.

٤. الأسفار: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي القوامي(م١٠٥٠هـ) منشورات مكتبة المصطفوي، قم.

٥. أصل العلويين وعقيدتهم: أحمد زكي تفاحة، المطبعة العلمية، النجف الأشرف ـ ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م.

٦. الاعتقادات: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ـ٣٨١هـ)

المطبوع ضمن مصنفات الشيخ المفيد، الجزء الخامس، منشورات المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم المقدسة ـ ١٤١٣هـ.

٧. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**: فخر الدين الرازي: محمد بن عمر الخطيب (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ـ ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

٨. **الأعلام**: خير الدين الزركلي (١٣١١ـ ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٤٠٤هـ.

٩. **أعلام النبوة**: أبو حاتم الرازي (٢٦٠ـ٣٢٢هـ) إيران ـ ١٣٩٧هـ.

١٠. **أعيان الشيعة**: السيد محسن الأمين (م١٣٧١هـ) دار التعارف، بيروت.

١١. **الإمامة في الإسلام**: عارف تامر، منشورات دار الكاتب العربي ، بيروت، ومكتبة النهضة ـ بغداد.

حرف الباء

١٢. **بحار الأنوار**: محمد باقر المجلسي (م١١١٠هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١٣. **البداية والنهاية**: ابن كثير: الحافظ أبو الفداء (م٧٧٤هـ)دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

حرف التاء

١٤. **تاج العقائد ومعدن الفوائد**: علي بن محمد الوليد (٥٢٢ـ٦١٢هـ) تحقيق عارف تامر، دار المشرق، بيروت ـ لبنان.

١٥. **تاريخ ابن خلدون**: عبد الرحمان بن خلدون (م٨٠٨هـ) بيروت ـ ١٩٥٦م.

١٦. **تاريخ الأدب العربي**: بروكلمان.

١٧. **تاريخ بغداد:** الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (م ٤٦٣ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

١٨. **تاريخ الأُمم و الملوك:** الطبري: محمد بن جرير (م٣١٠هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان.

١٩. **تاريخ الدعوة الإسماعيلية:** مصطفى غالب، دار الأندلس، الطبعة الثانية، بيروت ـ ١٩٦٥م.

٢٠. **تاريخ العلويين:** محمد أمين غالب الطويل، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

٢١. **تاريخ المكزون:** يونس رمضان.

٢٢. **تاريخ اليعقوبي:** أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح اليعقوبي (م بعد٢٩٢هـ) منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م.

٢٣. **تأويل الدعائم:** قاضي القضاة أبو حنيفة النعمان بن محمد (م٣٦٣هـ) تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار المعارف، مصر.

٢٤. **التبصير في الدين:** أبو المظفر الإسفرايني (م٤٧١هـ) بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٢٥. **التعريفات:** الجرجاني: علي بن محمد بن علي (٧٤٠ ـ ٨١٦ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأُولى ـ ١٤٠٥ هـ.

٢٦. **تقريب التهذيب:** العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر(٧٧٣ـ٨٥٢هـ) بيروت ـ ١٩٧٥م.

٢٧. **تنقيح المقال:** عبد الله المامقاني (١٢٩٠ـ١٣٥١هـ) النجف الأشرف ـ ١٣٥٠هـ.

٢٨. **تهذيب الأحكام:** الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ـ٤٦٠هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٠هـ.

٢٩. تهذيب التهذيب: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣ـ٨٥٢هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٤هـ.

حرف الثاء

٣٠. الثورة العلوية: عبد اللطيف يونس.

حرف الخاء

٣١. الخطط المقريزية: تقي الديـن أحمد بن علي المقريزي(٧٦٦ـ٨٤٥هـ)دار صادر، بيروت.

٣٢. الخلاصة: العلاّمة الحلّـي: الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ) منشـورات المطبعة الحيـدرية، النجف الأشرف، الطبعـة الثانيـة ـ ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.

٣٣. خوان الإخوان: ناصر خسرو(٣٩٤ـ٤٨١ هـ).

حرف الدال

٣٤. دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: حسن الأمين (المعاصر) دار التعارف، بيروت، الطبعة الرابعة ـ ١٤١٠هـ.

٣٥. دائرة المعارف: بطرس البستاني، دارالمعرفة، بيروت ـ لبنان.

٣٦. دائرة المعارف: محمد فريد وجدي، مطبعـة دائرة معارف القرن العشرين ، الطبعة الرابعة ـ ١٣٨٦هـ.

٣٧. دعائم الإسـلام: قـاضي القضاة أبـو حنيفة النعمان بن محمـد (م٣٦٣هـ) تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، مصر ـ ١٣٨٣هـ.

حرف الذال

٣٨. **الذريعـــــة**: آقا بزرك الطهراني (م ١٣٨٩ هـ) دار الأضواء، بيروت.

حرف الراء

٣٩. **راحة العقل**: حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني (٣٥٢-٤١١هـ) تحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمي، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر.

٤٠. **الرجـــال**: البرقي: أحمد بن عبد الله (م٢٧٤ أو ٢٨٠هـ) طهران - ١٣٨٣هـ.

٤١. **الرجـــال**: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥- ٤٦٠هـ) النجف الأشرف - ١٣٨١هـ.

٤٢. **الرجـــال**: الكشي: أبو عمرو(من علماء القرن الرابع) مؤسسة الأعلمي، كربلاء - العراق.

٤٣. **الرجـــال**: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢- ٤٥٠هـ) بيروت- ١٤٠٩هـ.

٤٤. **رسائل إخوان الصفا و خلان الوفا**: عبد الله بن محمد بن إسماعيل (١٧٩- ٢١٢هـ) دار بيروت، بيروت - ١٤٠٣هـ.

٤٥. **رشفة الصادي**: الشريف الحضرمي.

٤٦. **روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه**: محمد تقي المجلسي (١٠٠٣- ١٠٧٠هـ) منشورات مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم المقدسة - ١٣٩٣هـ.

٤٧. **الرياض في الحكم بين (الصادين) صاحبي الاصلاح والنصرة**: حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني (٣٥٢- ٤١١هـ) تحقيق عارف تامر، دار الثقافة، بيروت.

حرف السين

٤٨. سير أعلام النبلاء: الذهبي: محمد بن أحمد (م٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٩هـ.

حرف الشين

٤٩. الشجرة المباركة في أنساب الطالبية: فخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسين (٥٤٣ـ ٦٠٦هـ) منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة ـ ١٤٠٩هـ.

٥٠. شرح منظومة السبزواري: الحاج ملا هادي السبزواري، منشورات نشر ناب، قم ـ ١٤١٦هـ.

٥١. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (م٦٥٥هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ـ ١٣٧٨هـ.

حرف الصاد

٥٢. الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي (م٩٧٤هـ) مكتبة القاهرة، مصر - ١٣٨٥هـ.

حرف العين

٥٣. عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين: عبد الله الخير، دمشق، الطبعة السابعة - ١٩٩٤م.

٥٤. علل الشرائع: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ـ ٣٨١هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

٥٥. **العلويون بين الأسطورة والحقيقة**: هاشم عثمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية ـ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٥٦. **العلويون فدائيو الشيعة المجهولون**: علي عزيز إبراهيم العلوي، دار الفكر، الطبعة الأولى ـ ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.

٥٧. **العلويون والتشيع**: علي عزيز آل إبراهيم، الدار الإسلامية، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٥٨. **عمدة الطالب**: ابن عنبة: أحمد بن علي الحسني (م٨٢٨هـ) منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية ـ ١٣٨٠هـ.

٥٩. **العيون والمحاسن**: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ـ٤١٣ هـ).

حرف الغين

٦٠. **الغدير**: العلامة عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ـ ١٣٩٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

٦١. **الغيبة**: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة ـ ١٤١١هـ.

٦٢. **الغيبة**: النعماني: محمد بن إبراهيم (من أعلام القرن الرابع الهجري) مكتبة الصدوق، طهران.

حرف الفاء

٦٣. **الفخري في أنساب الطالبيين**: إسماعيل بن الحسين بن محمد المروزي الأزورقاني (٥٧٢ـ بعد ٦١٤هـ) منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة ـ ١٤٠٩هـ.

٦٤. **الفرق بين الفرق**: البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (م٤٢٩هـ) دار

المعرفة، بيروت.

٦٥. **فرقة الدروز(رسالة):** سيد نبيل الحيدري، منشورات منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية، إيران.

٦٦. **فرق الشيعة:** النوبختي: الحسن بن موسى (من أعلام القرن الثالث الهجري)، دار الأضواء، بيروت ـ ١٤٠٤هـ.

٦٧. **الفصول المهمة في تأليف الأمّة:** عبد الحسين شرف الدين الموسوي، منشورات الرضي، الطبعة الثانية بالأوفسيت عن الطبعة الرابعة لدار النعمان في النجف الأشرف، قم المقدسة ـ ١٤٠٦ هـ.

٦٨. **فن المتنجب العاني وعرفانه:** الدكتور أسعد أحمد علي، دار النعمان، بيروت ـ ١٩٦٨م.

٦٩. **الفوائد الرجالية:** البهبهاني.

٧٠. **الفهرست:** الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) لجامعة مشهد، إيران ـ ١٣٥١هـ.

٧١. **الفهرست:** النديم: محمد بن إسحاق (٢٩٦ـ٣٨٥هـ) القاهرة ـ ١٣٤٨هـ.

حرف القاف

٧٢. **القصيدة الشافية:** داعي مجهول، تحقيق عارف تامر، دار المشرق، بيروت ـ لبنان.

٧٣. **القصيدة الصورية:** محمد بن علي بن حسن الصوري (من أعلام القرن الخامس الهجري).

٧٤. **قواعد العقائد:** نصير الدين الطوسي(٥٩٧ـ ٦٧٢هـ) تحقيق علي الرباني الگلپايگاني، منشورات لجنة إدارة الحوزة العلمية بقم، قم المقدسة ـ ١٤١٦هـ.

حرف الكاف

٧٥. الكافـــي: الكليني: محمد بن يعقوب (م ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٧هـ.

٧٦. الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: محمد بن محمد (م٦٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٧. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد: العلاّمة الحلّي: الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي (٦٤٧ ـ ٧٢٦هـ)، تحقيق حسن مكي العاملي، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأُولى ـ ١٤١٣هـ.

٧٨. كمال الدين: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ـ ٣٨١هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة ـ ١٤٠٥هـ.

٧٩. كنز الولد: إبراهيم بن الحسين الحامدي (م ٥٥٧هـ) تحقيق مصطفى غالب، دار النشر فرانزشتاينر، ڤيسبادن ـ ١٣٩١هـ.

حرف اللام

٨٠. لسان العرب: العلاّمة ابن منظور: محمد بن مكرم (م٧١١هـ) قم ـ ١٤٠٥هـ.

٨١. لسان الميزان: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣ـ٨٥٢هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

حرف الميم

٨٢. مجمع البحرين: الطريحي: فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح (٩٧٩ـ ١٠٨٧هـ) منشورات المكتبة المرتضوية، طهران.

٨٣. مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية: أ.س. بيكلي، مكتبة عالم المعرفة، الطبعة الأولى، سلمية، سوريا ـ ١٩٩٤م.

٨٤. مذاهب الإسلاميين: الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت ـ ١٩٧٣م.

٨٥. مستدرك الوسائل: الشيخ النوري: الحسين بن محمد تقي (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠هـ) مؤسسة آل البيت ﷺ، قم ـ ١٤٠٧هـ.

٨٦. المسلمون العلويون في لبنان: أحمد علي حسن، بيروت، الطبعة الأولى ـ ١٩٨٩م.

٨٧. معجم رجال الحديث: الخوئي: أبو القاسم الموسوي (١٣١٧ـ١٤١٣هـ) بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٨٨. معجم الفرق الإسلامية: عارف تامر.

٨٩. معرفة الله والمكزون السنجاري: أسعد أحمد علي، دار الرائد العربي، بيروت ـ ١٩٧٢م.

٩٠. مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ـ٣٥٦هـ) مؤسسة دار الكتاب، قم.

٩١. مقالات الإسلاميين: الأشعري: علي بن إسماعيل (م٣٢٤هـ) الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٠هـ.

٩٢. الملل والنحل: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (٤٧٩ـ٥٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٤٠٢هـ.

٩٣. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ـ٥٨٨هـ) المطبعة العلمية، قم.

٩٤. من لا يحضره الفقيه: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ـ٣٨١هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٠هـ.

٩٥. **ميزان الاعتدال**: محمد بن أحمد الذهبي (م٧٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت.

حرف النون

٩٦. **النبأ اليقين عن العلويين**: الشيخ محمود صالح، مؤسسة البلاغ، بيروت ـ ١٩٨٧م.

٩٧. **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**: الدكتور سامي النشار.

٩٨. **نفس الرحمن**: الحاج ميرزا حسين الطبرسي النوري (م ١٣٢٠ هـ) مؤسسة الآفاق، إيران، الطبعة الأولى ـ ١٤١١ هـ.

٩٩. **نهج البلاغة**: جمع الشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٤هـ) بيروت ـ ١٣٨٧هـ.

حرف الواو

١٠٠. **الواقفية**: رياض محمد حبيب الناصري (المعاصر) منشورات المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدسة ـ ١٤٠٩هـ.

١٠١. **وسائل الشيعة**: الحر العاملي: محمد بن الحسن (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١٠٢. **وفيات الأعيان**: ابن خلّكان: أحمد بن محمد (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ) منشورات الشريف الرضي، قم ـ ١٣٦٤هـ.

حرف الياء

١٠٣. **الينابيع**: أبو يعقوب السجستاني (٢٧١ ـ كان حياً ٣٦٠هـ) تحقيق مصطفى غالب، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان ـ ١٩٦٥م.



فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

الإسماعيلية في معاجم الملل و النحل

الفصل الثالث

الحركات الباطنية في عصر الإمام الصادق عليه السلام

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

عبد الله بن ميمون القداح إسماعيلي أو اثنا عشري؟

الفصل الخامس

في الأئمة المستورين

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس
في الأئمة الظاهرين

الموضوع	الصفحة

الفصل السابع

في أئمّة المستعلية

الفصل الثامن

في أئمّة النزارية المؤمنية والأغاخانية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل العاشر

في الإسماعيلية والأُصول الخمسة

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع

الفصل الحادي عشر
في شجرة الإسماعيلية

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني عشر
في نظرية المثل والممثول
أو تأويلات إسماعيلية

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث عشر

في أعلام الفكر الإسماعيلي

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع عشر	
التنظيمات السرية للإسماعيلية	
التنظيمات السرية للدعوة الإسماعيلية النزارية	٣٢١
الفصل الخامس عشر	
في القرامطة	
الملامح العامّة للقرامطة	٣٣١
أسباب نشوء الحركة القرمطيّة ومؤسّسها	٣٣١
فرق القرامطة	٣٣٣
انقسام القرامطة إلى حركتين بعدما كانت حركة واحدة	٣٣٤
عقائد القرامطة	٣٣٥
١ . نظرية الحلول عند القرامطة	٣٣٥
٢ . الغلو عند القرامطة	٣٣٥
٣ . التأويل الباطني في تفسير القرآن	٣٣٦
نهاية القرامطة سياسياً وعسكرياً	٣٣٧
الأسباب الذاتية	٣٣٧
الأسباب الخارجية	٣٣٩
نهاية القرامطة	٣٤٠

الموضوع	الصفحة

الفصل السادس عشر

في فرقة الدروز

الموضوع	الصفحة
الفصل السابع عشر	
في الفطحية	
الفطحية في معاجم الملل والنحل	٣٦٥
مشاهير الفطحية	٣٧٦
الفصل الثامن عشر	
في الواقفية	
سبب ظاهرة التوقف	٣٨٠
الواقفية في كتب الملل والنحل	٣٨٥
مشاهير الواقفية	٣٨٩
خاتمة المطاف	
في النصيرية	
النصيرية في معاجم الملل والنحل	٣٩٧
النصيرية فرقة بائدة	٤٠٢
محمد بن نصير النميري شخصية قلقة	٤٠٣
العلويون وأصل التسمية بالنصيرية	٤٠٤

الموضوع	الصفحة



الامام الحاضر كريم شاه الحسيني (آغا خان الرابع)